هذا ديننا



شباب
النادي الشبابي



د. عمر
عبد
الكافي



أريج
AREEJ
للنشر والتوزيع


شباب
النادي الشبابي





د. عمر عبد الكافي



بسم الله الرحمن الرحيم

دعــوة:

إذا كانت لديكم فكرة أو عمل مميز، هادف، نافع يخدم أمتنا، في أي ميدان من ميادين العلم، فإن أريج يشرفها التعاون معكم.

الطبعة الأولى

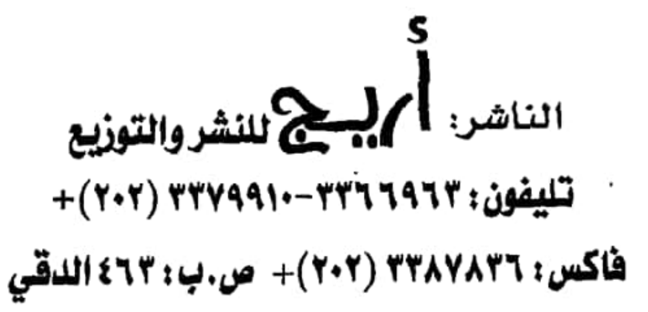
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م

رقم الإيداع: ٢٠٠٧/٢١٩٨

الترقيم الدولي: I.N.S.B

977-6103-99-5





الناشر: أريج للنشر والتوزيع

تليفون: ٣٣٦٦٩٦٣-٣٣٧٩٩١٠ (٢٠٢)+

فاكس: ٣٣٨٧٨٣٦ (٢٠٢)+ ص.ب: ٤٦٣ الدقي

Web. www.areej.com.eg E-mail: info@areej.com.eg

مقدمــــة المؤلف

اهتم الدين بالمادة والروح معًا والدين هو المعاملة والمعاملة شقان: شق مع الخالق، وشق مع المخلوق. فكيف يتعامل المسلم مع خالقه وكيف يتعامل مع المخلوق الذي هو مثله، الدين غذاء الجسد للإنسان نبض الشريان لقلب الإنسان فالإنسان لا يستغني عن الدين كما لا يستغني الجسد البشري عن الغذاء والشراب ويجب أن نشكر الله عز وجل على نعمة الإسلام والدين علاقة بين العبد وربه ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

والدين هو الذي يهدي الناس إلى صياغة الحياة صياغة سليمة ويهديه إلى الطريق المستقيم ولا يحيا الإنسان بغير الدين والإسلام عبارة عن لسان كل الأنبياء قبل محمد ﷺ وهناك ما يدل على قرب الناس من المسلمين فملكة سبأ عندما قالت ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

وسيدنا إبراهيم ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ..﴾ [البقرة: ١٢٧، ١٢٨] ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٠، ١٣٢].

والإسلام دين الله ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمُ﴾ [آل عمران: ١٩] والإسلام هو إسلام القلب لرب العباد ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]

ثم يأتي ﷺ ويقـول «إن مثلي مثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون ويقولون هلا وضعت اللبنة!. قال فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين» [رواه البخاري] فيقـول إنـه حجـر في مبنـى كـبير وهذا من تواضعه ﷺ.

فهذا هو الإسلام في المعنى العام أما في المعنى الخاص فهـو عقيـدة أي هـو الاستسلام لمن خلقك في الأمر والنهي فإذا قال لـك الخـالق افعـل هـذا الأمـر فافعل وإن قال لا تفعل فقل سمعـا وطاعـة يـا الله فـلا نقـاش في هـذا الكـلام والإسلام مكلف به كل مسـلم لاتبـاع رسـول الله إلى جانـب العقيـدة وجانـب الشريعة ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[البقرة: ١٣١] ومـن عقيـدة المسلم وإيمانه بأن ربه لن يخذله، نجد سيدنا إبراهيم عندما سـلم في الاختبـار أن يلقى في النار، لم يحترق لأن الله رعاه بعنايته وكذلك عندما أمره بذبح إسماعيـل وكذلك عندما أمره أن يأخذ زوجته وابنهـا إلى أرض صـحراء لا مـاء فيهـا ولا حياة استسلم لأمر الله. وعندما تحدث للإنسان مصيبة ويصاب بها يقول إنـا لله وإنا إليه راجعون فيقول الله أسلم عبدي واستسـلم وعلـم أن الأمـر بيـد الله. وهذا هو الخير للعبد فالخير للعبد فيما يختاره الله.

ويجب أن نشكر الله على كل الأمور وكذلك نشكر النـاس وخاصـة شـكر من سترك. فالملائكة تعلم عنـك الكـثير ولكـن رب العبـاد يعلـم عنـك الكـثير والكثير ويعرف كيف يتعامل مع النفس فـالله هـو الـذي خلـق الخـير ورزقـك فاشكره وعلى مصيبته فاحمده والمسلم هو من سلم المسـلمون مـن لسـانه ويـده والمؤمن من أمنه الناس على دينهم وأموالهم.

فتجد أن من لم يسلم المسلمون من لسانهم وأيديهم أصبحوا غـير مسـلمين وإذا لم يؤمنهم على أموالهم ودينهم وأعراضهم لا يكون مؤمنًا لأنـه ﷺ يقـول:

«بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» [رواه الترمذي] فالدين الحاكم الذي يسعدني في الدنيا والآخرة والشريعة تخص الجوارح أفعل هذا ولا تفعل هذا اهتم بهذا ولا تهتم بهذا، يقول الله ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

والإنسان كلما اقترب من الله استشعر معنى العزة ومعنى كلمة الله أكبر فهذا يقين وليس كلامًا فقط.

ونجد أن سعادة الفقير في مال الغني وأما الغني الذي يبخل على الفقير ويستغني عن أجر الله.

ويدرس الدين كل نواحي الحياة حتى في الأسرة ومع الأفراد والإنسان ذو الدين يجب أن يكون معتدلا في كل شيء في المعاملات والمصروفات المادية، في التعامل في البيوت، ومع الأولاد والزوجات.

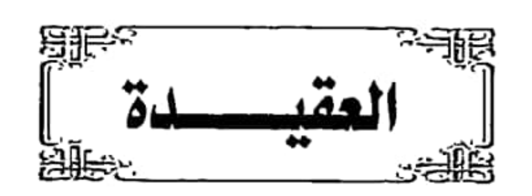
وقد قال بعض الحكماء لولا الدين الحنيف لظلم بعضنا بعضا واعتدى بعضنا على بعض وخانت الزوجات الأزواج وخان الأزواج الزوجات وسرق الخادم سيده وربما قتله فلا يفصل الإسلام بين الدين والدنيا لأن الله يقول ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] فالعمل عبادة والخشية من الله عبادة والإحسان إلى الأسرة عبادة.

د/ عمر عبد الكافي

* * *

الباب الأول
عقائد وعبادات

1- العقيدة
2- نواقض العقيدة
3- القضاء والقدر
4- اليقين
5- المواد الأساسية في مدرسة رمضان
6- أسرار الحج



العقيـــدة

لا عقيدة أقوى من الإسلام

لقد ضم الإسلام جميع مناهج الحياة وجميع المفاهيم الشرعية الموجودة في داخله واحتواها وحفظ لها أسسًا وأطرًا تسير فيها ليسهل على من يستخدمها استخدامها فقد قيل إن الإسلام عبارة عن عقيدة وشريعة وقد كانت قديما تفهم في إطار لا إله إلا الله وهذا ما يسمونه بالعقيدة كما قال علماء علم الكلام والإيمان عبارة عن الإيمان بالله ورسوله ﷺ فالكلام يظهر بقول اللسان ثم العمل بالأركان ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العنكبوت: ٧] فالدين يضم عقيدة وشريعة فما أن وعي الإنسان (لا إله إلا الله) وجعلها في قلبه ثم ظهرت في عمله وحركاته وسكناته أي يعيشها وقد كان في القديم يصعب على العالم إيجاد المعلومة ويسافر ويرى الجهد والمشقة في أن يحصل على العلم أما الآن فهناك مرحلة الرفاهية العملية فقد ترجمت الكتب للغات عدة وصار الحصول عليها سهلا. وبرغم الحروب المتعددة على الإسلام إلا أن الناس يدخلون في دين الله أفواجا فالعدل موجود والقضاء مستمر مدى الحياة وقد قيل إن في أيام عمر بن عبد العزيز لم يكن هناك فقير واحد في البلاد الإسلامية يقول الله تعالى ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧] فالصحابة لم يسألوا كيف ويقول الله ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

ويقول الله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢] فهذه الآية تشرح مفهوم العقيدة والدين هو الأخلاق والدين هو

الأمانة وهو للفرد وللأسرة ولا يعقل أن تكون حياتي ومماتي لله عز وجل ولا يكون وفقا لتعاليم الإسلام وهذه كلها عقيدة.

حتى أن النبي ﷺ في مكة بعد البعثة مكث ١٣ سنة يدعو إلى الله دون علم أهل مكة وهذا حتى تقوى العقيدة في قلوب المسلمين وقد كان لديه المنهج الذي يسير عليه ولم يكتب القرآن ﷺ على صفحات المصحف ولكنه كتب بهداية من نوره وقد كتبها ﷺ في قلوب الصحابة بالنور المضيء قبل أن يكتبها في المصحف فصار كل واحد فيهم نسخة مصحفية.

وعندما آثر الصحابة بعضهم في معركة اليرموك ويؤثر كل منهم والآخر حتى ماتوا جميعا وهناك بعض الأمثال التي تقطع أواصر الإيثار وتغيير النفوس والقلوب وتودى بصلة الرحم التي أمر الله بها أن توصل وقد أعد النبي ﷺ الصحابة إعداد جيدا في دار الأرقم بن أبي الأرقم فقد كانت بيئة صالحة لإنبات الشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء.

وعندما أسلم عمر بن الخطاب كان قد سبقه في الإسلام ٣٩ رجلا وامرأة والإيمان يغير الإنسان فقد كان عمر في الجاهلية مختلفًا تمامًا عن الإسلام وقد بعث بجيش له بقيادة عمرو بن العاص في فتح مصر ١٤ ألف جندي ومن شدة الإيمان في القلوب يقال إن كل جندي بألف جندي، ويرسل سيدنا أبو بكر بجيش فيه القعقاع ويقول جيش فيه القعقاع لا يقهر أبدًا بإذن الله.

فهذا كله من علامات الإيمان فهو يغير النفوس والطباع، ونجد أن النبي عندما هاجر ليصلح بين العبد وربه، فأخذ يصلح بين العبد وأخيه المسلم وقد عقد صلحا مع اليهود في أركان المجتمع.

فإن أمور الدعوة ليست سهلة والعمل وترتيب الدعوة ليس سهلا يقول إبراهيم الخليل ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨] فهذا تعليم الحكمة فقد

بُعث ﷺ للحكمة ويزكيهم ويعلمهم العلم ولا علم بدون حكمة أو علم ولم يفهم الناس الإسلام حقيقة الفهم ولهذا فهم فصلوا بين العمل الدنيوي والأخروي فليس الصلاة والصيام هما العمل الأخروي فقط ولكن كل عمل مع تعديل النية هو عمل أخروي كلما أتقن العمل.

مفهوم قول (لا إله إلا الله)

مفهوم لا إله إلا الله هو أساس العقيدة وقد فهمها الصحابة على غير ما فهمناه نحن فقد كانت لا إله إلا الله متمثلة في كل حركاتهم وسكناتهم وحياتهم وأقوالهم وأفعالهم، وهناك مثال فإذا ذهب شخص لعمل ما في مصلحة حكومية وارتشى فهذا حرام وقد سميت الأشياء بغير أسمائها.

يقول النبي ﷺ إن ما عند الله يطلب بطاعته فإذا استبطأ أحدكم رزق الله فلا يستعجلنه بمعصية الله إنما يأتي بطاعة الله وهذا مفهوم لا إله إلا الله.

فقضية الحلال والحرام تقاس بالكتاب والسنة وما جاء في الكتاب والسنة يؤخذ به ويعتد به فالحلال بين والحرام بين وعندما حدثت حروب الردة والفتنة التي صارت رفض سعد بن أبي وقاص أن يشارك فيها خوفا من الشبهة.

وهنا يجب أن ترتب الأولويات فمن الأولويات إذا كان هناك من هو ذاهب إلى عمرة وهناك شخص مسكين يريد الزواج فالأولى مساعدة المسكين في الزواج، ونجد أن الدين عند الصحابة كان شيئًا أساسيا في حياتهم أما الآن عند بعض الناس فهو شيء ثانوي وهؤلاء نسوا الله وسنة رسوله ﷺ.

ولذلك حدثت الحوادث في البلدان الإسلامية حتى أن الجميع اتجهوا إلى المسلمين وسنوا أسنانهم ليأكلوا لحومنا عندما نسينا الله وسنة الله وأصبحنا مستغفلين وأصبح الغرب هو الآمر فينا ويقول الصحابة لن تبلغوا المجد حتى

تصبروا كما وجد ذلك في كتب السيرة أيضا.

وكان الأمل يدب في قلوب الصحابة حتى يعبر الإسلام الجزيرة وغيرها من البلدان حتى أن أم حرام تمنت إن فتحت البلاد أن تكون شهيدة هناك على جزيرة قبرص فقال لها ﷺ أنت معهم فقالت للنبي ادع الله أن أكون شهيدة فقال لها أنت شهيدة وسميت قبرص ببلد المرأة الصالحة وهذا فهم لا إله إلا الله.

وهذه أسماء بنت أبي بكر التي هاجمها أبو جهل بعد أن غادر أبوها ورسول الله وقال لها أين أبوكِ؟ فقالت وما شأنك فلطمها قالت أتضرب النساء فهذا فهم لا إله إلا الله والتخلق الأخلاقي والذي أوصلنا إلى غير ذلك هو ضعف الإيمان والعقيدة في النفوس يقول الله ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

فهذه هي العقيدة الراسخة في القلوب وهذا معنى أو مفهوم لا إله إلا الله ونجد أن هناك من يقول إن العقيدة منفصلة عن الأخلاق وهذا فكر غربي وفي الإسلام كلاهما مرتبط ببعض ارتباطًا وثيقًا فالأخلاق في الإسلام فرائض والعقيدة فرضا أيضا ونجد أن النبي ﷺ صاحب الخلق العظيم قال تعالى في شأنه:
﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى....﴾ [الإسراء: ١]

﴿الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

فلم تتحقق العبودية الحقة إلا في شخص رسول الله ونجد أن الصحابة رضوان الله عليهم ومنهم أبو بكر صاحب الخلق العظيم الذي اعتق بلال بن رباح ﷺ وهذه الأخلاق يجب أن تزرع في أبنائنا ولكن بسبب جهل الآباء بالأخلاق فهم لا يستطيعون أن يعلموا أولادهم الأخلاق الحميدة.

فالقضية أكبر من أخلاق فقط ولكنها فرائض إسلامية يحاسبنا الله عليها،

وكل شيء سواء علم أو مال فهو من عند الله وقارون عندما تجاهل وكفر بنعمة الله عليه خسف الله به وبداره وماله الأرض ومن عظمة الإسلام والتاريخ يشير إلى ذلك فصلاح الدين تاريخه مشرف هذا الذي هزم الصليبين الذين دخلوا بيت المقدس فعندما دخل بيت المقدس وانتصر عليهم عاملهم معاملة طيبة.

ومن مفهوم لا إله إلا الله أن تطابق أفعالك أقوالك ولا تقول ما لا تستطيع فعله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢] ويكون الإسلام داخل البيت وخارج البيت فعمل رجل يؤثر في ألف رجل وقول ألف رجل لا يؤثر في رجل.

سعة مفهوم العبادة

نزل القرآن على رسول الله وأول ما نزل من القرآن كان ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] وهذه قضية مهمة جدا فليس القراءة فقط بسم الله ولكن القضية أكبر من ذلك فإن كل شيء يعمل أو يقال أو يقرأ نراعي الله فيه فنأكل ونشرب بسم الله ونغير ملابسنا بسم الله ونحرك شيئًا ونتحرك في شيء باسم الله والإنسان في هذا الكون تحت عبودية الله سبحانه وتعالى هكذا تصلح العلاقة بين العابد والمعبود.

فأي حضارة الإسلام أولى بها ولم يفصل الإسلام بين العلم والدين في أي شيء ولكن جعل بينهم ارتباطًا وثيقًا فالدنيا قنطرة توصل إلى الآخرة ولا يفصل الإسلام بين الدنيا والدين ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] فالعمل في الدنيا عبادة والخشية من الله عبادة والإحسان إلى المسلمين عبادة والإحسان إلى الجار عبادة وتصنيع السلاح والدبابات عبادة والدفاع عن الوطن عبادة.

فالعبادة تدخل في كل شيء وكل شيء يدخل في العبادة ويقول ابن عباس

قضاء حاجة أخ لي في الله خير من أن أعتكف عند الحجر الأسود سبعين ألف سنة والإنسان يجب أن يخلص العبادة لله رب العالمين ويترك عبادة العباد إلى عبادة رب العباد وقد جاء الإسلام ليخرج الناس من ظلام الدنيا إلى سعادة الآخرة.

وقد حرص الإسلام على العلم وأمر به وجعله فريضة وقد ذكرت آيات العلم في القرآن ٦٦٠ آية تتحدث عن العلم بشتى أنواعه ويقابل ذلك في العبادات ١١٠ آية وقد نزل هذا الدين لكي يعمل به الإنسان المسلم ويعمر الدنيا بما فيه صلاح في الآخرة ويراعي الإسلام كل شيء في الحياة فيراعي قضية الروح والبدن وليس من العيب أن يفعل المسلمون شيئًا فيمكنه أن يفعل أي شيء في الحياة طالما أنه لا يعصى الله عز وجل ولا يجور على حق الآخرين ولا يُغضب الله.

والإسلام يواكب الحضارة والتقدم الحضاري وليس ضد ذلك وقد قيل أن الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة ويهزم الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة، ويقول سيدنا عمر بن الخطاب لا ينصرنا الله لأننا مسلمين ولكن لابد أن نعمل والنصر على الله ولكن عندما نسى المسلمون أوامر الله وقصروا في علمهم وقد قيل لن تبلغوا المجد حتى تصبروا وقدم المسلمون الأوائل في الأندلس وغيرها من البلدان العربية العلوم المختلفة فلكية وعلمية....

السلبية ليست من الدين

وقد انتشرت في الآونة الأخيرة مقولة: دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله وتوضيح هذه المقولة من ميزان العقيدة فهذه الكلمة قالها الغرب على لسان عيسى عليه السلام ومن ناحية العقيدة فقيصر لله وما لله لله وكذلك قيل الدين لله والوطن للجميع وهذا خطأ فالدين لله والوطن لله.

والنبي يقول: «**إذا أحسن الناس فأحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا لأن عدم الظلم إحسان**» [رواه الترمذي] ونجد أن سيدنا نوح رغم الهموم التي وجدها إلا أنه كان دائما يبتسم ابتسامة العالم والداعية فالعالم عندما يبتسم وهو يتحدث إلى الناس فالناس تقبل منه والرسول ﷺ ما قطب جبينه قط لأنها حرمة من حرمات الله والابتسامة بأجر صدقة.

ونجد أن الهداية من الله ومن يهد الله فهو المهتد ولكن من يفعل مالا لا يأمر به الله فهذا العمل غير صحيح وهنا يقول الله لمن عمل سوءًا لسيدنا نوح ﴿**إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ**﴾ [هود: ٤٦].

فمثلا أبو جهل وأبو لهب رغم أن الكعبة بجواره إلا أنه لم يدخلها مسلما ولكن صهيبًا الرومي قطع المسافات ليأتي إليها حاجا وكذلك بلال الحبشي قطع المسافات ليأتي إليها حاجا فصهيب سابق الروم وبلال سابق الحبشة فالإسلام رفع هؤلاء وهناك أمثال تُعلم السلبية إذا ذكر أمام الأولاد فمثلا دع الخلق للخالق، ما لقيصر لقيصر وما لله لله يقول الله ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ [آل عمران: ١١٠] فهذا هو الإيمان أمر بالمعروف ونهي عن المنكر فهكذا كان صحابة رسول الله يأتون من أماكن بعيدة لنصرة دين الله ورفع الله بهم الدين ونجد أن بني إسرائيل حكم الله عليهم بالتيه في الأرض لمدة ٤٠ سنة كاملة بسبب عدم فهمهم الصحيح (للعبادة الصحيحة).

ونحن عندما نقارن بين جيل السلف والجيل الآن نجد أن جيل السلف اهتمامهم بالدين كان جيدا فأبو بكر يقف على المنبر وهو الخليفة فيقول ولست بخيركم فالضعيف عندي قوي حتى آخذ الحق له والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه فأطيعوني ما أطعت الله فيكم وإن عصيت فلا طاعة لي عليكم.

ونجد أن سيدنا عليًا وعثمان دخل عليهما أحد الصحابة وكانا يتحدثان

فقال لهما إذا كانت هناك مشكلة فبماذا تحكم قال عثمان بكتاب الله وسنة نبيه وإجماع الصحابة ولكن علي قال أحكم بكتاب الله وسنة نبيه ولا أحكم بإجماع الصحابة فهذه أمور كان يفهمها السلف ويخافون من الأحكام إلا ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

ونجد أن أنس دخل المعركة وكان قبلها يقول رسول الله إذا قاتلت أدخل الجنة؟ فقال نعم فدخل المعركة وهو يقول إنها لحياة طويلة والله إني لأشم رائحة الجنة خلف أحد هكذا كان الصحابة.

عِلَّتُنا ضعف الإيمان وحب الدنيا

وكان الصحابة يقولون على أبي بكر وعلي وعثمان أن الدنيا أرادتهم ولم يريدوها أما الآن فالناس تريد الدنيا وهي لا تريدهم فالخلل الذي حدث أن اليقين تبخر في قلوب العباد وتزعزعت العقيدة ويجب أن تعود مرة أخرى لفهم حقيقة العقيدة.

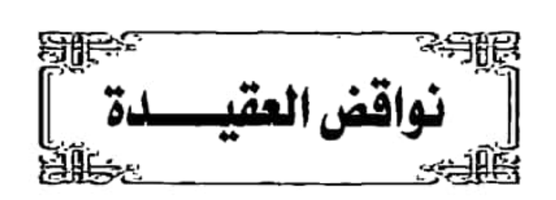
ولو نظرنا إلى قيمة لا إله إلا الله نجد أن من قالها دخل الجنة ولكن أن يقولها بلسانه وتدخل قلبه وكان يقول لخالد أن يتقى القبيلة التي فيها الأذان يسمع ويقول عمر أنه عارض أبا بكر في قضية الحرب فقال أبو بكر كيف تعارض والرسول يقول أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويعطوا كل شيء حقه. ونجد أن اليهود عندما حرم الله عليهم الصيد يوم السبت نصبوا شباكهم من يوم الجمعة ويوم الأحد يجمعون الشباك وهذا تحايل على الله ويقول الله ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦] وهكذا كتب على بني إسرائيل التيه ٤٠ سنة لأنهم تحايلوا على الله وعلى نبيه ﷺ.

ونجد الناس الآن تغيرت وذلك لعدم فهم الدين بالطريقة الصحيحة

فالإنسان المسلم يدور حول ما يدور حوله كتاب الله وسنة نبيه ﴿مَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] ونجد أن من رضي بسخط الله لإرضاء الناس سخط الله عليه ولم يرض ولم يرض الناس عنه ومن أرض الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس.

فالإنسان عندما يعمل فرح ويريد أن يفرح الناس بفرقة موسيقية أو راقصة فهذا نقض عهده مع الله عز وجل وهذا من نواقض لا إله إلا الله ومن النواقض أيضا الشك في مسألة الرزق فالرزق مكتوب ولو سابقت عليه سباق الريح لتلحق به لجاءك الرزق بسرعة البرق فرزقك لن يذهب لغيرك ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢] فالأمة الإسلامية أمة عقيدة وإيمان ونجد أن لا إله إلا الله كفارة من حلف بغير الله.

* * *



نواقض العقيـــدة

عظمة .. شفافية .. تضحية

هناك بداية غريبة للإسلام أن جعل الآلهة إلها واحد، فقد نزلت قضية التوحيد ويحيط بالكعبة المشرفة أكثر من ثلاثمائة وستين صنمًا أي لكل قبيلة صنم فظلت تلك الأصنام ثلاثة عشر عامًا طوال وجود الفترة المكية حتى أمر النبي ﷺ بتحطيم الأصنام يوم الفتح ومات النبي الكريم بعد تحطيم الأصنام بعامين فبدأت الغربة الأولى فكانت تتمثل الغربة في وجود الأصنام حول الكعبة مع دعوة المصطفى ﷺ وتعجب القوم وتعجب القرشيون بل تعجب العرب كلهم. فموقف النبي ﷺ وما تبعه من القلة المؤمنة موقف غربه، ولكن زالت هذه الغربة بعد انتشار الإسلام لثلاثة أسباب:

١- عظمة المبادئ التي جاء بها الإسلام عظمة المبادرة بهذه المبادئ لأنه ﷺ كان عبارة عن مجموعة من المبادئ فإذا نظرت إلى شخصيته ﷺ تراه جمع صفة من كل نبي فجمع فيه كل الصفات الطيبة أي أخذ حلم إبراهيم عليه السلام وحزم موسى عليه السلام وروحانية عيسى عليه السلام.

٢- شفافية ورقة ونقاء قلوب المدعوين أي يوجد منهج سماوي وكان النبي ﷺ يتحرك بهذا المنهج في حياته بينهم فأحبوه حبًا شديدًا.

٣- ثم إن الذين نقلوا عنه هذه المبادئ كان فيهم التضحية فيضرب أبو بكر الصديق من أبى بن خلف عند مناصرته للنبي حتى استوى وجهه بأنفه وحمل مغشيًا عليه ولم يرد في كتب السير ولا التاريخ ضيق زوجته العظيمة أم رمان من

هذا ولم تقل له هذا الذي كسبناه من وراء مناصرة هذا الرجل فلما أفاق الصديق قال كيف حال رسول الله فزالت الغربة ولما فتح النبي مكة دخل متواضعًا مرددًا قوله تعالى ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١] قال أبو سفيان للعباس عم النبي ﷺ لقد علا ملك ابن أخيك فقال له العباس يا أبا سفيان هذه نبوة ليست ملكًا ولما دخل النبي مكة منتصرًا قال للقريشيين ما تظنونى أني فاعل بكم قالوا خيرًا أخ كريم وابن أخ كريم قال لا أقول لكم إلا ما قال يوسف لأخوته ﴿لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢] اذهبوا فأنتم الطلقاء فهنا انتهت الغربة الأولى.

كيف رجع الإسلام غريبًا

فلما صار خلل للمسلمين في فهم العقيدة وعقدوا المسائل ودخلوا في فرعيات ما أنزل الله بها من سلطان وبعدوا عن المنهج القويم فظهرت الغربة الأولى كفر واضح ككفر أبو جهل وتمسكه به عندما أدركته المنية في بدر وصعد ابن مسعود على صدره فقال له لمن النصر اليوم يا رويعي الغنم قال لله ولرسوله فقال خذ سيفي وجز رقبتي فلا يحتمل مثلي أن يعلو صدره مثلك لم يأمر النبي ﷺ أبو جهل أو أبو لهب بالزكاة ولا الصوم ولا الصلاة ولكن قال لهم قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ولكن يبدو أن أبا جهل فهم ما لم نفهمه نحن لأن لا إله إلا الله لها مقتضيات لا يفهمها كثير من الناس ويقولوا لم يضرنا إلا المعصية فأخرجوا الإيمان بمقتضى الحال وهذه كارثة فمنا من يظن أو يتخيل أن من قال لا إله إلا الله فقد طبق الإسلام لا.

الذين حاربهم أبو بكر الصديق (المرتدين) قالوا لا إله إلا الله محمد رسول الله وصاموا رمضان وحجوا البيت وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وقاتلوا في سبيل الله ولكنهم منعوا الزكاة قال لنقاتلن من فرق بين الزكاة والصوم وكان

أبو بكر يرسل ويقول يا خالد إذا اقتربت من القوم فسمعتهم يؤذنون فارجع عنهم فلابد من إقامة لا إله إلا الله بمعناها الحقيقي.

فالغربة الأولى أيسر لأن كفر الكافر واضح فكان عبد الله بن أبي بن سلول وكثير من أحفاده يصلون خلف رسول الله الصلوات الخمس ويخفون أمورهم، أما الآن أناس من بني جلدتنا دخل عليهم غش في فهم العقيدة فإذا قلت لرجل هذا الأمر مخالف للكتاب والسنة يقول لماذا تدخلوا الدين في كل الأمور فهو تربى على أن للدين طقوس معينة لحظة الجمعة ولحظات التعبد فهذا الرجل متلكع في العبادة لا يريد أن يعبد الله كما أمره الله ورسوله.

فأصيب المسلمون بفساد في العقيدة وفي السلوك، فلابد عندما تقول لا إله إلا الله تشعر أن المتحكم في الكون هو ليس إلا رب العباد. يوجد غربتان الغربة الأولى زالت بوجود النبي ﷺ والغربة الثانية أصعب لعدم وجود مناطق استقرار بيننا فالغربة الثانية التي نحياها لابد أن نتوقف عندها لنرى كيف نخرج منها ولابد أن يحاول كل إنسان أن يرى مدى قربه أو بعده من الكتاب والسنة.

حاجة الناس أو البشرية كلها وليس المسلمين فقط أشد وأمس لتعاليم الدين يقول برناردشو لو كان محمد بن عبد الله يحيا بيننا هذا العصر لحل لنا مشاكل الساعة كلها وهو يحتسى فنجان من القهوة فالبشرية كلها تحتاج إلى دين الله عز وجل الحق الواضح الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أكثر من حاجتها من قبل.

هل نتمثل حقيقة الدين...؟!!!!

نحن لسنا في غربة العصر المكي لأنه لم يكن فيه صلوات جماعة لم يكن فيه إقامة دولة إسلامية لم يكن فيه مؤسسة إسلامية واضحة وإنما كان المسلمون قلة

هاجر بعضهم إلى الحبشة في الهجرة الأولى ثم هاجر الباقون إلى المدينة وفي ذلك الوقت كان الإسلام غريبًا يندرج تحت عنوان لنخرجنكم أو لتعودوا في ملتنا، وإنما نحن في العصر المدني ظاهريًا هناك الصلوات الخمس وهناك بعض الشعائر التعبدية التي يقوم الناس بها، ولكن حقيقة الدين هل نحن نقوم به كما أمرنا الله عز وجل ورسوله الكريم فلو زارنا أحد الصحابة لفرح بنا، متى نعرف أننا وصلنا إلى حمل هم الإسلام؟ عندما نرى أبناءنا في فلسطين يقتلون ويذبحون والطعام أمامنا فنعفف عنه «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم» فكان عمر ﷺ له أخ في الله يتبادل معه رعي الغنم ينزل هذا إلى المدينة يوم يتلوا الأخبار وعمر في البادية يرعى الغنم وهكذا فقال جاءني صاحبي في وقت لم يكون فيه الباب مغلقًا يقول ففزعني قلت له هل طلق الرسول نساءه قال لا قال هل هجمت الروم فأول ما يسأل يسأل عن بيت رسول الله لأنه بيت القدوة.

فالمجتمع المدني أنبت ثمرات عجيبة أنبت رجلاً كأبي حنيفة فقد سأله رجل وهو يسير في الطريق فقال له أمسك واعتدل إلى ظل الجدار الآخر فقال يا أبو حنيفة عجبًا أهنا تجوز الإجابة وهناك لا تجوز سألتك ونقلتني قال أوقفتني في ظل جدار رجل أقرضته مالاً فلو وقفت في ظل جداره لربما قد أكون قد أخذت منه شيئا من الربا وفي يوم عثر أبو حنيفة في حجر في الطريق للصلاة فاستند على جدار جاره اليهودي فبعد أن عاد من الصلاة طرق باب جاره الذي كان ينغص عليه حياته فتعجب اليهودي قال استندت على حائط جدارك وأنا في طريقي للمسجد لأني خشيت أن أقع على الأرض عندما عثرت في حجر هل تعفو عني أو أن تقل عثرتي قال أهكذا يأمركم دينكم يا أبا حنيفة قال نعم قال وأنا أشهد أن لا إله إلا الله.

لقد تربى الصحابة في دار الأرقم بن أبي الأرقم على يد رسول الله ﷺ

على العقيدة الصحيحة يقول الله تبارك وتعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] فلا يجادل في دين الله ولا ينتقص شيئًا من دين الله فماذا صنع النبي ﷺ بهؤلاء القوم حتى وصلوا إلى هذه القمم العالية.

فاليوم يرفع الأخ على أخيه قضية ويأكل القوي منا حق الضعيف فلهذا نطالب بالعودة إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم.

لما تولى أبو بكر الخلافة عين عمر قاضيًا فقال له أنت تقضي بين الناس يا عمر فمر عام على عمر ثم عاد إلى أبى بكر ليستقيل وقال عافنى يا خليفة رسول الله قال لم؟ قال وليتني القضاء بين قوم عرف كل واحد منهم الحق الذي له فلم يأخذ أكثر منه وعرف الواجب الذي عليه فأداه كما هو فلم يجد عمر وظيفة للقضاء في هذا المجتمع النظيف.

غفلة وضياع للأوقات

سمع تابعي قول أبي هريرة كنت سابع سبعة مع رسول الله فمد الرسول يده قال من يبايعني فمددنا أيدينا قال الرسول ألا تسألون علام تبايعون؟ قالوا لا يا رسول الله قال بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا وأن تقيموا الصلاة إلى أن قال وأن لا يسأل أحد منكم أحدًا شيئًا إلا الله فكان أبو هريرة يقول كان الواحد منا يقع خطام ناقته وهو فوقها فينزل عنها حتى يأخذ الخطام كي لا يخلف عهده مع رسول الله. فماذا يقول التابعي عندما سمع أبو هريرة؟ قال أشهدك أني مع هؤلاء السبعة.

وكذلك عندما أسلم عمر بن الخطاب فقال للرسول ألسنا على الحق قال بلى قال أليسوا على الباطل قال بلى قال فعلى ماذا نرضى الدنية في ديننا لنخرج في صفين أنا في صف وحمزة في صف وبيننا المسلمون وتسمع

مكة كلها تكبيرنا وتهليلنا.

وحمزة بن عبد المطلب عندما قيل له ماذا صنع أبو جهل في ابن أخيك ذهب إلى أبي جهل وقال كيف تضربه وأنا على دينه ولم يكن على دين الإسلام في تلك اللحظة لابد أن أعبد الله كما أمر الله لا كما أتخيل قالت إحدى الحاصلات على جائزة نوبل في الستينات عجيب أمركم أيها المسلمون محمد بن عبد الله هذا يضع لكم ثلاثة عشر أدبًا من آداب دخول دورة المياه فكيف تنسون هذه التعاليم.

لقد بدأ المسلمون في إهدار كثير من الوقت، قال الحسن البصري لحقت بأقوام كانوا على أوقاتهم (يقصد الصحابة) أشد حرصًا منكم على دنانيركم من يحرص على وقته أكثر من حرصه على ما في جيبه من مال، ثم بدأ دخول خلل في العقيدة فقد فصل كثير من المسلمين الدنيا عن الآخرة ثم دخول الترجمة فبدأت تدخل أفكار عجيبة شغلت المسلمين بقضايا عجيبة ما أنزل الله بها من سلطان ثم بدأ الفكر الارجائي هو خروج العمل نفسه من مقتضى الإيمان والإيمان من مقتضي العمل وبدأ قول (لا يضر مع الإيمان معصية) وهذا تخطيط أعداء الإسلام.

نواقض العقيدة ليست كنواقض الوضوء:

علمنا أن نواقض الوضوء تستوجب الوضوء مرة ثانية، أما نواقض العقيدة فلا تستوجب خروج المسلم من العقيدة أو الملة وإنما على حسب ما يصنع المسلم فمثلاً:- شاب لم يتعود أن يصلي من قبل ويقول ادع الله لي أن يهديني إلى الصلاة كمثل شاب ناكر الصلاة ويقول ليس هناك شيء يسمى الصلاة فهذا من نواقض العقيدة.

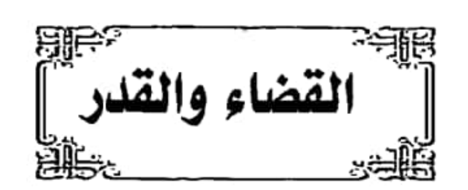
فأما الشاب الأول فيسمى مسلمًا متكاسلاً والتكاسل يكون يومًا يومين

ليس عشرين سنة ونقول عنه متكاسل، يقول النبي ﷺ: «**من ترك الجمعة ثلاث مرات تهاونًا بها طُبع على قلبه**» [رواه ابن ماجه] ولا تستوي الفتاتان التي تقول إحداهما أنا لم أرتدِ الحجاب ولكن ادع الله أن يهديني والفتاة التي تقول هذا موضة قديمة وعادة جاهلية وليس هناك شيء اسمه الحجاب فمن أنكر آية من كتاب الله كمن أنكر القرآن كله، ومن أنكر شيئًا معلومًا من الدين بالضرورة فقد نقض العهد الذي بينه وبين الله فالمؤمن يؤمن بالكتاب كله لا يكون كبني إسرائيل ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥].

تلك اللحية سنة من سنن الفطرة ومن ترك السنة طول حياته عوتب من الرسول ﷺ عتابًا شديدًا يسقط لحم وجهه.

والبنطلون والبدلة والكرافتة ليست من نواقض العقيدة.

* * *



القضاء والقدر

من أركان الإيمان...

القضاء والقدر ركن ركين من أركان العقيدة، والفرق بين المؤمن وغير المؤمن أن هذا يؤمن بالقضاء والقدر والآخر يتشكك فيه، لذلك نجد المؤمن هادئ البال سعيدًا في حياته أما الآخر فتجده إنسانًا قلقًا متوترًا.

وبعض الناس يخلط ما بين القضاء والقدر ويظن أنها كلمة واحدة، ونبدأ قضية القضاء والقدر منذ الهبوط إلى الأرض ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] هذا قضاء وقدر.

ولكن كيف يعلم الإنسان أن هذا من قضاء الله وليس من عمل الإنسان، كل شيء يحدث للإنسان خارج عن إرادته ليس يكسبه فيعلم أن هذا ابتلاء من الله لمصلحته، ويقول الله في سورة الرحمن ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] وهذا هو القضاء اليومي.

والإمام أبى حامد الغزالي يقول كنت في الدرس يحضر لي من بين الحاضرين خمسمائة عالم من ضمن التلاميذ لو وزع واحد منهم على أهل الأرض ما بقي واحد جاهلاً بالله، فخفت أن يدخلني الغرور وهو يحدث نفسه وإذا بسائل يسأل، يا أبا حامد يقول ربنا كل يوم هو في شأن فما شأن ربنا اليوم، فقال أبو حامد أخبرك غدًا إن شاء الله، وهذا لأنه عالم لا يتعجل بالرد على مثل هذه الأسئلة الصعبة.

وفي اليوم التالي سئل نفس السؤال من نفس السائل، واستمر السائل في

سؤاله ثلاثة أو أربعة أيام، وعاد إلى البيت وقال يا رب دلني على الإجابة حتى لا أحرج أمام المريدين والتلاميذ، قال أبو حامد فنمت قبل الفجر ورأيت في الرؤيا رسول الله ﷺ قال يا أبا حامد إن جاءك السائل بتلك إذا فقل له إن لله أمورًا يبديها ولا يبتديها يرفع أقواما ويخفض آخرين، قال أبو حامد فلما جلست في المجلس بادرت وقلت أين السائل، فقام السائل وسأل سؤاله وهو إن الله يقول ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] فما شأنه اليوم؟ فقال أبو حامد إن لله أمور يبديها ولا يبتديها يرفع أقواما ويخفض آخرين. فقال السائل: يا أبا حامد أكثر من الصلاة والسلام على من علمك هذا في المنام.

والقدر لا يمنع العمل، فقد قال ﷺ: «**اعملوا فكل مُيَسَّرٌ لما خلق له**» [رواه البخاري]، فلابد من العمل.

وسئل جعفر الصادق عن القضاء والقدر والتسيير والتخيير والجبر والاختيار، فقال أراد بنا وأراد منا الله عز وجل، أراد بنا قضاءًا وقدرا وأراد منا عملا، فما أراده بنا طواه عنا قضاءًا وقدرًا، وما أراده منا أظهره لنا فما بالنا نشتغل بما أراد بنا عما أراده منا.

فلا ينام التلميذ طوال العام حتى يرسب ويقول هذا قضاء وقدر فهذا ليس قضاء وقدر، فقد قال الرسول ﷺ: «**أعقلها وتوكل**» [رواه الترمذي]، فيجب الأخذ بالأسباب.

مراتب القضاء والقدر

وللقضاء والقدر مراتب:-

فأولها: في عالم الذر يوم يسأل الله العباد «ألست بربكم؟ هذا قضاء فقالوا «بلى»».

والمرتبة الثانية: في عالم الأجنة، عندما يخلق الإنسان أربعين يوما نطفة وأربعين يومًا مضغة وأربعين يومًا علقة ثم يوصي الله إلى الملك الموكل بالأرحام يكتب شقي أم سعيد، ذكر أم أنثى، هذا سابق في عالم الله لأنه عليم خبير.

وقد يقول قائل إن العلم الحديث يستطيع التحكم في نوع الجنين أكان ذكرًا أو أنثى ولكن هذا في قدر الله ولكن على كل إنسان أن يتحمل نتيجة اختياره، فقد يكون هذا الولد أو البنت من المعاقين أو المتخلفين، ويجب أن تؤمن أن هذا من قدر الله ولكن لماذا يتعب الإنسان نفسه في هذا، فقضاء الله قادم لا محالة.

وعندنا مراتب أخرى ومنها كما قال الرسول ﷺ «**إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع ثم يسبق عليه الكتاب فيُختم له بعمل أهل النار فيدخلها**» [رواه الترمذي].

فيسبق عليه الكتاب هنا يجب أن يكون لنا معها وقفة، وقد نفهمها أكثر في رواية الإمام مسلم «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس» وهذه تحسم القضية وتوضحها.

أي يأتي الملائكة يوم القيامة برجل له حسنات كجبال تهامة يقول الله خذوه إلى النار فتتعجب الملائكة فيقول الله لهم أنتم ترونه في ظاهره وجوارحه وأنا كنت أطلع على قلبه، فالله يعلم هل كانت أعماله يبتغي بها وجه الله أو أراد غير الله.

والملائكة كانت تسجل له أنه أدى الصلاة والحج كحركات ظاهرة، لأن الإخلاص هو سر من الأسرار التي بين العبد وربه، حتى لا يطلع عليه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا العبد يطلع عليه فيغتر.

لذلك فالنية محلها القلب، وهناك فرق بين الكسب والفعل، فالكسب

يخص القلب ﴿لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥].

وقد قال الرسول ﷺ «**من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرة إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له واحدة أو يمحوها الله ولا يهلك على الله إلا هالك**» [رواه أحمد].

والنية أيضا داخلة في القضاء والقدر وليس الفعل وحده، فهناك قلوب لا يعرف الحق لها طريقًا، كالصحابي الذي يطعم أخاه ثمرة فيجد حلاوتها في فمه، وهناك قلوب لا تعرف البخل كأبي بكر الذي أتى بماله كله، وهناك قلوب لا تعرف الغل والبغض كأبي بكر عندما أعتق بلالا فيقول عمر أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا، ويقول والله لإسلام العباس أحسن من إسلام الخطاب، لأن إسلام العباس يدخل السرور على قلب رسول الله.

فهذه قلوب جبلت على الخير وقد طرقت باب الخير فجاء قضاء الله مع قدره في هذا الكون مع أعمال العبد ليتضح لنا قضاء الله وقدره، ولكن هذا عمل العبد أولاً وأخيرًا.

قدر الله قاهر وقضاؤه نافذ

ومن القضاء والقدر، أن يموت الإنسان ماشيا في الشارع أو يسقط عليه شئ فيقضي أجله أو يقتل وهو جالس في بيته فهذا مكتوب من القضاء والقدر، ومن لم يمت بقتل القاتل مات في هذه اللحظة فلا نقاش في الموت.

كالعبد الذي كان يجالس سيدنا سليمان وكان ملك الموت يجلس في صورة إنسان وكان يطيل النظر في العبد، فغادر ملك الموت وطلب العبد من سيدنا سليمان أن ينقله ببساط ريحه إلى بلاد الهند وكان في عجلة من أمره، فأتى ملك

الموت في الصباح إلى سيدنا سليمان فسأله لماذا كان يطيل النظر إلى من كان عنده فقال أمرت أن أقبض روحه في بلاد الهند وكنت أتعجب كيف أقبض روحه هناك وهو مازال هنا!!

ويجب علينا أن نصبر على القضاء والقدر كما صبر أسلافنا وهم صبروا لأنهم علموا أن المبتلي هو الرحمن الرحيم إذا فلماذا أجزع؟!.

فإذا أصابتنا مصيبة بموت عزيز أو مرض قريب فيجب أولاً: الصبر لأن الصبر عند الصدمة الأولى وثانيًا: أعلم أن هذا من عند الله وثالثًا: احمد الله أن الابتلاء ليس في الدين لأن إذا جاء الابتلاء في الدين فإنها مصيبة وليس أكبر من هذا.

فإذا فقد الإنسان نعمة البصر فيقول مازال لي نعمة السمع وهناك أكبر نعمة وهي نعمة الإيمان وإن الكون موصول بالله.

والذي يجعل الناس لا تصبر على المصيبة أو القضاء والقدر أنهم لا يرون إلا المصيبة وينسوا جانب النعم فمن تذكر نعم الله أمام الابتلاء تهون عليه أم المصيبة.

فقد كان الصحابة يراجعون أنفسهم إذا مر عليهم أربعون يومًا دون ابتلاء ودون وجود قضاء وقدر.

القضاء والدعاء من قدر الله

ومن أمور القضاء والقدر أمر الرزق يقول الله تبارك وتعالى ﴿**وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ**﴾ [الذاريات: ٢٢] هذا أمر مقطوع، ولكن يقول عمر بن الخطاب لا يقعدن أحدكم على ظهره ويقول اللهم ارزقني وهو يعلم أن السماء لا تمطر ذهبًا أو فضة، وجاء رجل إلى المسجد وجلس فيه فرآه عمر فسأله ما الذي

أقعدك هكذا، فقال يا أمير وأنا قادم إلى المدينة رأيت غرابًا سليمًا يرعى غرابًا كسيحًا ويأتي إليه بالحب فقلت إذا كان الله يرزق هذا الغراب وأنا أكرم على الله من هذا الغراب فقال عمر لماذا تكون كالغراب الكسيح بدل من أن تكون كالغراب الصحيح، فالرزق مكتوب ولكن يأتي به العمل وطرق باب الأسباب.

وقد يأتي المذنبون والمخطئون ويقولون هذا قضاء وقدر، ولكن هذا ليس القضاء والقدر فالله يعلم حال العبد ولكن لا يكتب عليه بل هو الذي يختار فيقول ربنا﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠] والإنسان هو الذي يختار إما طريق الهداية أو طريق الضلال، ولو كان الأمر هكذا إن الله كتب على هذا كافر وهذا مؤمن فلماذا يحاسبنا إذا على شيء ليس لنا دخل فيه.

ولا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا بر الوالدين، فالدعاء والقضاء يعتلجان ما بين السماء والأرض إلى أن تقوم الساعة، فالمسلم عليه بكثرة الدعاء لعله يكشف كل مكروب، وليعلم كل إنسان أن كل شيء يحدث من أمور الدنيا لا يحدث إلا بقضاء الله سواء أكان صغيرًا أو كبيرًا ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]

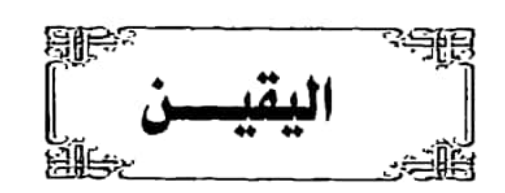
ونختم بقصة لكليم الله سيدنا موسى «رأى سيدنا موسى فارسًا يترجل عن فرسه وشرب من بئر وترك صرة فيها مالاً وغادر وجاء صبي وشرب وأخذ الصرة، فجاء رجل كبير فشرب من البئر ونام، فعاد الفارس ليأخذ سرته فلم يجد شيئًا ووجد شيخًا كبيرًا فقال له أين مالي؟ فقال الرجل الكبير ما رأيت مالاً فوكزه فقضى عليه.

فأراد سيدنا موسى أن يترجم ظاهر الأمور فجاء في الترجمة قال الكليم

اللص قد نجا والمظلوم قد قتل كيف يا رب؟ وقال الله يا كليمي أأنت خلقت العباد أم أنا؟ قال: أنت يا رب. قال: هذا الفارس كان قد اغتصب من والد الصبي مائة دينار فأعيدت إليه في ابنه، وكان الشيخ قد قتل والد الفارس، والفارس لا يعلم من قتل والده.

هذا مثال توضيحي للإيمان بالقضاء والقدر، فلن نأتي بكليم الله موسى ليترجم لنا كل ما يحدث في الحياة فأين الذين يؤمنون بالغيب؟!!.

❊ ❊ ❊



اليقيـــن

يقين الأنبياء والصالحين

اليقين بالنسبة للإيمان هو الروح للجسد أي من لا يقين عنده فلا إيمان عنده فاليقين ليس عبارة عـن ثمـرة إنمـا هـو شـجرة مثمـرة تثمـر صـبرًا، أو تـوكلا، واعتمادا على الخالق سبحانه، وانشراح صدر وهدوء بال، وراحة بـال، ووثوقـا بما عند الله واليقين إذا خامر قلب العبد صار في ملكوت السماوات ولجأ العبـد إلى الله في الملمات فيرى المنحة داخل المحنة ويرى الخير داخل الابتلاء فهـذا هـو المنظور الذي يرى منه المؤمن مسألة اليقين.

وقد كان الصحابة يتعلمون اليقين بصفة مباشرة من المعصوم صـلوات الله وسلامه عليه وهذا اليقين الذي كان يحرك الرسول في الغار فأبو بكر يقول فلـو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا فيرد عليه الرسول بيقين المؤمن الصادق فيما عنـد الله ما ظنك باثنين الله ثالثهما، فالقضية محسومة فقـد كـان الـيقين عنـد الكلـيم عندما قيل له إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين وهذا من اليقين.

وأيضًا إبراهيم عليه السلام عندما قيل له ستلقى في النار يا إبـراهيم، ألـك حاجـة قال أما منك فكلا ولكن من الله فنعم وهـذه هـي شـجرة الـيقين الـتي غرسـها الأنبياء والسابقون فإن لم نغرسها نحن فمن يغرسها وقد تحدث للمرء انتكاسات إيمانية تجعل الإنسان متعلقًا بالمادة كما تعلـق الغـرب الـذي لم يـدينوا بـدين ولم يتخذوا رب العباد ربا ومن ليس له هـدف في الحيـاة فهـذا يعـيش كمـا تعـيش البهائم أما من عنـده يقـين فيكـون عنـده مـن العـز والعزيمـة مـا يتغلـب علـى انتكاسات الحياة وقد قال أحد الصالحين لو كشف عني الحجاب الذي بيني وبين

ربي لازددت من الله يقينا.

يقين الصديق رضي الله عنه

إذن فهو يرى بهذا المنطق وبهذه الصورة معنى اليقين الهزات ليست في الأرض وإنما هي حدثت في الأرض ولكن الهزة الأساسية التي تحدث في قلوب مدعي الإيمان أو قلب المستسلم مدعي الإسلام فهزة قلبه أقوى من أي مقياس على مقياس ريختر ويعني هذا إذا اهتز قلبه واضطرب فهذا دليل على أن هذا الإنسان لم يتخذ الله وكيلا بعد الخوف فالخوف أمر طبيعي ولكن الخوف الذي يقفز بالإنسان إلى الذعر وإلى القلق وإلى أن يبحث عن مكان آمن فهذه المنطقة تبع لحزام الزلزال وهذه خارج حساب الزلزال فهو يجب أن يبحث عن المنطقة التي داخل حزام الإيمان فإذا دخل في معية الله فقد دخل حزام الإيمان.

وهذه الشخصية لا تهزها العواصف كما وصفت السيدة عائشة أباها أبا بكر عندما مات ﷺ قالت رحمك الله يا أبتاه فقد كنت كالجبل الأشم لا تزلزلك العواصف ولا تهدمك القواصف وكنت كالبحر يهدأ حتى يلعب الصبي فيه بجذر وكنت تثور حتى تخاف الحيتان فيه. فالقضية ليست في الزلازل الخارجية وإنما هي في الزلازل الداخلية فالمصائب هي مصائب في ذاتها والابتلاءات هي ابتلاءات في ذاتها ولكنها تصغر وتكبر بمقدار حجم الإيمان واليقين داخل قلب المؤمن فالمؤمن يدرك أن وراء هذه الهزات ربا لهذا الكون ملك فإذا تصرف الملك في ملكه سكت الإنسان وعلم أن هذا الأمر إنما يجري بعلم الله ونحن خلفاء لله في الأرض فيجب أن نخاف ليس من الزلزال ولكن من زلزلة الإيمان داخل القلب أو من ضعف الإيمان ومن سوء الخاتمة وقد قال العلماء احذر وخاف من الغارات التي تغير عليك قالوا أن يغير عليك أصحاب المظالم على حسناتك فيأخذوها فهذه زلزلة، فأعمل الحسنات واخلص فيها واتعب فيها ثم

تذهب على من ظلمته ومن له حقوق عندك فقد قال ﷺ **«أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فُطرحت عليه ثم طرح في النار»** [رواه مسلم].

يقين تهدأ له العواصف...!!!

وقد تعرضت الجزيرة العربية في عهد أبى بكر لأكبر زلزال في حروب الردة ولكن هذا لم يكن ليؤثر أو يزلزل قلوب الصحابة وهذا يقين أسسه فيهم رسول الله وتصدى أبو بكر لهذه الردة بقلب المتيقن في الله ليجعل الجزيرة كلها تعمل وتؤمن بما يرضى الله وكذلك عمر بن الخطاب في موت رسول الله فقد اهتز قلبه لذلك حتى أنه قال: من قال إن محمدًا قد مات فرقنا بين جسده ورأسه إلا إنه عندما تلا عليه أبو بكر الآيات هدأت العاصفة.

وهذا يرجع إلى ما في قلب المرء من إيمان ويقين وتوكل على الله ولكن الناس حدثت عندها أشياء عجيبة فنجد أنهم الآن يتوافدون على علماء الزلازل ونحن نقر العلم وأهل العلم ونقر كلام العلماء وديننا يدعونا أن ندرس الظواهر الكونية حتى يحتاط الناس ويأخذوا ذلك بعين الاعتبار وقد هاج العالم وماج وقامت ثورته لأن نور الإيمان لم يسيطر على القلب بعد فإذا سيطر نور الإيمان واليقين على قلب الإنسان هدأ الزلزال داخل النفس وما كثر الزلزال الخارجي إلا بقدر الله بمعنى أنها خطى تخطوها كتبت علينا وسوف نخطوها لأنها أقدار مكتوبة ومسجلة وقد أمرنا ﷺ بأن لا نصدق ولا نكذب ولكن ما وافق العقيدة نأخذ منه وما لم يوافق نتركه وما وافق العقيدة نأخذ منه الحكمة فالحكمة ضالة المؤمن. وقد حدث في السلف أن رجلا في مجلس سليمان يجلس

فيرى رجلا يطيل النظر إليه ويحدق البصر، شيء مقلق ومحير، فلما مضى الرجل الذي كان يحدق النظر سأل الرجل سيدنا سليمان من هذا الذي ينظر إلي بهذا الشكل وغادر المكان فقال له هذا ملك الموت فاستعجب الرجل وحدثت له زلزلة داخلية فعندما جاء ملك الموت إلى سيدنا سليمان في اليوم التالي فسأل لماذا كنت تطيل النظر في ذلك الرجل فقال كنت متعجبًا لأني أمرت أن أقبض روحه في الصباح وفي بلاد الهند فكنت أنظر إليه من ينقله إلى هناك حتى أنفذ أمر الله فيه وقد طلب الرجل من سيدنا سليمان أن ينقله ببساط الريح إلى بلاد الهند وهنا يقول الله ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ﴾ [النساء: ٧٨].

وقد سمع من الأخبار التي جاءت على الزلزال الذي حدث في تركيا أن من آثاره حدوث انحسار مفاجئ للبحر فظهرت الأسماك وخرج السياح على الشاطئ والعجيب أن الانحسار لمدة طويلة قد يؤثر بالسلب بعد ذلك فسبحان من أمسك البحر ومن يرسل المد والجزر وهذا دليل على أن شجرة اليقين لم تزرع بعد.

قدر الله نافذ... فليهدأ قلبُك

يحدث قضاء الله سواء علمنا أم لم نعلم وسواء عرفنا أم لم نعرف وقال العلماء أم لم يقولوا هذا أمر ليس لنا فيه اختيار وقد قال الله يا داود أنت تريد وأنا أريد والله يفعل ما يريد فدع الله يختر لك يقول الله ﴿أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦] ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨].

فلماذا الخوف من المستقبل أو الغد؟ فلننتظر الغد ونحن منشرحو الصدور ونحن على يقين بالله ونحن محسنون العمل ونحن تائبون ونحن مستعدون للقاء الله فسلمان الفارسي حكيم الصحابة كان يقول كلاما عجيبا: ثلاثة أعجبتني

حتى أضحكتني وثلاثة أعجبتني حتى أبكتني، فقالوا: ما هي يا سلمان قال أما الثلاثة التي أعجبتني حتى أضحكتني مؤمل في الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس يغفل عنه وضاحك بملئ فيه ولا يدري أربه غاضب عليه أو راضٍ عنه؟ فهذه الثلاثة التي أعجبته حتى أضحكته والثلاثة التي أحزنتنى فراق الأحبة محمد وحزبه وهول المطلع والوقوف بين يدي الله عز وجل ولو شغلنا بتلك ما هزتنا الزلازل.

(يعني بهول المطلع أي أن نخرج من قبورنا إلى المحشر وهذه الحقيقة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١] إذا فالزلزال الحقيقي أن تسير الجبال من مكانها ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التكوير: ٣] وأن تفجر البحار لأن تحت المياه نار يقول الله ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [إبراهيم: ٤٨] فمهما كانت درجة الزلزال في مقياس ريختر الآن ذلك صورة مصغرة من الزلازل ولكن الزلزال القوي كما يقول الله ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١، ٢].

وأم الحوامل هي الأرض وليست النساء فقط فهي تخرج ما فيها وتحدث بأخبارها بما حدث عليها من خير وشر ومن جثث فلا يجب أن يخاف الإنسان من الكوارث الطبيعية ويعمل لها كل هذا الحساب ولكن يعمل لآخرته بل يخاف أن لا يقبل منه العمل أن لا يكون مخلصا أن يسلب منه الإيمان دخل رجل فوجد رجلا حزينا في المسجد قال ماذا بك قال دخل علينا لص البارحة فسرق كل ما في البيت فقال يا رجل احمد الله أنه لم يدخل لص الحسنات إلى قلبك فيسرق منك الحسنات وهذا من اليقين.

ونجد أن الإنسان يخاف من الموت جدا مع أنه على علم أن الكوارث

علامات يقين القلب...

الطبيعية إذا مات فيها فهو شهيد والشهيد طعم الموت عنده كوخزة الإبرة فقط ويبعث الناس على ما ماتوا عليه.

من علامات اليقين:-

١- قلة الخلطة بالناس وهذه الخلطة تكون في الخير بأن نخالطهم في الخير ويخالطوننا في الخير وندعو لهم ويدعون لنا أما أي مخالطة أخرى فهي لا تأتي بالخير وهنا قال أحمد بن زكريا: يا رب إذا رأيتني أغادر مجالس الذاكرين إلى مجالس الغافلين فاكسر لي رجلي فإنها نعمة تنعم بها على.

٢- أن أترك المدح لهم في العطاء عندما يعطوني شيئًا أقول لهم جزاك الله خيرا وعندما يكون في القلب يقين أقول هم سبب فيما أعطاني الله على يديه لأن اليقين عندما يتبخر ينحني الناس بعضهم لبعض ونجد أن من لم يشكر الناس كأنه لم يشكر الله.

٣- لا أذم من منعني من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا يشعر ويذوق حلاوة الإيمان حتى في الجوارح يرجع أمر الظواهر الطبيعية كلها لله سبحانه وتعالى فالأمر كله بيد الله أما ما يدرسه علماء الطبيعة وما فيها فلا حرج فيه إذا لم يرجع الأمر لله لما خلصت العقيدة السليمة يقول الله ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا﴾ [يونس: ٢٤].

فقد يأتي الأمر بنهاية الدنيا وهذا من باب النذير من أجل أن يستيقظ الإنسان لحقيقة الأمر وهذه من صور الاستعداد الأخروي فعندما نسمع أن هناك زلزالاً على بعد ١٤٩ من جنوب المحيط وأن تتصدع كل هذه الدول وأن تحدث كل هذه الجثث وهذا الخراب وهذا الدمار جزء صغير من زلزال الدنيا

لأن الدنيا بالنسبة للآخرة ليست هناك نسبة وتناسب «ما من أخراكم في دنياكم إلا الأسماء» فلتفهم من القرآن مسميات فعندما أخبر ﷺ في القرآن ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ [المرسلات: ٣٢] قال لو وجد أهل النيران نيران من أهل الدنيا لاستراحوا فيه وناموا فالقضية كبيرة.

وهناك لله تعالى عدة كتب فهناك الكتاب المسطور والكتاب المنشور في الكون بنعمه ونقمه بابتلاءاته واختباراته، فنجد أنه عندما يحدث زلزال في بلد ما فهذا يدعونا أن نستعد ونعتبر ونحسن عمارة الكون بما يرضي الله ولا يحيد بعضنا على بعض ولا يظلم بعضنا بعضًا.

فلنقترب من شجرة اليقين ونزرعها في قلوبنا ونزرع هذه الشجرة بتصحيح العقيدة والاقتراب من مجالس العلم والعلماء وقد أوصى علي بن الحسن ابنه حسن يا بني زاحم العلماء بالمناكب فإن رحمة الله لا تفارقهم لحظة ثم كثرة قراءة القرآن وتقوى الله وعدم الظلم والتعدي على حقوق الآخرين وعدم أخذ الأموال بالباطل وحفظ اللسان عن عدم الأعراض فكل هذا ينبت شجرة الإيمان وشجرة اليقين.

قد تكون كثرة الزلازل والبراكين من علامات الساعة وهذا من كثرة عصيان الناس لرب العالمين ونجد أنها أيضًا ظاهرة كونية وقد تكون هذه نذر وإن كانت في ظاهرها نقمة وفي باطنها رحمة ونعمة فالموت مصيبة ولكنه نعمة فهو يذكرني أنا الحي أن استعد لهذه الرحلة وهكذا قضية الزلازل تذكر وتجعل الإنسان بحالة إفاقة من الغيبوبة فالناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا وإذا انتبهوا ندموا فهذه العلامات لنستيقظ ونفيق.

اليقين عطاء رباني بعد جهاد نفس...

ونجد أنه لا يملك أحد اليقين فهو ليس بيتا أو أرضًا عقارية إنما اليقين بكلمة

في قلبه، يقول أحد الصالحين إني رأيت الجنة والنار بعيني قيل كيف قال أولم يرها رسول الله وعين رسول الله لا تكذب أبدا فهي أصدق العيون وهذا من اليقين بما يقول رسول الله.

وأخبرتنا أم سلمة رضي الله عنها أن النبي كان يصلي عندها في بيتها فقالت رأيته يتقدم نحو القبلة يصلي منفردا ومد يده كأنما يريد أن يأخذ شيئا ثم أعاد يده مرة أخرى ثم رجع القهقرى فأذهب صلاته أي أكمل صلاته فقالت أم سلمة لرسول الله ماذا صنعت يا رسول الله قال أرأيتني يا أم سلمة قالت نعم قال بينما أنا أصلي إذا بباب من أبواب الجنة يفتح فتقدمت نحوه فرأيت عنقودا من عنب يتدلى من أغصانه فأردت أن أقطف لكِ منه يا أم سلمة لتطعمي منه فقيل له يا محمد أنك ما تزال في الدنيا هذه المعدة لا تصلح فلما علمت ذلك أرجعت يدي فإذا بباب من أبواب جهنم يفتح فخفت خاف الرسول فرجعت القهقرى فأكملت صلاتي ولذا يقول الرسول لست كهيئتكم إنما أبيت عند ربي فيطعمني ويسقيني.

بهذا .. يزيد اليقين في قلوبنا

ويرى الإنسان اليقين في ثمرة الأعمال بمعنى قال العلماء إن النعمة والابتلاء إنما هما من الله عز وجل فهذا بداية إنبات شجرة اليقين ونجد أن اليقين عند الصحابة قال ﷺ لما سأل عن علامات الساعة الكبرى قال أن تطلع الشمس من مغربها قالوا كم تمكث يا رسول الله قال تمكث في أول يوم سنة تظل لمدة سنة أول يوم بمعايير الدنيا انظر إلى الصحابة ماذا قالوا قالوا كيف نصلي يومنا يا رسول الله وهذا من سبق أهل اليقين أن تقتنع أن النعمة من الله فيفرح المؤمن بها وهكذا قال الرسول «اقدروا له قدره» [رواه مسلم].

قال ﷺ **«عجبا لأمر المؤمن فإن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن**

أصابته سَرَّاء شكر فكان خيرًا له إن أصابته ضَرَّاء صبر فكان خيرًا له» [رواه مسلم].

وقد يزيد الإيمان وينقص في اعتقاد أهل السنة والجماعة فالإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي.

الدعاء بأن يزيد الله اليقين في قلوب أحبائنا وإخواننا الفلسطينيين فبزيادة اليقين عندهم نشعر أن الصف الأول من هؤلاء القائمين على أمر الله عز وجل فهم يحموننا ويحمون المسلمون ويدافعون عنهم وعندما ينقص أو يضعف اليقين يبدأ الإيمان في النقصان ويذكر النبي ﷺ إن للقلوب إقبالا وإدبارا فإذا أقبلت فتنافلوا وإذا أدبرت فأدوا الفريضة.

لا يحب أحد الموت ولكن نجد أن العباس عم النبي طلب منه أن يدعو الله أن يغادر هذه الدنيا فأجاب النبي قال يا عباس يا عماه لا يتمنين أحدكم الموت لضر قد نزل به ولكن يقول: **«اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي»** [رواه البخاري] وقد دخل فرأى أم حبيبة تقول اللهم أطل عمر زوجي رسول الله وعمر أخي معاوية وعمر أبي أبى سفيان فقال لها يا أم حبيبة سألتي الله أعمارًا مكتوبة وآجالاً محدودة قولي اللهم بارك لهم في أعمارهم فلا تطال الأعمار إلا في حالة بر الوالدين ولا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا بر الوالدين.

فالإيمان يزيد باليقين فيناد في أقاربنا لابد من أن نصلح ما بيننا وبين الله أولا ثم العلاقات الاجتماعية ما بيننا وبين الأقارب والعائلات والقبائل والدول فإذا انصلحت العلاقات بيننا وبين الله انصلحت بيننا وبين الأقارب وبين كل شيء آخر.

وقد ذكر بعض السلف أن راعي غنم رآه أعرابي فقال له: ما هذه الكلاب كلها التي معك فقال هذه ليست كلاب إنها ذئاب ترعى لي الغنم فمنذ تولي

عمر بن عبد العزيز والذئاب ترعى لنا أغنامنا فلما بلغ عمر ذلك طأطأ رأسه متواضعا وقال أصلحنا ما بيننا وبين الله فأصلح الله بين الذئب والغنم.

وكذلك الحسن البصري كان يرى الناس عليه هالة من النور فكانوا يتعجبون من ذلك ويقولون عهدناك آدم اللون فما هذا البهاء فيقول نحن قوم خلونا بالله في ظلمات الليل فكسانا من جماله وجلاله فليجرب المجتهدون ركعتين في جوف الليل فدقائق الليل غالية فلا تخلطوها بغفلة هكذا يقول العلماء ونحافظ على اليقين عن طريق صدق التوكل على الله ويعمل الإنسان اختبارات لنفسه فالأمر الذي يتعارض مع النفس أصنعه وما يوافق النفس أتردد واستخير قبل أن أصنعه لأن النفس لا يسهل عليها إلا ما يغضب الله وما يرضي الشيطان.

فالنفس بطبيعتها أمارة بالسوء ولذلك يقول الشافعي عندما استعصت عليه نفسه قيام ليلة وذهب إلى شيخه فقال له يا شافعي قيدتك ذنوبك فذهب ليبحث عن ذنبه ولأن ذنوبه قليلة فعرف ذنبه فإذا به يقول دخلت المسجد ذات مرة قبل الفجر فرأيت رجلا يصلي ويبكي فقلت أما كان حريًا بهذا أن يبكي في بيته قال فعلمت أني قد اغتبته قال فذهبت فبحثت عنه ثم استسمحته فعفا عني فعدت إلى قيام الليل مرة أخرى.

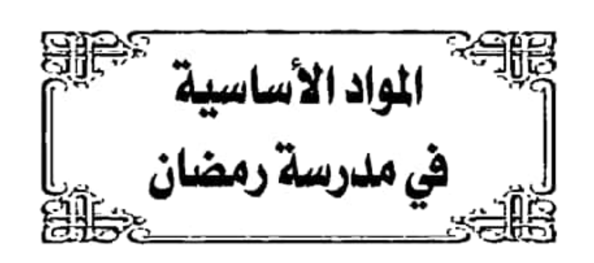
من فقه التوبة والدعاء...

ونجد أيضا أن الدعاء مهم جدا والله يحب العبد الذي يدعوه مرارا وتكرارًا إلا أن تأخير إجابة الدعاء ليست من غضب الله على عبده ولكن الله يحب أن يسمع صوت عبده يدعوه أما إذا غضب على عبد أعطاه ما يطلب حتى لا يطلب منه مرة أخرى فدليل عدم الاستجابة ليس من غضب الله ولكن الله يحب العبد اللحوح الذي يدعوه ويلح عليه في الدعاء.

ونجد أن هناك من الناس من يفعل المعصية ثم يتوب إلى الله ويلح عليه بالدعاء والاستغفار والتوبة إلا أن للتوبة شروطًا وكذلك لها دلائل تدل على قبولها فنجد أن المرء العاصي كان يتذوق حلاوة المعصية فإذا ما تاب وجد حلاوة المعصية مرارة ومرارة الطاعة حلاوة فنجد أن الإنسان عندما كان عاصيا ويعمل المعصية يجد لها حلاوة ويغضب أن فاتته معصية ولكن بعدما تاب يجد لها مرارة وإن فاتته المعصية يفرح فهذا دليل قبول التوبة وكانت الطاعات ثقيلة عليه فصارت سهلة خفيفة عليه وهذا من دليل قبول التوبة.

وينمي اليقين بالصحبة الطيبة الذي إذا رأيته ذكرك بالله وقد ذكر ابن مسعود أنه رأى ثورين يجران الحراثة وهناك خشبة طويلة تربط بينهما فتوقف ثور يحك جلده فتوقف الآخر فبكى ابن مسعود فقيل ما يبكيك فقال هكذا الإخوان في الله إذا توقف أحدهما عن الطاعة لله وافقه الآخر لذلك فلابد من أخ صالح يعينك على الطريق إن رآني غافلاً ذكرني وإن رآني ذاكرا أعانني وبذلك يزرع الخير في قلب العبد واليقين كذلك في القلب.

* * *



المواد الأساسية في مدرسة رمضان

رمضان موسم الغَرْس...

يوجد فرق شاسع ما بين الرجاء والتمني فهذا باب وهذا باب آخر فالله عـز وجل يقول ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلاَ أَمَانِيِّ أَهْـلِ الْكِتَـابِ﴾ [النساء: ١٢٣] وكمـا يقـول الحكماء الأماني رأس مال المفاليس،والأمنية قائمة على عمل والنبي ﷺ يقـول: ليس الإيمان بالأماني لكن ما وقر في القلـب وصـدقه العمـل، قـال العلمـاء إن المؤمن يزرع ويخشى الكساد والمنافق يقلع ويبدو الحصاد.

كان حاتم الأصم يصلي بالناس صلاة العصر وكان المسجد ممتلئًا عن آخره فلما سلم لم يجد في المسجد أحدًا وقد سمع في الناس ضجة قال ما حدث قـالوا أما سمعت يا إمام أن سارية من سواري المسجد وقعت فكاد المسجد أن يقع أما شعرت قال أنا كنت أصلي قالوا قل لنا يا حاتم كيف تصـلي فقـال أنـا إن جـاء وقت الصلاة أسبغ الوضوء وأجلس في المكـان الـذي أصـلي فيـه حتـى تجتمـع جوارحي ثم أقوم لأكـبر وأقـرأ قرآنًـا بترتيـل وأركـع ركوعًـا بخشـوع وأسـجد سجودًا بتواضع وأضع الجنة على يميني والنار عن يساري والكعبـة بـين حـاجبي والصراط تحت قدمي وملك الموت ورائـي حتـى آخـر صـلاتي ثـم اتبـع ذلـك بالإخلاص في النية ثم لم أدرك والله أقبلها مـني رب العبـاد أم لا، فهـذا إنسـان يزرع ويخشى الكساد.

من أسبغ في الوضوء وأتم ركوعها وسجودها لُفت كما يُلف الثوب الأبيض

وإذا صعدوا إلى السماء قال داعيه لصاحبها حفظه الله وحفظك وإن لم يسبغ وضوءه ولم يتم ركوعها لفت كما يلف الثوب الخرق ويضرب بها على وجه صاحبها وتقول له ضيعك الله كما ضيعتني.

فالراجي يعمل ويغرس العمل شجرات لتثمر أمنية، لكن التمني رأس مال المفاليس.

المواد الأساسية في رمضان عديدة ومتنوعة أولها:- الأدب مع الله كقول أيوب عليه السلام ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣] ولم يقل (ربي إني ضرنيَ الضر) وقول موسى ﷺ ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨: ٨٠] ولم يقل (إذا مرضني فهو يشفيني وهذا أدب مع الله.

وكذلك الخضر ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩] وقد قال ﴿فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ...﴾ [الكهف: ٨١] وقال أيضًا ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢]، ولم يقل «فأراد ربك أن يعيبها» وهذا من الأدب مع الله.

وفي نفس الوقت نجد أناسًا عندما يصيبهم ضيق أو عسر أو ابتلاء تراهم يقولون لماذا يحدث هذا فيَّ فأنا مستقيم ولا أصنع كذا ولا أرتكب كذا وهذا من قمة سوء الأدب مع الله تعالى فالمؤمن عندما يرى ابتلاء قادمًا يقول مرحبًا بشعائر الصالحين، لأن الابتلاء من النبوة فمن طال حظه من الابتلاء طال حظه من ميراث النبوة.

وكثير من الناس يضيعون أوقاتهم وأوقات غيرهم في رمضان.

لقد قطعت رجل عروة بن الزبير فبكى فقالوا له أتبكي من قضاء الله يا عروة قال لا والله ما أبكي من قطع قدمي ولكن أبكي من أن يعلم الله أنها ما

سارت إلا لتعمير بيوت الله والإنفاق على اليتامى والمحتاجين ولكن يا رب إن كنت قد أخذت القليل فقد أبقيت الكثير فكيف أشكرك يا الله، قال الحسن البصري والله لقد ظلمنا أهل الدنيا، فنظروا إلى حسن البصري فقال أكلوا فأكلنا وشربوا فشربنا ولبسوا فلبسنا ولكنهم من الغد قلقون ونحن في رحمة الله مطمئنون فإذا مر عليك أربعون يومًا لم تبتلي راجع حساباتك مع الله.

أنواع الحياء...

قال رسول الله ﷺ: «**إن لكل دين خلق وخلق الإسلام الحياء**» [مالك في الموطأ] وقال رب العزة ﴿**فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ**﴾ [القصص: ٢٥] فهي تمشي على استحياء وقولها أشد حياء.

أول نوع من أنواع الحياء: الجناية

بمعنى أن الإنسان إذا ارتكب جناية. فأبونا آدم كان في قمة الحياء مع الله لما أكل من الشجرة قال الله في كتابه الكريم ﴿**فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ**﴾ [طه: ١٢١] وهنا استشعر آدم الحياء مع الله فقال ﴿**وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [الأعراف: ٢٣].

والثاني: حياء الحشمة

وهو كحياء الأنبياء ومن صفات سيدنا موسى أنه حيي مع الله فقد وصفه رسول الله ﷺ كان أخي موسى حييًا.

وكذلك رسول الله ﷺ كان في الحياء أشد من البنت البكر في خدرها وسألته امرأة سؤالاً يخص النساء فاحمر وجهه فتسمع عائشة فتنادي المرأة وتشرح لها ما سمعته من الرسول ﷺ.

والثالث: حياء الكرم: يقول الصحابة ما رأينا إنسانًا كريم الخلق ككرم خلق رسول الله.

والرابع: حياء التقصير

يقول الرسول في صحيح مسلم: أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيها جبهة ملك ساجد يسبح بحمد الله حتى إذا حشروا يوم القيامة قالوا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، على الرغم من أنهم لا يقنطون عن العبادة.

ومن أنواع الحياء أيضًا الحياء الذي يحدث عند الناس إذا ذكر أمام بنت شيء من الزواج أو تقول لها فلان كلمني اليوم عن خطبة ابنتي فتختفي البنت لعدة أيام ويحمر وجهها وتخجل وكأنه قضية تستدعي لخدش الحياء فهذا أمر منطقي فقد كان أبناء رسول الله ﷺ في الحياء مواقف عجيبة فكان إذا جاء من يخطب بنتًا من بنات النبي ﷺ يسر الرسول لخديجة أن فلانة قد ذكرها فلان فتأتي خديجة بابنتها لتجلسها خلف ستار والرسول خارج هذا الستار ويقول لها فلان يذكرك وينظر إليها فإن تحركت علم أن هذه علامة الرفض وإن سكتت علم أن هذه علامة الموافقة.

كان الإمام الشافعي يقول يا رب رزقتني الإسلام وأنا لم أسألك فارزقني الجنة وأنا أسألك وقال تعالى ﴿**اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾ [سبأ: ١٣] فالشكر من جنس النعمة.

قال عمران بن صعب من لا حياء له لا دين له، فإن من عنده حياء عنده دين وخلق نص عليه قول النبي ﷺ «**الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان**» [رواه البخاري] ونحن ندرك شعبة وننسى أخرى وهذا لا يجوز ولا يقبل لأن الدين متكامل شعب متسلسلة فإذا أدركت واحدة لابد أن تدرك الباقي فليس من طبع المسلم أن يأخذ من المنهج ما يعجبني وأدع ما لا يعجبني فليس هذا من الدين ﴿**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا**

جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ...﴾ [البقرة: ٨٥].

شُكْر النعمة...

ونتقل إلى كتاب آخر وهو الشكر، إن المدلول اللغوي للشكر عجيب تقول العرب دابة شكور أي ظهرت عليها أثار النعمة إذًا الشكر الحقيقي عند العرب هي إظهار نعم الله، فنعمة الله على الإنسان أفضل نعمة، وقد أعطانا الله وأنعم علينا بأفضل نعمة وهي نعمة الإسلام، فطريقة شكر الله هو أن يقوم الليل ويصوم النهار ويخرج الزكاة هذا هو الشكر لأن الشكر من جنس النعمة، هارون الرشيد سار مع أحد أصدقائه فقطع نعل صديقه، فحمله تحت إبطه، فخلع هارون الرشيد نعله وحمله تحت إبطه قال لماذا تفعل هذا يا أمير المؤمنين قال أشاركك.

وعمر ﷺ زاره علي في يوم شديد البرودة فوجد جسده كله عريانًا إلا عورته مغطاة قال له ماذا تفعل يا أمير المؤمنين قال هذا يوم شديد البرودة وعندما لم أجد ما أعطيه لإخواننا الفقراء أحببت أن أشاركهم العراء.

ويوسف ﷺ لما تولى خزائن مصر دخل عليه خادمه بطعام فقال إني صائم فدخل باليوم الثاني فقال إني صائم دخل باليوم الثالث فقال إني صائم، فقال أجوع كي لا أنسي الجياع.

وقد عرف علماء القلوب الشكر يقولون هو قيد الموجودة وصيد النعم المفقودة. فهناك نوعان من النعم وهما النعم الموجودة والنعم المفقودة والنعمة الموجودة لأني أقيدها بالشكر قال علماؤنا قيدوا النعمة بالشكر.

ومن لم يقيد النعمة بالشكر فقدها. دخل الرسول ﷺ يومًا على عائشة

فوجد قطعة خبز وقعت على الأرض فأخذها وأماط الأذى عنها ثم نفخها ووضعها في مكان آخر وقال: «يا عائشة أكثري أو حسني جوار نعم الله فما من قوم أعطيت لهم نعمة وما حسنوا جوارها إلا زالت عنهم وقلما ما عادت إليهم؛ فعيبنا أننا نذكر النعمة ونسينا المنعم فقال قارون ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾ [القصص: ٧٨] فتذكر نعمة المال ونسى المنعم بها عليه. باع رجل بيتًا وكتب عقد البيت وعاد فقابله أحد التابعين قال ما الذي في يدك قال نعم الله عز وجل لعله الله يرزقني شكره.

الصبر.. لا حدود لثوابه

ثم ننتقل إلى الصبر فلو انقسم الإيمان إلى نصفين الصبر والشكر والصبر مر عند العلماء ومذاقه أحلى من العسل فقد قال أحد الصالحين: سأصبر حتى يعجز الصبر عن صبري وأصبر حتى يأذن الله في أمرى وأصبر حتى يعلم الصبر أني صابر على شيء أَمَرَّ من الصبر.

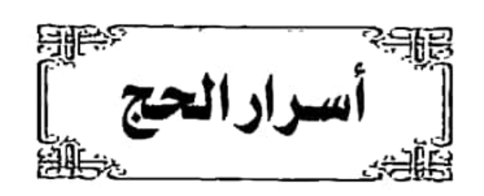
ويوجد صبر جميل وهجر جميل وصفح جميل وحديث جميل

قال تعالى لرسوله الكريم ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨] والصبر الجميل الذي يكون بدون شكوى أي نفس راضية مطمئنة لأمر الله فإذ شكوت فأنت لا تصبر لأنك تشكو الذي يرحم للذي لا يرحم أي تشكو الخلاق للمخلوق وهذا سوء أدب مع الله، والهجر الجميل هو هجر بلا انقطاع فمثلا أهلي يؤذونني أو جيران يؤذونني أهجرهم لكن بدون انقطاع أي في المناسبات والأعياد أكون موجودًا الصفح الجميل صفح بدون معاتبة ونأتي إلى صبر الصحابية التي كانت تقطع اللحم مع جاريتها فقطعت أصابع الصحابية فضحكت فقالت الجارية أتضحكين والدم ينزل منك فقالت لما وجدت حلاوة الصبر نسيت مرارة الألم وسب رجل الله فذهب أحد المسلمين لقتله فبصق الرجل على وجه المسلم

فأغمد المسلم سيفه فلما سئل عن ذلك قال كنت أريد قتله لوجه الله فلما بصق على وجهي خشيت أن يكون هذا القتل غضبًا لنفسي.

ولكل شيء أمر وثواب فالصلاة لها حسنات معينة والصيام له حسنات معينة والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كل شيء له حسنات معينة إلا الصبر فقال تعالى ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] وعلم أن يوم القيامة يخرج الناس من الأجداث في حالة من الهلع والفزع إلا بعض الأقوام يذهبون من القبور إلى باب الجنة ظنًا أنهم الصابرون.

* * *



أسرار الحج

أسرار العبادة

للعبادة أسرار وسعادة ولها أركان وسنن ولها مكروهات وتتصل الأعمال القلبية بهذه السعادة.

- فعند الوضوء يوقن الإنسان أن هذه اليد التي تُغسل لا ينبغي لها أن تكتب شهادة زور أو تسرق أو تأخذ أي شيء لا تستحقه. وهذا اللسان الذي يُغسل لا ينبغي له أن يسب أو يتكلم في أعراض الناس. وهكذا....

وانظر إلى الشافعي بعد ما بلغ السبعين من عمره كانت أسنانه مازالت بيضاء كما هي. سئل عن ذلك فقال إنما هي إعانة الله وحفظه علينا في الدنيا.

ولما مات الشافعي رحمه الله كان يُغسله الوضوء.

وهكذا الصلاة أيضًا فنحن نقرأ الآية ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ....﴾ [الفاتحة: ٦] ١٧ مرة في اليوم فينبغي على قرائها أن يتذكروا صراط النبي محمد ﷺ وصحابته ويبتعد عن المغضوب عليهم والضالين مثل أبي جهل وأبي لهب ومن كان مثلهم.

فلابد للإنسان أن يتعايش مع هذه الأسرار وهي استحضار الصورة التي يكون فيها العبادة.

❋ أسرار الحج

تكتمل هذه الأسرار بأداء المناسك؟ ولنرَ سويًا قيمته في الإسلام. فهذا عمر

ﷺ يقول لو جيء إلى برجل كان يستطيع أن يحج ولم يحج لن أصلي عليه.

- **«من استطاع أن يحج ولم يحج فلا عليه أن يموت يهوديًا أو نصرانيًا»** [رواه الترمذي] واسمع قول الرسول ﷺ: **«من حج ولم يرفث أو يفسق رجع كيوم ولدته أمه....»** [رواه البخاري].

ولذلك فإن أسرار الحج تكمن في النقاط التالية:-

١- يجب أن يكون مال الحج حلالاً.

فهذا الرجل يسافر أشعث أغبر ويتعب نفسه ولكن يقال له: مالك من حرام وطعامك من حرام لا لبيك ولا سعديك.

٢- تذكر الآخرة

فأنت تلبس زيًا موحدًا ليس فيه مخيط. وتترك مالك وأصلك. ولون الملبس أبيض كل ذلك يذكرك بتلك الدنيا والانتقال إلى الآخرة.

- وينبغي على الحاج أن يقول لأهله عند الوداع: أستودعكم الله ويقول الأهل: أستودع الله أهلك ودينك وخواتيم أعمالك.

وهناك بعض الأخطاء عند الوداع مثل القول: لا إله إلا الله فيرد عليه: محمد رسول الله، كل هذا ليس من السنة في شيء.

٣- التلبية

حيث تستشعر بقلبك وأنت تقول لبيك اللهم لبيك أنك في أطهر مكان على وجه الأرض وهذا المكان اختاره الله ليأتي إليه الناس من جميع بقاع العالم.

٤- مغفرة ذنوب الحاج ولمن استغفر له.

قال عمر لرسول الله: أستأذنك للعمرة فقال له النبي ﷺ «**أي أخي أشركنا في دعائك ولا تَنْسَنا**» [رواه الترمذي] انظر إلى تواضع النبي المعصوم.

يقول عمر: هذه الكلمة خير لي مما تطلع عليه الشمس.

فلا تنسَ أخي القارئ إخوانك من دعاءك ولا تنسَ المسلمين المستضعفين في كل بقاع الأرض.

٥- أخطاء يجب أن تتجنبها

أ- لا تزاحم الناس. حيث قال النبي ﷺ لعمر في حجة الوداع. «**يا عمر إنك رجل قوي لا تزاحم على الحجر**» [رواه أحمد] ولكن للأسف الآن نجد أن الحاج يذهب وكأنه ذاهب لحرب مقدسة حرب يقاتل ويدافع وهذا فرفوض تمامًا في الإسلام فالحج من آدابه السكينة.

ب- عدم التشويش على الحجاج

فالنبي في يوم رأى أناسا يرفعون أصواتهم بالدعاء فقال: «**إنكم لا تدعون أَصَمَّ ولا غائبًا ولكن تدعون سميعًا بصيرًا**». [رواه البخاري]

وها هو ابن عباس يشير إلى الحجر من بعيد بيده ويقول بسم الله الله أكبر. ولكنه لا يزاحم الناس لأنه يعلم أن هذا ليس من ديننا.

وأنت في الطواف ينبغي عليك أن تستشعر أن إبراهيم ﷺ ترك ابنه وزوجته في هذا المكان ثم أراد الله عز وجل أن يبلغ معه السعي وأمرهما الله أن يرفعا قواعد هذا البيت.

- يقال إن الكعبة اشتكت إلى الله من قلة طائفيها؟ فقال الله يا كعبتي

وعزتي وجلالي لاخلقن لكي أناس يحنون إليك كما يحن الطائر إلى طائره.

٦- ماء زمزم

وهنا لابد وأن تتذكر موقف عبد المطلب. فالقضية تبدأ عندما رأى عبد المطلب في المنام هاتف يقول: هيا عبد المطلب احفر جدة قال وما جدة؟ فاستيقظ من نومه فرأى في اليوم التالي في المنام نفس الهاتف يقول له يا عبد المطلب أحفر المضمونة؟ قال وما المضمونة فغادره الهاتف.

وفي اليوم الثالث رأى الهاتف ويقول له: يا عبد المطلب أحفر زمزم قال وما زمزم؟ قال لا تحف ولا تذم عن حفره الأعظم. وأعطاه علامة الغراب الذي سيكون موجودًا مكان الحفر وذهب عبد المطلب وحفر البئر هو وابنه الأكبر الحارس بن عبد المطلب.

ومن الملحوظ أن الحسن البصري لماجاء من العراق وذهب فكان أول ما شرب هو من ماء زمزم وكان حريصًا على ذلك. ولم سئل عن ذلك قال إني أرى يوم العطش الأكبر.

ثم يسعى المرء بعد ذلك بين الصفا والمروة ويستشعر كيف قاست السيدة هاجر رضي الله عنها في البحث عن الماء لابنها الرضيع حيث أن ما بين جبل الصفا والمروة لم يكن كما هو عليه الآن. بل كان عبارة عن صخور وحجارة.

وإذا انتهى الإنسان من السعي ذهب في اليوم التالي إلى منى.

ثم يأتي يوم عرفة يوم الحج الأكبر خير يوم طلعت عليه الشمس فهذا المكان يتساوى فيه الجميع يقفون بين يدي الله تعالى. لا فرق بين الغني وبين الفقير.

ويقول الله من أكبر الكبائر أنك تمر من يوم عرفة ولم يغفر لك.

وبعد هذا الموقف العظيم تجد الناس يتزاحمون على وسائل المواصلات وكأنهم يريدون أن يهربوا من هذا المكان كلا يا أخي تمهل وعلى سكينة اذهب

إلى المزدلفة وصل هناك بعد ساعة أو ساعتين من منتصف الليل.

ثم يأخذ الحصى بين المغرب والعشاء ويدعو الله سبحانه بالقبول ثم يتحرك لرمي الجمرات في العقبة الكبرى. ويتذكر الإنسان في هذا المكان أن إبراهيم سلم نفسه لله لما أرد أن يذبح ابنه إسماعيل فجاءه الشيطان عند العقبة الأولى وقال أجننت أتذبح ولدك وتذبح وحيدك وإبراهيم يريد أن يداري على صوت الشيطان فيكبر. فيأتيه الشيطان عند العقبة الثانية ويقول له أتذبح ولدك فيكبر ويرميه بالحصى.

وبعد رمي الجمرات نذهب لنحلق رؤوسنا. وليعلم الإنسان أن كل شعره تنزل تغفر له ذنوبه.

قال النبي ﷺ: «**رحم الله المحلقين**» [رواه البخاري] قال الصحابة والمقصرين يا رسول الله قال: «**رحم الله المحلقين**» قال الصحابة والمقصرين يا رسول الله قال: «**رحم الله المحلقين**» قال الصحابة والمقصرين يا رسول الله قال النبي: «**والمقصرين**».

ثم نعود ونطوف طواف الإفاضة و نعود إلى منى ونصلي اليوم الثاني والثالث ثم نرمي الجمرات الثلاث.

ثم نطوف بالكعبة طواف الوداع. وندعو الله أن لا تكون آخر مرة.

وهنا يكون الإنسان قد أكمل أركان الإسلام الخمسة. ولابد أن يعلم الإنسان أن هذه هي أعمدة الدين ولكن للإسلام فرائض كثيرة غير هذه الأعمدة. فصلة الأرحام والبعد عن الباطل ولبس الحجاب وكل ذلك من فرائض الإسلام لابد أن ينتبه إليها الحاج.

ولذا نقول للمقتدرين الذين يستطيعون أن يحجوا أكثر من مرة لابد وأن يعلموا فقه الأولويات فإن كثيرًا من المسلمين فقراء وعلاج المسلمين

ومساعدتهم فرض من الفروض.

واعلم أن إدخال السرور على قلب المسلم فريضة من الفرائض.

أليس إذا جئت بفقير وأعطيت له مال الحجة الثانية أليس ذلك خيرًا لك. أو زوجت بها شابًا أو عالجت بها فقيرًا أو نصرت بها مظلومًا. كل هذا أفضل لك من أن تحج مرة أو مرتين.

وأخيرًا: نوصى من أراد الحج أن يراعي المال الحلال في حجه ثم يتواضع ويشكر الله أنه نوله هذه النعمة العظيمة.

* * *

الباب الثاني

في مجاهدة النفس

١- علو الهمة

٢- حفظ السسان

٣- مصائب اللسان

٤- التأني والعجلة

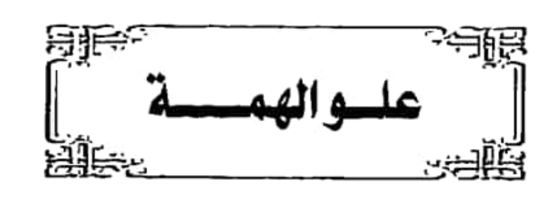
٥- الفضائل

٦- البسمة والتبسم

٧- الظلم

٨- تفريج الكربات

٩- صفات عباد الرحمن



علو الهمة

الهمة أقصى درجات الإرادة

نحن نحتاج في هذه الأيام من كل فرد من الأمة أن يكون عالي الهمة، علو الهمة يقتضي أن ننظر ونقتبس علو الهمة عند الأنبياء عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام، كيف قامت همتهم في الدعوة كيف كانت همتهم في الصبر على الابتلاء والأذى ومن سار على دربهم ومن تبعهم بإحسان.

نأخذ نقاط مضيئة تضيء لنا الطريق حتى تقتدي الأمة وتعلو الهمم مرة أخرى كما كان سلفنا الصالح.

وعلو الهمة في الاتباع وليس الابتداع تجده في الخلق الحسن في سوق التوكل، الذكر في الدعاء كيف يكون الإنسان عالي الهمة في الدعاء ليس دعاء النائم غير عالي الهمة، هناك حشرات عندها علو همة وهناك مخلوقات غير الإنسان عندها علو همة الإنسان. وهناك علو همة لدى الحيوان.

قال الشاعر

تهون علينا في المعالي نفوسنا ومن يخطب الحسناء لم يغلها المهر

فهذا فيه دلالة واضحة على علو الهمة والارتقاء في مدارج السالكين.

معنى الهمة لغويا: (من وجهة نظر اللغة العربية) هي مبدأ الإرادة للإنسان بداية الإرادة تسمى همة وهي تخص الإرادة وهي أعلى شيء في الإرادة وإذا وصل الإنسان إلى نهاية الإرادة فهذا هو علو الهمة، فالهم هو الهم بفعل الشيء وفي قوله عز وجل ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ [يوسف: ٢٤] هذا بداية الإرادة. أما

الهمة فهي منتهى الإرادة هذا إذا التصقت بالإنسان وليس بخلق الإنسان.

يقال الملك الهمام. الملك العظيم الذي إن أراد شيئًا أمضاه إن أراد أن يفعل شيئا فعله، ولكن الرجل الهم يعني الشيخ البالي الذي أكل الزمان عليه وشرب.

هناك علاقة ما بين الهمة وإيمان الإنسان.

هناك من يفدي الباطل بدمه

فالإنسان الذي دخل في طريق الإيمان وفتح له باب الإيمان وظهرت عليه علامات الإيمان الحقيقية لا يصل ولن يصل إلى هذه الدرجة من الإيمان إلا إذا كان عالي الهمة، فهناك أحيانا همة عند الكافر مخلصًا في كفره وهناك مقولة قالها علمائنا المخلص في كفره ينتصر على المزيف في إيمانه.

في التاريخ هناك مقام قميص إيزابيلا العتيق وهي بنت خوان ملك قشتاله هذه نذرت ألا تخلع قميصها الداخلي حتى تتحرر قشتالة وتعود غرناطة من أيدي المسلمين وظل قميصها هذا ثلاثين عاما متواصلا عليها لا تخلعه نذرا وعندما سلم لها أبو عبد الله الصغير آخر الملوك فرضت عليه أحد عشر ألفا مثقالا من ذهب جزية فصار هو الذي يدفع الجزية وأخذت ابنه الصغير رهينة حتى يعيد إليها ملك آبائها غرناطة وهي التي كانت ترهن جواهرها كي تدفع مرتبات الجنود وهي التي موّلت رحلة كولومبس إلى أمريكا إلى العالم الجديد نحن نريد إيزابيلا مسلمة في زماننا هذا.

إذا كان هذا هو هم الكافر أو المعادي فما بالنا نحن والطريق واضح أمامنا فهناك ارتباط وثيق بين الهمة العالية والإيمان الصادق، فلما نجد إنسان مزعزع الإيمان مزعزع العقيدة تعرف أن همته ضعيفة.

الهمة وراء نجاح الهجرة

المؤمن الضعيف يتعلل بالقضاء والقدر والمؤمن القوي هو الذي يؤمن بقضاء الله وقدره في الأرض هذه هي الهمة العالية. حدثت الهجرة من مكة إلى المدينة وكانت همة المسلمين وقتها في أعلى مراتبها.

وكل حركات الأنبياء بناء على وحي فلا يتحرك النبي من ذاته فذا النون لما تحرك من نفسه التقمه الحوت فنادى في الظلمات لما ابتلعه الحوت.

لابد أن يتحرك النبي أو الرسول بأمر من الله تبارك وتعالى فيقول الله عز وجل ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠] جاءت الهجرة فتجد كل عنصر من عناصرها وأشخاصها أكبر همة والهمة العليا لسيدنا رسول الله وهو القدوة والأسوة.

وتجد همة أبي بكر عند إخبار الرسول له بأمر الهجرة ويطلب منه إخراج من عنده من المنزل ويقول أبو بكر ليس إلا زوجتي وابنتاى، فالأمر خطير فلا تجسست زوجة أبن بكر لتسمع ما يقال لزوجها فهذه بيوت صنعت بهمة عالية.

فأسماء تحمل الطعام للغار وعبد الرحمن أخوها يطمس آثار الأقدام بقطيعه. فالهجرة همة ما بعدها همة لما لحق سراقة برسول الله ﷺ وكان رسول الله هو وصاحبه مطارد من قبل قريش ويعده الرسول ﷺ بسوار كسرى.

وبعد سنوات طويلة أكثر من عشرين سنة يأتي سعد بن أبي وقاص ويدخل المدائن عاصمة كسرى ويأخذ سوار كسرى ويرسلها إلى عمر في المدينة يقف عمر على المنبر أين سراقة بن مالك قال نعم يا أمير المؤمنين قال هذا ما وعد الله ورسوله وصدق الله ورسوله هذه همة عالية من الرسول في هذه الآونة وهو الأسوة والقدوة.

همة تتحدى النيران

نعود قديمًا إلى أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام هو الذي قدم جسده للنيران وطعامه للضيفان وولده للقربان فمدحه الرحمن وقال ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم: ٣٧] فهذه هي الهمة العالية التي يأمر إبراهيم أن يترك ولده الصغير رضيعه مع أمه هاجر في وادي غير ذي زرع عند بيت الله الحرام أي همة تلك وقوله عز وجل:

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ انظر بعلة ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [إبراهيم: ٣٧] وهنا دعا الله أن يرزقهم الخيرات والثمرات من آمن منهم وقصرها على المؤمنين فقط انظر إلى الخيرات التي تمت بعد ذلك هذه همة عالية.

وعندما يأمر ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: ١٠٢] من الذي يجرؤ على هذا؟!.

وتظهر همته العالية وهو يرفع القواعد من البيت ما طلب إعانة. ابدأ بمن تعول، ما عندك من أسباب ورب الأسباب سوف يسبب الأسباب. هذه همة اليقين.

يقال إن النمرود لما منع الطعام والشراب والبيع والشراء على الخليل عليه السلام عادت السيدة سارة تقول لسيدنا إبراهيم تريد طعامًا (كما روي في كتب التفسير) فذهب الخليل ليشتري من السوق فامتنع التجار جميعًا من بيع شيء للخليل فقال أدخل على زوجتي هكذا بكيس فارغ فوضع فيه بعض الحبات من الرمل وحمله على كتفه كي لا يفاجئها، وبعد هنيهة توقظه سارة يا إبراهيم قم إن الطعام قد صار جاهزًا.. قال: من أين جئت بالطعام؟! قالت: من البطيخ الذي في الكيس...!!!

هذا هو اليقين و عند أهله أنت تمنع لكن رب السماء لا يمنع الرزق، الرزق في السماء قال أحد العلماء والله لو كانت الأرض من حديد والسماء من فضة والسماء تمطر قطرة من مطر والأرض لا تنبت نبتة من زرع ولي ما بين المشرق والمغرب عيالاً ما حملت لهم رزقهم. لأنه عند الله وسوف يرزقهم. هذا يقين هذه همة عالية مع طرق الأسباب فالعبد إذا توكل على الله يأخذ همة الأنبياء.

الهمة عز المؤمن وانشراح صدره

الكثير من الناس على أبواب العيادات النفسية يقفوا بالطوابير لأنه قلق من الغيب والمؤمن لا يقلق يضع أسبابه ثم يدعو رب العباد أن يعطيه راحة البال ويعطيه انشراحة صدره ويعطيه صدق التوكل يعطيه الانبساط وانبساط الأسارير يعطيه حلاوة أن ينتظر فرج الله سبحانه وتعالى لأن الأخر يظن أن كل شيء بالمقاييس إن الإيمان هو الواقع العملي إذا كثرت المعاصي وقل اليقين وضعف هذا يولد عند الإنسان دناءة.

سيدنا عبد الرحمن بن عوف يقول ببركة دعاء الرسول ﷺ ويعلم لو رفعت حجرا لوجدت تحته دينارًا من ذهب إن هذا اليقين في الله عز وجل.

سيدنا زكريا يسأل السيدة مريم **﴿يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾** [آل عمران: ٣٧] وهذه قضية مهمة في علو دينهم **﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾** [آل عمران: ٣٨] هنالك هذه تفيد بعدًا صحيحًا، أي بعد يعني، هذا هو المحراب وهذه مريم والله أقرب إلى العبد من حبل الوريد، فأي بعد هذا؟ بعد الأمنية في أن رجل بلغ من الكبر عتيا، شاب شعره، وأحدودب ظهره، امرأته عاقر. بعد الأمنية أسباب معطاة بعيدة لكن الله إذا أراد المسافات تتقارب والأمور تكن مشيئة.

فإن الله فطر الصحابة بسنته الجارية لا بسنته الخارقة. فلما صنعوا هم بأيديهم من السنن الجارية أعطاهم الله السنن الخارقة هذا هو علو الهمة.

سيدنا يوسف ﷺ مع أول درجة من درجات الجب كان يرتقى أول درجة من درجات العز لأن البلية في ظاهرها للعين المجردة هي بلية بُعْدِه عن أبيه وحزن الأب على ابنه هذه بليه لها ظواهر ولها ضوابط والمؤمن يرى بعين البصيرة لا بعين البصر قال سيدنا يعقوب ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ [يوسف: ١٣] ولكن لما ضاع ولد وضاع الثاني زادت المشكلة، لكن زاد الأمل عنده بعلو همته قال ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

إذا صاحب الهمة العالية لا ييأس.

- في أُحد أشيع أن رسول الله قد قُتل، بعض الصحابة قعدوا وقالوا علام نقاتل؟ الرسول قتل فيقوم أحدهم عالي الهمة لنمت على ما مات عليه رسول الله وركضوا يقاتلون مرة أخرى إن استشعار الأمل والهمة العالية تجعل الإنسان قويًا.

- سيدنا يوسف ﷺ علو همته كانت تقتضي أنه لا يدخل في دناءة المعصية وعندما أحاطت به شراك الفتنة ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ قال ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣] ولكن كادت تدخل ﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ [يوسف: ٣٣] فإن الهمة العالية لا تأتي إلا من الله عز وجل. كُلْ من كسب يمينك وعرق جبينك فإن ضعف يقينك فسل الله أن يعينك لأن يقين الإيمان يزيد وينقص صاحب الهمة العالية دائما مرتبط بالله عز وجل. لا تفتر عزيمته.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلاَ أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: ٢٤] لقد همت به هم

فعل وهم هو عنها هم ترك.الهم هنا غير الهم هنا.

وهذه شهادة من الشيطان لبراءة يوسف ﴿إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٤٠] هذا الهم من يوسف هو هم اجتناب وليس هم فعل ربما لا تأخذ على التقديم والتأخير.

﴿لَوْلاَ أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: ٢٤] برهان الله عز وجل هو النور الناصح في قلب العبد الذي يكسو الإنسان عندما تحين الشهوات. إذا فالهمة العالية هنا يقيض الله عز وجل له ما يغلق عليه باب المعصية ويفتح له باب الطاعة.

- كان ابن القيم يقول نفسي أخلصي تتخلصي، جميلا إن خلصت النية في عبادتي في طاعته في معاملتي أحتسب الأمر لله.

- كان سيدنا يوسف متأكدًا من أن الله تبارك وتعالى لن يوقعه في المعصية لأنه ما غفل عن ذكر الله قط.

همة ربانية تهزم الفراعنة

إن الله عز وجل يدفع الأذى والأذى الأكبر هو الشيطان. بأن يبعد الذنوب والمعاصي ويبعد طريق الشيطان ويغلقه إن كان الله سبحانه وتعالى يرزق الكافر والفاجر والمنحرف فما بالنا بعباده الصالحين إن الله يدافع عن الذين آمنوا وأول ما يدفع الله يدفع عنه الأذى الأكبرِ (الشيطان).

إن أردت أن تعرف مقامك عند الله فاعرف مقام الله عندك. قال الرجل للحسن: ما أنا عند الله؟ قال كم الله عندك. إذا كان الدين عندك يساوي كل شيء فأنت عند الله كل شيء ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۞ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾[الطارق: ١٣، ١٤].

- هل سيدنا موسى كان يدرك تمام الإدراك أن الله تبارك وتعالى سوف يعلي من همته حينما قيل له: إن جنود فرعون خلفنا والبحر أمامنا! قال: كلا إن الله

معي- فعلا موسى فأصبح من أولى العزم من الرسل. وهو صاحب همة عجيبة.

كان سيدنا موسى عليه السلام جهوري الصوت، فقد سأل النبي ﷺ وهو يمر ليلة المعراج لمن هذا الصوت الذي أسمعه يا جبريل؟ قال هذا صوت أخيك موسى في قبره. يسأل الرسول ولم يرفع صوته؟ قال: علم الله منه هذه الشدة فقبلها. يقول ربنا ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١] عنده قوة وعلو همة، عندما رأى سيدنا موسى بنى إسرائيل وقد اتخذوا العجل أخذ برأس أخيه يجره إليه وألقى الألواح فيها كلام الله هذه ثورة الحق.

كان النبي ﷺ حينما كان لا يُرَى مغاضبًا وغاضبًا إلا إذا انتهكت حرمة من حرمات الله يقول لأسامة «**أتشفع في حد من حدود الله**» حتى نفر من العرق و..... وقال «**والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها**» [رواه البخاري] هكذا يشهد له بعلو همته عند اللزوم هدوء داخلي قبل أن يكون هدوءًا خارجيًا.

قال أصحاب موسى ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۞ قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢] في معية الله. سيدنا موسى يتبعه أناس عندهم شك في إيمانهم مذبذبين عندما جفت أقدامه من بعد من ماء البحر حتى قالوا يا موسى ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]. ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ [البقرة: ٦١] في آخر المطاف لما سألهم أن يدخلوا الأرض المقدسة قالوا ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا﴾ [المائدة: ٢٤] ماذا صنع قال ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي﴾ [المائدة: ٢٥] ولولا أن يضمن أن أخاه رسول لمضى وحده ولهذا قال إن معي للاطمئنان.

همة الصديق ﷺ وابنته أم المؤمنين

- نجد في حادث الهجرة في الغار سيدنا محمد ﷺ يقول لسيدنا أبى بكر ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] فقدم لفظ الجلالة على المعية لم يقل إن معي الله وإن قدم

نبي الله موسى لفظ المعية على لفظ الجلالة ليس سوء أدب من الكليم إنه مؤدب أدبه ربه، الذي يجلس مع الرسول في الغار رجل على وشك أن يكون على درجة النبوة ثم تليه درجة الصديقين سيدنا أبو بكر لديه همة عالية أعلى همة فأين كانت الهمة حينما قال لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا- يخاف على رسول الله ﷺ فنجده يدخل الغار قبل أن يدخل الرسول كي يطمئن أنه ما في شيء في الغار.

تقول السيدة عائشة: ما رأيت أحد يبكي عند الفرح إلا أبا بكر لما بُشّر بالهجرة مع رسول الله.. بكى من الفرح مع أن السائر مع هذا الإنسان مقضي عليه. الرسول يقول لأبي بكر ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] لأنه يكلم الصديق الذي يقول من قبل إن كان قد قال هذا فقد صدق- فلمّا يسمع لفظ الجلالة تطمئن نفسه. أما بالنسبة لقوم موسى فإنهم قوم الفزع في داخلهم طبيعة عندهم.

وقدم موسى لفظ المعية على لفظ الجلالة لأنه مع قوم الخوف والهلع ديدنهم وطريقتهم وأسلوبهم في الحياة وخلقهم. فيأتي بلفظ المعية ليطمئنهم لأنه لو قال إن ربي ربما ينصرف عنه من ليس لهم همة عالية. حتى السبعين الذين اختارهم قالوا ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ [المائدة: ٢٢] ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾[المائدة: ٢٤].

- نقترب إلى الواقع هذا شأن الأنبياء والصديقين وما رأى منهم الرسول ﷺ وما رأى من المعجزات. فأين الهمة عن درجات الدنيا؟

السيدة عائشة عندما كانت تقرأ ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢] قالت أما السابق بالخيرات الذين عاشوا مع رسول الله ﷺ وأما المقتصد فصحبته الذين ساروا على درب الرسول ﷺ من بعده. أما الظالم لنفسه فأمثالي وأمثالكم. هذه أم المؤمنين تخيل هذا التواضع. هذا من

علو الهمة. لذلك كان أكبر مثل للتواضع هو نبينا محمد ﷺ.

- نجد أحيانا الزوجة الصالحة تصبر على الابتلاء تصبر على أذى الزوج أو تكاليف الحياة مثلاً. تجدها وزيرة اقتصاد في بيتها ربما تخيط وترقع الثوب كي لا تشتري ثوبًا جديدًا تصبر على الغلاء إن كان الدخل محدودًا ترعى أبناءها تغرس فيهم القيم الجميلة لا تذكر أباهم بشيء أمامهم إنما تعلي من شأنه حتى وإن كان لا يساوي هذا ليصير قدوة لهم. وتحافظ على دينها وتلتزم بأسرارها هذه امرأة عالية الهمة.

وكثير من نسائنا بفضل الله هكذا. وكثير من شبابنا يترك الفسوق والانحراف وتمتلئ بهم المساجد وتعمر بهم كذلك تراهم في الحي تراهم في القاعة تراهم في مجالس العلم يحترمون العلماء تراهم يعظمون الكبير ويعطفون على الصغير هؤلاء من أولادنا همتهم عالية.

الهمة في طلب العلم

علو الهمة في طلب العلم ننظر إلى سيدنا موسى قال لغلامه ﴿لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠] أعلن موسى أنه عندما تدب الحياة في هذا الحوت الذي معه هنا يلقى الرجل المطلوب أو المقصود التعلم حتى دخلوا على الرجل الصالح يقول موسى عليه السلام هذا علو الهمة في تواضع التعلم للعالم في الآية الكريمة ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١] ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]وهو الرسول الوحيد الذي لم ينزل عليه جبريل بوحي وإنما كان يأخذ الوحي مباشرة من الله عز وجل ويأخذ الألواح من سطح الجبل.

هذا الإنسان العظيم يسأل هذا الرجل الخضر المغمور الذي ظهر في التاريخ فجأة واختفى فجأة طلب منه أن يتعلم منه ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦] ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ [الكهف:

٦٧، ٦٨] طلبك مرفوض وهذا منطق قال ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٩] شدد عليه المسألة ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٧٠] اشترط عليه شرطًا.

لما خرق الخضر السفينة لم يحتمل سيدنا موسى عنده موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ [الكهف:٦٨] المصري يقتل رجل من شيعة من بني جلدته. هنا أخرقتها لتغرق أهلها هذه مسألة أما المسألة الثانية فهي أصعب ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٤، ٧٥] بدأ بالتوكيد إنك.

عندما أقام الجدار وموسى عليه السلام لم يحتمل قال الخضر ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨] أما تعلم أما تخاف يا عبد الله أنك تخالف الله عز وجل في اليوم ثلاثين مرة أو أكثر. ألا تخشى أن يقال لك هذا فراق بيني وبينك.

أوحى الله إلى سيدنا موسى يقول له يا موسى ما الذي تعجبت منه من أمر الخضر قال: أمر السفينة قال يا كليم الله هذه أمور حدثت لك عندما ألقتك أمك في اليم من الذي كان يحميك قال أنت يا رب. قال أحميك صغيرًا أزل عنك حمايتي كبيرًا إن كنت في بطن أمك لا عمل ولا كسب فرزقتك. الأمر الثاني: اعترضت على قتل الولد وبغير مبدأ أنت قتلت نفسًا. الأمر الثالث: الجدار عندما ذهبت إلى ماء مدين ﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤] نفس القضية التي أرسل إليك البنت لتذهب إلى أبيها وتطمئن وتتزوج من عنده ويصير لك مأكل ومشرب وتعيش عشر سنوات آمنا مطمئنا رغدًا ﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢٥] الذي صنع معك هذا هو الله.

- إن عبدًا من عباد الله يقال أنه في زمن سيدنا موسى قال يا كليم الله أطعت ربي عشرين سنة وعصيته العشرين أخرى فأريد أن أعود هل يقبلني؟ قال الله يا كليمي نبّئ عبدنا هذا أطعتنا فأحببناك وعصيتنا فأمهلناك ولو عدت إلينا على ما كان منك قبلناك.

- كان هناك رجل مع معاوية أمير المؤمنين قال له يا أمير المؤمنين شعرة في لقمتك قال معاوية أتلاحظني حتى رأيت الشعرة في لقمتي والله لا آكل معك أبدًا، أنت تراقبني مراقبة.

سمات أصحاب الهمم...

ما هي أخلاق علو الهمة؟ من منابع علو الهمة استشعار الأمل. فلابد أن يكون عندنا علو الهمة في التعلم مثلا. يقول سيدنا عمر بن الخطاب «تعلموا العلم وتواضعوا لمن تتعلمون منه». المأمون أمير المؤمنين جاء بالقرآن ليتعلم الموت.

عندما قام الشيخ الكسائي مؤدب أبناء أمير المؤمنين أراد كل منهما أن يقدم الحذاء للشيخ فلما أراد هذا وأراد ذاك فحمل كل واحد منهما فردة نعل ليقدمها له.

- سيدنا معاذ بن جبل مات في الثلاثين من عمره لكنه يرفع راية العلماء يوم القيامة كل علماء الأرضى يسيرون خلف راية سيدنا معاذ وهم داخلون الجنة. يقولون ما هذا السبق لأنه ذو همة عالية في العلم.

- يقول سيدنا بلال يا رسول الله أنا لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ بن جبل سيدنا بلال يسمى الذكر دندنة. كان سيدنا بلال قليل الحفظ عن معاذ الذي كان كلما سمع شيئًا عن رسول الله يحفظه ولا ينساه. ممكن أن يقول

الرسول له الناس درجات ولكنه قال يا بلال ادعُ الله دائمًا وقل «اللهم إني أسألك رضاك والجنة وأعوذ بك من سخطك والنار» وقال بلال أحولهما دندنة.

- كان الشافعي يقول أجلس مجلس شيخي مالك سبحان الله افتح الورقة ورق رقيق كي لا أوذي مسامع الشيخ.

قم للمعلم وَفِّه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولاً

- فيجب التواضع:- الحسيب النسيب أبو لهب قال الله له ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] ويقول الرسول ﷺ سلمان منّا آل البيت. ويقول لبلال اصعد يا بلال بكعبك الأسود وأذن الله أكبر فوق الكعبة. ما هذه العظمة إن الله يعز بالإسلام أقوامًا ويذل آخرين.

- أوصى عبد الملك بن مروان أولاده قال عليكم بالعلم فإن العلم إذا كنت فقيرًا أعطاك المال وإذا كنت غنيًا أعطاك الكمال.

- فلابد أن نفهم أن الهمة يجب أن تكون غير عادية تعلو بالناس هذا هو الأمر الأول. الأمر الثاني يجب أن نفقه قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

- إبراهيم عندما دعا أباه كيف دعاه هل قال له أنا رجل علم أن نبي الله ورسوله؟ وأنت رجل جاهل لا تساوي شيئًا تعبد الأصنام وتصنع الآلهة. قال له كلمات تقربه. ﴿فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ٤٣]﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٥] هذا كلام حنون.

همة أم موسى عليه الصلاة والسلام

الرجال والنساء في الإسلام سواء فقد ساوى الإسلام بينهم في الحقوق والواجبات. وإذا كان التاريخ قد ذكر لنا مواقف عديدة لعلو همم الرجال.ولكنه أيضا لم يغفل عن علو الهمم في النساء وضرب لنا

أمثلة عديدة في ذلك.

فإن كليم الله موسى أحد أولى العزم من أصحاب الهمم العالية لكن وراء موسى أم صالحة أوحى إليها رب العباد أن تقذفه في التابوت فتلقيه في اليم ويلقيه اليم بالساحل كما قال ربنا عز وجل ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ﴾ [طه: ٣٩] وهذه العذراء أليست من أصحاب الهمم العالية؟.

قال ابن عطاء: من سبقت لهم العناية لم تضره النهاية. أي أن هؤلاء طرقوا باب الهمة ففتح لهم الباب الكبير. قال عز وجل ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٧] هذا اصطفاء رباني ولكن هل رأينا في المصطفين الأخيار ثغرة أو ثلمة في خلق أو سلوك أو كلمة أو خطوة أو في إشارة. لا فبالتالي عندما اصطفاهم الله اصطفاهم لأنهم أهل لذلك. فالله اصطفى أبو بكر ولكن أبو بكر قدم مسوغات تعيين الاصطفاء وكأنها السيرة الذاتية لأبي بكر.

فأبو بكر الصديق اصطفاه الله تبارك وتعالى فجهزه ودفع به في هذا المضمار. والسيدة أم سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام صبرت لأن ابنها سيكون نبيا فربنا سبحانه وتعالى ربط على قلبها فعلت. أين نحن من هؤلاء ربط الله على قلبها لأنها كما قلنا قدمت الشرع الرباني على الطبع الإنساني وألقت بابنها ثم توانيها حالة البشرية ليثبت لنا أنها بشر. أي أنهم رأوا الواقع الحقيقي لمرضاة الله سبحانه وتعالى فلما طبقوا هذا للأمر جاءت عناية الله تحدو بهم لتتوافق مشيئة الله عز وجل مع أفعالهم مع مرضاة الله.

أبو بكر ظل يدافع عن النبي ﷺ حتى اجتمع عليه صناديد قريش وظلوا يضربونه حتى أن أمية بن خلف كان يجرد نعله ويضرب على وجهه حتى استوى أنفه بوجهه وحمل إلى البيت تسقط غدائره وكان شعره غزيرًا فلما أفاق

من غشيته قال كيف حال رسول الله تقول أم رومان أمه يا عتيق (وكان يسمى بذلك حتى أن أهل مكة استغربوا هذا الاسم فقالت أمه أرجو أن يعتق من النار ولم يكن هناك إسلام بعد) هو بخير وطمأنوه عليه فلم يزل حتى تحامل على زوجه وأمه وذهب إلى بيت رسول الله ﷺ فيقول له: كل خطب بعدك ذلل أي هين يسير هذه همة عالية.

أكبر صاحب همة هو من ينفذ أمر الله دون أن يسأل. هذه السيدة هاجر زوج سيدنا إبراهيم أبى الأنبياء عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام عندما تركها في واد غير ذي زرع وأراد أن يغادر قالت له أألله أمرك بهذا؟ هذه من أصحاب الهمم العالية. ولذلك أليس من باب شكرنا لهذه المرأة الصالحة العظيمة التي وضعت بصمة من بصمات التاريخ أن نسعى بين الصفا والمروة كما فعلت. لنتذكرها في سعينا ولتكون قدوة لنا.

همة أسماء بنت الصديق

نترك زوجات النبي وأمهات الأنبياء لأجل مرتبة أخرى. انظر هذه أسماء بنت أبى بكر يأتي أبو جهل ليسأل عن أبيها وكان عمرها ثلاثة عشر عاما أو أقل فيقول أين أبوك قالت لا أدري فلطمها قالت عندما لم تقدر على الرجال تضرب النساء وبعد سبع ثمانين عاما من هذا التاريخ كان عمرها مائة سنة كف بصرها ليأتي عبد الله بن الزبير ابنها وهو محاصر بالكعبة يدخل ليستأذن منها يطمئن من رضاها عليه هذه همة أيضا وهذه أسماء بنت أبى بكر زوجها الزبير بن العوام أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد حواري رسول الله ﷺ وأمه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ. جبلة خالصة نقية اصطفاها الله على عينه.

قامت تحتضن عبد الله ابنها وتلتزمه قالت يا بني ما هذا الشيء الجامد الذي

على صدرك قال هذا زبد الحديد يا أماه قالت يا بني هذا واقٍ هذا زى من لا يريد الاستشهاد في سبيل الله اخلع عنك هذا يكون أخف فيَّ وثبتك في الكر والفر والبس سراويل طويلة ربما تنكشف عورتك عندما ترزق الشهادة فاستحِ ثم دعت رب العباد له، فقال أخاف أن يمثل بجثتي قالت هل يضر الشاة سلخها بعد ذبحها هذه همة عالية ومثل به ومرت بعد ثلاثة أيام ولمست جسد ابنها وقالت أما آن لهذا الراقد أن ينزل هذه أم وتكلم الحجاج.

فقال: لقد خرست يا امرأة. قالت له: لقد خرست أنت ومن ولاك علينا أي الحجاج بن يوسف وعبد الملك بن مروان.

هند... إحدى زوجات الحجاج

وهذه إحدى زوجات الحجاج هند وهي امرأة من بني تميم من قبيلة مشهورة جلست تمشط شعرها ذات مرة فتذكرت معيشتها مع الحجاج فاستاءت فقالت قوله مشهورة في بيتين من الشعر:

وهل هند إلا مهرة عربية ... سليلة أفراس تجللها بعل

فإن أنجبت مهرًا عريقًا فبالحرى ... وإن يك إقراف فما أنجب الفحل

فطلقها الحجاج فأعجب بها عبد الملك بن مروان لما بُلِّغ بالقصة. عندما تقف هذه الزوجة أمام الحجاج بهذه القوة فهذه همة عالية. فلما طلقها وانقضت العدة خطبها عبد الملك أمير المؤمنين قالت يا أمير المؤمنين إن الوعاء ولغ فيه الكلب تعني الحجاج فقال يطهر إذا غسل بالماء سبع مرات أولاهن بالتراب فاشترطت أن تزف إلى أمير المؤمنين وأن يقود خطام ناقتها إلى عاصمة الخلافة الحجاج نفسه وسحب لها ناقتها وأوقعت وهي فوق الناقة دينارًا على الأرض وقالت يا غلام ناولني هذا الدرهم «الدينار أكبر من الدرهم» فلما أخذ الدينار قال هذا دينار يا سيدتي فقالت الحمد لله الذي أبدلني بدل الدرهم دينارًا

تعني أن القليل الحجاج والكثير عبد الملك هذه المعاني في تاريخنا الإسلامي هِمم عالية من الصحابيات ومن التابعين.

همم نسائية عالية

ونسيبة رضي الله عنها كان لها همة عالية فكانت تدافع عن الرسول وكان يقول لها الرسول قاتلي يا نسيبة فداكِ أبي وأمي. ولما قطعت يدها وهي تدافع عن الرسول فإذا بها في زمن عمر يمر عمر فيجد نساء لا يعرفن نسيبة ولا يعرفن تاريخها فينظرن إلى يديها فكأنما يقلن لماذا قطعت يدها؟ فيقول عمر يا عدوات أنفسكن هذه امرأة سبقتها يدها إلى الجنة. هذه يد قطعت في الدفاع عن الرسول ﷺ.

تأتي امرأة فتقف مع عمر أمير المؤمنين وتطيل معه الوقوف فعندما أنهت المرأة حديثها ومرت قال عبد الرحمن بن عوف لقد جئت لكي أنهر المرأة ليس عندك الوقت قال أتدري من هذه؟ قال: لا قال عمر: هذه خولة قال عبد الرحمن ومن خولة؟ قال عمر: خولة بنت ثعلبة هذه قد سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات ألا يسمع لها عمر والله ولو أوقفتني إلى يوم القيامة لوقفت ﴿**قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ**﴾ [المجادلة: ١] تذهب لتعرض قضيتها على رسول الله هذه همة عالية.

يحضرني أيضًا همة الخنساء هذه بكت أخاها أربعين سنة حتى يقال لقد وضعت على ناقتها غرارة سوداء وخطام ناقتها أسود حتى إذا من الله عليها بالإسلام قالت لها عائشة لا يجوز في الإسلام يا خنساء فلما من الله عليها باستشهاد أبنائها الأربعة والابن أقرب من الأخ.. قالت الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأدعو الله أن يجمعني بهم في مستقر رحمته بعد أن خطبت خطبة طويلة يجب أن تدرس إلى الأبناء والبنات فهم لا يعرفون شيئا عن الخنساء.

نطقت قلوبهم قبل ألسنتهم

فلاحظ الآن أن كلام السلف يكون مؤثرًا وكلامنا لا يؤثر فهذا لأنهم ابتغوا بكلامهم وجه الله سبحانه وتعالى وإعلاء الدين ونحن نبتغي بكلامنا أن نغضب الناس أو نعز أنفسنا لا نعز الإسلام وهذا رياء والأمر الثاني أن السلف أظهروا افتقارهم إلى الله فلما افتقروا إلى الله أغناهم الله بفضله فكانوا يقولون في الدعاء «اللهم أغنني بالافتقار إليك ولا تفقرني بالاستغناء عنك» فالإنسان لو اغتر بما أوتي من قوله قوة وسلطان ومال وعلم.... وغيره من أمور الدنيا واستغنى عن الله فهو أقل مكانة من الحيوانات.

وعلينا أن نعلم أن الجنة منزل المسلم الحقيقي (يا أهل الجنة خلود بلا موت) يقول الله تبارك وتعالى ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ** ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥].

ذكر أن رجل يهودي يدعى أهبان يعيش في المدينة ويرعى غنمًا، فبينما هو في قطيع غنمه خارج المدينة إذا بذئب يخطف خروفًا أو نعجة ويجري ورائه أهبان فلما أوشك أن يلحق به بخروفه أو نعجته ترك الذئب فريسته وقال يا أهبان أتمنعني رزقًا ساقه الله إليَّ فنظر أهبان من حوله يرى من يتكلم فترك أهبان القطيع والذئب ونزل من البادية على المدينة قال هل هناك نبي بعث قالوا نعم محمد بن عبد الله جاء من مكة إلى يثرب ولما دخل على النبي ﷺ قال يا أهبان ماذا أتى بك.. الذئب؟ قال أهبان من أنبأك هذا؟ قال ﷺ نبأني العزيز الخبير قال: ماذا قال الذئب لك؟ فأسلم الرجل قال: قص على الصحابة ما رأيت فقصها، قال هذا حق، هذا الذئب يدعو الناس إلى الخير.

كلب باسط ذراعيه بالوصيد ذكر في القرآن قال العلماء لو أن مسلمًا بسط يديه إلى الله عز وجل سنوات أتظن أن لا يذكره في الملأ الأعلى وأن يرحمه رب

العباد ويدخله الجنة فالله أكرم من أن يدع يدى العبد ترتدان خائبتين فهذا يكون بالإخلاص وبعلو الهمة فلابد أن نفهم ما في الكتاب والسنة والسيرة العطرة.

من أسباب عُلو الهمة

وقد توجد أسباب رئيسية عند السلف لعلو الهمة أولا اتباع علم المنهج دون جدل لأنه إذا غضب الله على قوم رزقهم الجدل ومنعهم العمل.

وقد قال الإمام حسن البصري نحن أعداء في الأوامر لو الإنسان عدو للأمر وقالوا لو أمرنا بالجزع لصبرنا ولكننا أمرنا بالصبر فجزعنا بمعنى لو قيل عند البلاء تمزيق الجلباب ولطم الخدود تقول سأصبر، وقد نراها في حياتنا اليومية فالأب والأم يقولوا للولد ذاكر فلا يذاكر تتركه تراه يذاكر وهذه طبيعة بشرية فأبو البشر آدم عليه السلام قال له رب العزة لا تأكل من الشجرة فأكل.

قال الصحابة للرسول ﷺ من حق الولد علينا أن نحلق شعره وهو في اليوم السابع أو الرابع عشر أو الحادي والعشرين. فما من صحابي سأل الرسول لماذا؟

الأمر الثاني هو أن السلف فهم الحقيقة بشكل وفهمناها نحن بشكل آخر، وعلينا أن نعلم أن عالي الهمة لا يهمه إلا رضاء الله، والسلف الصالح كانت همته عالية لأنهم اخذوا الأمر من الكتاب والسنة كما هو فطبقه.

فالضغوط والهموم والكتب الذي تعيشه هذه الأمة بسبب بعدنا عن المنهج فإذا عدنا إلى المنهج وطبقناه تنعزل هذه الضغوط من علينا فامرؤ القيس في العصر الجاهلي كان عنده همة عجيبة فعندما ذهب يأتي بسلاح من أجل أن يعيد ملك أبيه فبكى صحابي لما رأى الفقر دوننا وأدرك اللحاق بقيصر قيل له لا تبكي.

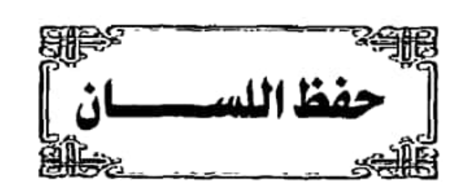
فهذا المشرك يحاول أن يعيد ملك أبيه بعزم وبهمة فيجب على المسلم أن يستعيد الكتاب والسنة داخل قلبه حتى تعود الأمة إلى ما كانت عليه فلابد أن يبدأ كل واحد منا يرفع علم الإسلام في قلبه عمرو بن كلثوم كان يقول:

ونشرب إن وردنا الماء صفوًا ويشرب غيرنا كدرًا وطينًا

فالمسلم لابد أن يكون ذا همة عالية في نصرة الإسلام.

ونجد علو الهمة أيضًا عند النملة التي ذكرت في سورة النمل إذ قالت ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨] يقال في كتب التفسير تقول النملة خشيت يا نبي الله أن يشغل النمل بعظمة جنودك وكثرة عدده ساعة عن ذكر الله عز وجل فهذه همة عالية، همة الحق.

***



حفظ اللسان

حفظ اللسان حفظ للدين

لن يستطيع الإنسان أن يحفظ دينه إلا إذا حفظ لسانه، ويقول أهل العلم يجب على الإنسان أن يسمع أربعة أضعاف ما يتكلم، فإذا تحدث الإنسان ربع ساعة يجب أن يستمع ساعة، ولكن نحن نستمع دقيقة ونتحدث ثلاث ساعات، فالصمت عيب عند الثرثارين والمتفذلكين فهو يرى السكوت مذمة فيصبح السكوت ثقيلا عليه، ولو فكر في عواقب الأمور لوجد أن الصمت خيرًا له، فكل كلام بن آدم عليه إلا إذا كان عالمًا أو متعلمًا أو ذاكرًا لله فقط والخطورة في كثرة الكلام فقد قال الله تعالى ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

سئل ذو النون المصري لماذا نراك كثير الصمت! قال أزن الكلمة أولاً إذا رأيتها في ميزان حسناتي قلتها وإن رأيتها ستوضع في ميزان سيئاتي صمت عنها فرأيت أن كل كلامي يوضع في ميزان سيئاتي فتروني صامتًا.

وهذا أبو بكر تقول عنه السيدة عائشة كنا نعد له في اليوم أربع أو خمس كلمات من كلام الدنيا، فيقال إنه كان يضع تحت لسانه حصاة حتى إذا أراد الكلام فكر قبل إخراجها من فمه، ودخل عليه عمر بن الخطاب مرة فرآه ممسكا بلسانه فقال له عمر يا خليفة رسول الله ما هذا، قال هذا الذي أوردني المهالك.

ومن إشراقات وإلهامات زهير بن أبي سلمى قوله:

لسان الفتى نصفه ونصف فؤاده

فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

وهذا تصديق لحديث رسول الله ﷺ المرء بأصغريه قلبه ولسانه، وقوله ﷺ **«إن في الجسد لمضغة فإن صلحت صلح الجسد كله وإن فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»** [رواه البخاري].

ونفس القضية قال لقمان لابنه أريد أن تأتي بأفضل الأشياء عند الله فذبح خروفًا وجاء بقلب الخروف ولسانه قال أريد أن تأتي بأسوأ الأشياء عند الله قال هذان إن لم يصلحا.

خطورة الكلمة وخطورة اللسان

وكثرة الكلام تستجلب الخطأ، وانظر كم نحن بكثرة الكلام أتعبنا ملائكة السيئات، فانظر إلى أي إنسان منذ أن يستيقظ إلى أن ينام كم عدد الكلمات يتكلمها وكم من الساعات يضيعها في الكلام وكم من هذه الكلمات في ميزان حسناته وكم منها في ميزان سيئاته، فسوف نجد نتيجة مروعة.

وقد يقول قائل وهل تسير الدنيا بدون كلام، نعم تسير بقليل الكلام لأن الدنيا تسير بالعمل فإذا كثر عمل الإنسان قل كلامه، فقد كان النبي ﷺ يطيل الصمت قليل الكلام وإن تكلم تكلم بحق، وتعلم ذلك الصحابة فإذا جلسوا عنده كأن على رؤوسهم الطير تأدبا مع رسول الله ﷺ.

ومن المواقف التي تذكر أن ولد عربي يعيش في أوربا وكان في مدرسة ألمانية فأخذته المدرسة في رحلة إلى النمسا وكان في الصف الرابع الإبتدائي أي عشر سنوات تقريبًا، فوجد الولد أن أهل النمسا يتحدثون الألمانية فقال للنمساوي أنتم تتحدثون الألمانية فقال له نعم وأنتم في ألمانيا ماذا تتحدثون فرد الولد الألماني وقال نحن لا نتكلم نحن نعمل فقط، فهذا ولد عنده عشر سنوات تعلم هذا المعنى فنحن المسلمين أحوج إلى هذا.

ويقال إن الجوارح حالها يقول كل صباح للسان اتق الله فينا نصلح لصلاحك ونفسد لفسادك، ولما سأل معاذ بن جبل رسول الله ﷺ وقال أو مؤاخذون على ما نقول يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: «**ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم**» [رواه الترمذي]، وهذا لأن العربي بطبيعته يحب الكلام...، وقال عبقري الإسلام عمر من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه طالت حسرته.

وهناك فرق بين الصمت والسكوت، فالسكوت هو ترك الكلام مع القدرة عليه سواء كان حقًا أو باطلاً، والصمت هو القدرة على التكلم لكن لا يتكلم إلا بحق.

والكلمة في الإسلام لها خطورتها، فقد يتكلم الرجل بالكلمة لا يلقي لها بالاً بلغت من رضوان الله أنها أدخلته الجنة، وقد يتكلم الرجل الكلمة لا يلقي لها بالاً هوى بها سبعين خريفًا في النار، ولذلك علمنا النبي ﷺ أن يكون نظري عبادة وصمتي فكرًا ونطقي ذكرا، ينظر فيعتبر ويتكلم فيذكر الله، ويصمت يتفكر، وهكذا تكون أخلاق المسلم، وأيضًا قالوا إن اللسان مغرفة والقلب آنية وهذه المغرفة تغترف من الآنية فكلما يضار بالقلب ينور الإيمان فلا ينطق إلا بالحق وعندما يمتلئ القلب بالشبهات والدنيا والظلم والحقد والضغينة والحسد وعدم حب الخير للناس لا يخرج لسانه إلا سوءً.

ولذلك يعد اللسان أخطر الجوارح في الإنسان، لأن فعله أسهل فعل، إن النظر قد يكل أو يضعف والسمع كذلك، إلا اللسان ففعله الكلام وهو لا يكلف الإنسان شيئًا فهو سهل ويتساوى فيه الكبير والصغير، فقد يضعف الرجل الكبير في بصره وسمعه وقدمه ويظل لسانه يتكلم، وقد وضع الله على اللسان قفلاً ومفتاحه مع المؤمن ويصبح من غيره، والعلماء قالوا احذروا من

اللفظات والنظرات والخطوات والخطرات، الأول احذر اللفظات إما هي حلال أو حرام.

من مصائب اللسان

مصائب اللسان كثيرة وبه عدد من الكبائر التي يصر الناس عليها، وأولها الغيبة وهي أعظم الكبائر في اللسان، وقد شبه القرآن المغتاب بأكل لحم أخيه ميتًا فقد قال الله تعالى ﴿وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢]، والإنسان أشد حرمة من الكعبة فالغيبة إذا أشد جرمًا من هدم الكعبة، فقد قال عبد الله بن عمر ﷺ وهو ينظر إلى الكعبة أيا كعبة الرحمن ما أبهاك وما أجملك وما أعظم حرمتك والله إن المؤمن عند الله أعظم حرمة منك، لأنه خليفة الله في الأرض.

والإنسان عندما يغتابه إنسان يهدمه ويصغره ويحقره وقد قال الله ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، والتوبة من الغيبة صعبة، لأنه يجب أن يعيد بناء الإنسان الذي هدم، فإذا كنت اغتبت فلانًا لمدة ثلاثة سنوات، أظل أصلح ما أفسد ثلاث سنوات ويقول العلماء إن تاب قبل الموت فهو آخر الداخلين إلى الجنة وإن لم يتب فهو أول من يدخل النار.

والنبي رأى في الرؤيا الذين يخمشون وجوههم فسئل عنهم فقيل هم الذين يخوضون في أعراض الناس قال أبو حامد الغزالي لا تغتابن حجرًا فإن اغتبت حجرًا فسوف تعتاد أن تغتاب البشر، انظر إلى أي حد يريد أن يدرب الناس على ترك الغيبة حتى لا تصير عادة.

وأسوء السوء أن يرضى الإنسان عن نفسه فهي أولى خطوات طريق

الشر، فقد قالت السيدة عائشة للرسول عن السيدة صفية حبك من صفية يا رسول الله أنها وأشارت إلى أنها قصيرة، فقال الرسول ﷺ: «يا عائشة لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لغيرته»، فهي لم تقل بل أشارت فرأى الرسول ملمح الذم فأراد أن يوقفها ويوقفنا نحن، ونقول لو كانت للغيبة رائحة ماذا كنا نفعل، وقد قال العلماء إن الغيبة الواحدة أشد عند الله من ست وثلاثين زانية، فالزاني قد يتوب فيقبله الله، أما المغتاب لن يتوب إلا إذا استسمح أخاه المسلم والمغتاب بطبيعة الحال.

فنحن في مجتمع زادت فيه الغيبة سواء في البيوت وبين العائلات وفي المؤسسات المدير يجعل له أشخاص معينين لنقل الأخبار والتجسس على الموظفين الصالحين!

وهذا عمر بن الخطاب وهو أعلى سلطة في الدولة الإسلامية، سمع وهو يسير في شوارع المدينة أناس يشربون الخمر وأصواتهم مرتفعة فتسور عليهم الجدران، فقال له أحد هؤلاء الناس إن كنا قد أخطأنا في واحدة فقد أخطأت في ثلاثة وهم أولاً ما استأذنت وما سلمت وربنا يقول ولا تجسسوا وأنت تجسست، فقال عمر إن تركتكم تبتم قالوا نعم، لذلك أن أردانا أن تراقبوا في المؤسسات فيجب أن نرفع عن الأفراد الرقابة الشرعية الرقابة الدينية، فيكون في قلوبهم الحياء والخوف من الله وقاعدة الثواب والعقاب فتسير المؤسسات على خير.

فضول الكلام ومصائبه

ومن آفات اللسان الفضول، والفضول مصائبه لا تقدر لا تحصى والفضول توضحه الآية الكريمة ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ

﴿وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦] إذا هو السؤال عن أشياء لا يجب أن أسأل فيها، والفضول قد يؤدي بالشخص الذي تسأله وهو لا يريد أن يجيبك إلى الكذب لأنه ربما يكون سرًا، إذا فالإنسان الفضولي يأخذ الوزر مرتين مرة لدفعه لك بالكذب ووزر فضوله.

ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، وليس من الإسلام أن يكون الإنسان فضوليًا، سألت أم أنس ﷺ ابنها انس أين كنت قال لها كنت أقضي أمرًا لرسول الله ﷺ فقالت وما هو فقال لها ما كان لي أن أفشي سر رسول الله ﷺ وقالت له عليك بهذا فقد كانت تختبره.

ولما أراد عمر أن يزوج ابنته حفصة فعرضها على أبى بكر فلم ينطق بكلمة فلم يطيل عمر معه الكلام ولم يقل له لماذا لا تتزوج ابنتي وهكذا، فتركه وذهب إلى عثمان فرفض صراحة فأغضب عمر، فذهب يشكوهما إلى رسول الله ﷺ فقال له يتزوجها من هو خير من أبى بكر وعثمان، فتزوجها الرسول ﷺ.

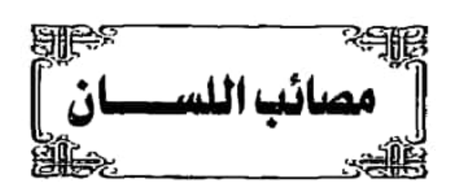
وعندما ألح الرجل على الرسول في السؤال عن الحج فقال الرسول حجوا قال في كل عام يا رسول الله؟ فسكت النبي ﷺ فجاء الرجل من اتجاه آخر وقال نفس السؤال أفي كل عام يا رسول الله؟ وأخذ يكرر السؤال فقال النبي ﷺ: «لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم، ذروني ما تركتكم»..

وفي هذه الأيام أصبح الرجال أصعب من النساء في الفضول، فتجد الآن من يزور أحد الأصحاب أو الأقارب فتجد من الأسئلة المحرجة

الكثير ومنها السؤال عن ثمن محتويات المنزل أو أشياء قيمة أهو هدية أم تم شراء، كم تأخذ من العمل راتبًا كبيرًا أو صغيرًا، وتم إقحام النفس في أسئلة تخص أسرار الناس وأسرار المعيشة الخاصة بهم وهذا لا يصح في الإسلام.

وقال الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣] ومن صفات المؤمنون أنهم بعيدون عن اللغو واللغو هو الخوض فيما لا يفيد، أقتلع أحمد بن حنبل الحشيشة من الأرض فرآه أخوه فقال له يا أحمد يا إمام أهل السنة لقد ارتكبت أخطاء، وهي: قلع الحشيشة، فقد كان شيئًا يسبح الله، وفعلت ما لم تؤمر به، ومرَّت عليك لحظات بدون ذكر، وهذا من اللغو الذي لا يفيد.

* * *



مصائب اللسان

آفات مهلكة...

من آفات اللسان الكذب، والكذب لا يباح إلا في الإصلاح بين المتخاصمين، كالإصلاح بين زوج وزوجته أو أخ وأخيه، ويباح في حالة الحرب فالحرب خدعة، وكذب الرجل على زوجته والزوجة على زوجها، فإذا كان الزوج مثلا لا تحب زوجته وجوده في البيت لأنه دائم الشجار فتقول له إن وجودك في البيت يحدث السكينة ونشعر أن ملكًا دخل علينا وهي تعلم أنها كاذبة ولكن لكي ترفق حاله، والرجل إذا رزقه الله بامرأة على قدر بسيط من الجمال فلا مانع من أن يمدحها بأن يقول ما شاء الله كأن الشمس تشرق عندما أنظر إليكِ. فهذا كله من باب المسموح المباح.

أما الكذب من أجل الوقيعة بين اثنين فهو الحرام.

والنميمة من آفات اللسان، فقد ينقل الرجل كل ما يقال ويقول أنا رجل صريح، فهذا خطأ فالإنسان لا ينقل إلا الخير من الكلام فقد قال النبي ﷺ **«لا يبلغني أحدٌ عن أحدٍ من أصحابي شيئًا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر»** [رواه أحمد].

فالنميمة مصيبة من المصائب فإذا جاء أحد إليك ليحدث عن أحد فقل له يا أخي قد كان بيني وبين أخي صفاء وقد عكرته هذا أولاً وثانيًا: أنت اليوم تنم لي غدًا تنم عليّ وثالثًا: يا أخي قد حدث بيننا ما جعله في ضيق مني فأراد أن يفضفض لك من باب الفضفضة فهتكت ستره، وهكذا إذا تحدثت إليك مثله سوف تهتك ستري أيضًا، هكذا نوقف هذه المصيبة.

وإذا وصلك أن شخصًا قد اغتابك ونم عليك، فلا تشتكي لغير الله وافعل كما فعل السلف الصالح كانوا يرسلون بالهدية لمن ينم عليهم لأنهم يرسلون إليهم بحسناتهم.

فالغيبة والنميمة تهدم المجتمعات وتعكر صفو السلام الاجتماعي ومن المصائب الخاصة باللسان شهادة الزور فقد قال الرسول ﷺ عندما سئل عن الكبائر **«الشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وكان متكئًا فجلس وقال ألا وشهادة الزور ألا وشهادة الزور حتى قلنا ليته ما كررها»** [رواه مسلم].

يظن الناس أن الذهاب للقاضي وقول شهادة الزور أن هذه هي كل الزور ولكن هذه صورة من صور شهادة الزور.

ومن صورها أن يشكو لي في حق ابني أو أخي أو زوجتي فأرد إن أحدًا من هؤلاء لا يفعل هذا أبدًا دون أن أرى شيئًا فهذه شهادة زور، لذلك حرم الشرع أن يشهد الفرع لأصله أو الأصل لفرعه من أجل منع الهوى كما فعل مع علي ابن أبي طالب قيل له أمعك شهود قال الحسن والحسين وكلاهما سيدا شباب الجنة فقال لا وكيف يشهد الفرع لأصله.

وقال النبي ﷺ: **«إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو مما أسمع منه فمن قطعت له من حق أخيه شيئًا فلا يأخذه فإنما أقطع له به قطعة من النار»** [رواه مسلم] وهذا هو المعصوم ﷺ، فشهادة الزور خطيرة فقال العلماء هل للشاهد الزور توبة؟ انظر إلى أي حد وصل الأمر، اختلاف العلماء في توبته، لأن هذه الشهادة قد تضيع حق إنسان أو تؤدي إلى قتله.

وآخر يدعى إلى الشهادة فيرفض ويقول أبعد عن المشكلات، ويقول الله **﴿وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾** [البقرة: ٢٨٢] ولا يرفض الشهادة حتى لا يضيع حق إنسان بسبب سكوته وهذه الشهادة إرضاء لله عز وجل.

خطورة آفة الجدال

ومن آفات اللسان المراء والجدال، قال النبي ﷺ «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا وببيت في أعلى الجنة لمن حَسّن خلقه» [رواه أبو داود في سننه].

فالناس تجادل في كل صغيرة وكبيرة وخاصة في قضايا الدين، ويتحول الناس إلى أبو حنيفة ومالك وأحمد، كما قال أحدهم أبو حنيفة دون رأي ومالك دون حديث والشافعي دون أصول وأحمد دون سنة هي أسماء فقط، الجدل يغب الناس لأني عندما أجادلك وأماريك أريد أن أنتصر عليك لأن في قلبي هوى.

وإبليس قد قال قسمت ظهري أمة محمد كلما أذنبوا ذنبا استغفروا منه فيغفر الله لهم إلا الهوى لا يستطيعون الاستغفار منه، فكل واحد يظن أنه على الإسلام الصحيح والباقي على الخطأ.

والجدال لا يجب إلا بين العلماء في مجالسهم الخاصة للوصول إلى حقائق معينة فقط فهذا مكانه. قال الشافعي ما جادلت إنسانًا إلا ودعوت الله أن يجعل الحق على لسانه لا على لساني، لأن الشافعي لا يهمه إلا إظهار الحق فهذا يجادل في الله وهذا هو المقصود بقوله تعالى ﴿فَلاَ تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٢].

هنا أخذ اليهود رحالهم إلى المشركين أرادوا أن يسألوا الرسول أسئلة تعجيزية فقال المشركون أنتم أهل كتاب فقالوا لهم اسألوا عن قوم خرجوا فرارًا بدينهم ما قصتهم ورجل ملك مشارق الأرض ومغاربها وأسئلة عن الروح.

إن أجابكم فهو نبي وإن لم يجبكم فهو كذاب.

فسألوا النبي ﷺ فقال أخبركم غدًا ونسى أن يقول إن شاء الله فمكث تسعة وعشرين يومًا لا يعرف الإجابة وكل يوم يقول لهم غدًا غدًا، ونزلت الآية ﴿وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤] ونزل في السورة أيضًا الحديث عن عدد أهل الكهف فقال الله ﴿فَلاَ تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٢] أي لا تلفتك مثل هذه الأشياء، فالإسلام لا يهتم لا بالعدد ولا بالأسماء ولا بالزمان ولا بالمكان فهذا هو أسلوب القرآن، فالقرآن يهتم بالقضية وحلها.

وانظر إلى سيدنا إبراهيم وطريقته لقطع الجدال عندما حاجه النمرود ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٧] وشبه اختلاف الأمرين هذا أحياء وهذا أمانة فرفض سيدنا إبراهيم أن يجاريه في هذا الهزال العقلي والفكري وقال ﴿فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨] ويقول الإمام الشافعي لو جادلني مائة عالم لجادلتهم ولو جادلني جاهل واحد لغلبني، لأن الجاهل ليس لديه ثوابت للأشياء، تقول له هذه منضدة فيقول لك هذه سيارة إذا عمَّ يجادل.؟

وأحيانًا يقع الطلاق في البيوت بسبب الجدال، فلكل واحد من الزوجين طباع لا يستطيع أحد أن يغيرها فلا يجادل فيها ونأتي على الطباع التي تتغير ونحاول فيها، وأنا يجب أن لا أناقش الإنسان المجادل وأبتعد عن مجالسته حتى لا أنزلق إلى الجدال والمجادلين.

وإذا حدث وجلست مع مجادلين فابدأ بالحجة والكلام الهادئ فإذا دخل الموضوع في الجدال يجب تغيير الموضوع وكأني لا أعرف في الدين شيئًا وأغادر المكان، لأنك لا تعلم من تجادل فإن كان جاهلا فسوف يحرجك أو يغضبك وفي كلا الحالين لن نصل إلى الحقيقة.

أغضب رجل أعرابي عمر بن الخطاب ذات يوم وقال له أعطني من مال الله إنه ليس مالك ولا مال أبيك وهو أمير المؤمنين فقال ابن عباس يا أمير المؤمنين ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣] وهذا من الجاهلين قال عمر صدق الله، وعظم الآية وسكت إكبارًا للآية فهذا كان مفتاح عمر القرآن، فعند موت النبي قال: من قال إن محمدًا قد مات لأفصلن بين رقبته وجسده وعندما قرأ أبو بكر ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ....﴾ [آل عمران: ١٤٤] قال وكأني أسمعها لأول مرة وهدأ بعدها.

السخرية والاستهزاء

ومن آفات اللسان السخرية والاستهزاء، وعندما سبق قبطي ابن عمرو بن العاص فضربه بالدرة وقال أتسبقني وأنا ابن الأكرمين، فكان عمر يحج وبعد الحج أسند ظهره إلى الكعبة وقال هل لأحد مظلمة، فجاءه القبطي وهو على غير ملة الإسلام وقال ظلمني ابن وليك في مصر قال ضربني، سبقته فقال أتسبقني وأنا ابن الأكرمين فأبقى عمر القبطي عنده وأرسل كبير مستشاريه وقال ائتنى بعمرو وابنه.

فلما وصل قال عمر للقبطي أضربه كما ضربك أمام الناس فضربه فقال أدرها على صلعة عمرو قال يا أمير المؤمنين قد اكتفيت ضربت من ضربني قال لا لقد ضربك بسلطان أبيه هذا وقال متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرار وسيدنا سلمان كان الناس يتفاخرون ويقولون أنا ابن كذا وكذا وكان سلمان يقول أنا ابن الإسلام.

وقضية السخرية هي احتقار الناس والنظر للناس بازدراء وهي كبيرة من كبائر العين وليس باللسان فقط ﴿إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود: ٣٨] نعم العاقبة لمن يسخر في الآخرة.

وفي سورة المطففين ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ [المطففين: ٢٩، ٣١].

ثم في الآخرة ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين: ٣٤].

ويقول الله ﴿لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجرات: ١١]

فالناس سواسية كأسنان المشط، فقد قال النبي لأعرابي رآه فهابه هون عليك ما أنا إلا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة.

وهناك قاعدة في الإسلام تقول من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

فهذا إبراهيم الخليل يقول يا رب لا أسألك إسماعيل ابني، وموسى يقول لا أسألك هارون أخي، وعيسى يقول لا أسألك عن مريم أمي وكل الأنبياء يدعون يومها يا رب سلم سلم ويقولون نفسي نفسي.

نعود مرة أخرى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١١].

فالإنسان يريد أن يسخر ممن أمامه فيقول لفلان يا أعور ولكن الله خلقه هكذا وإلى هذا يا أعمى وهو لا يدري أن الأعمى ينظر إلى ربه بكرة وعشيا في الآخرة.

والتنابز بالألقاب المراد منه التقليل والتصغير من شأن فلان، ولكن النبي يقوم من أجل جنازة يهودي مرت به، فيقولون أنها جنازة يهودي فيقول النبي أليست نفسًا، فهذه عظمة الإسلام، فكان النبي أعظم أستاذ للبشرية وعلمنا كيف ننزل الناس منازلهم.

والأنانية هي التي أضاعتنا، فكلما تعلم إنسان ابتعد عن الله ويقول إن الله خلق الناس درجات ويقول ﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١] وهنا درجات وليست طبقات، درجات علمية فأنا أعرف مسألة وغيري يعرف مسألتين وآخر يعرف ثلاثة حتى يخدم بعضنا بعضا، فإذا ضربنا مثلا إذا أضرب عن العمل عمال الصرف الصحي أسبوعًا أو عمال القمامة فما هي النتيجة، فلو لم يقتنع كل إنسان بمهنته لضعنا.

الفحش والبذاءة في القول

ومن آفات اللسان الفحش في القول، وهو الكلام الفاحش البذئ والشتم واللعن، فكان اليهود يمرون على النبي ﷺ ويقولون السام عليك يا محمد أي الموت عليك يا محمد، فيقول النبي أدبًا وعليكم ويصمت وذات مرة سمعتهم السيدة عائشة فلم تحتمل فقالت وعليكم السام واللعنة أبناء القردة والخنازير، فقال النبي يا عائشة: المؤمن ليس بفاحش ولا بذيء ولا صخاب في الأسواق، فقد نهانا النبي ﷺ عن قول الفحش.

وللعقاد كلمة طيبة يقول إذا ضعفت حجة الرجل علا صوته، ويجب على المسلم ألا يخرج إلا طيب الكلام للناس وخاصة أولاده.

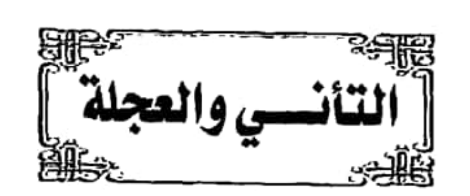
وكان النبي يغير بعض أسماء الصحابة حتى لا يصبح ثقيلا على الناس فغير اسم صحابي اسمه حزن (قال أنت سهل فلما رفض الصحابي وقال لا أغير اسمًا أسماني به أبي فقال النبي حزنًا إن شاء الله فقال حفيده سعيد بن المسيب فمازالت فينا تلك الحزونة، والحزَنَ صعوبة الشيء.

وقد أوصى الخضر موسى عندما سأله موسى الوصية قبل المغادرة فقال له أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابكِ على خطيئتك.

ومن آفات اللسان القذف للمسلمين بما ليس فيهم، فتخيل فلان يقول لأخر أمك كذا أو أبوك كذا والسبّ والشتم في العرض، ولذلك السبع الموبقات منها قذف المحصنات الغافلات وهي جالسة في بيتها وهو يشير إليها وهذا ملعون في القرآن ﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣].

وقد يقول القائل إن فلانًا لسانه بذيء وقلبه أبيض، فهذا محض كذب فسلامة القلب تؤدي إلى سلامة اللسان.

***



التأنـــي والعجلة

متى يتأنى المسلم أو يتعجل...؟

العجلة من الأمور المكروهة إلا في أمور الدين والخير، فأنت مثلاً في الدنيا أمام شخصين إما عاقل أو جاهل، فالعاقل لسانه وراء عقله والجاهل لسانه أمام عقله، فتجد الإنسان الذي لسانه أمام عقله متعجلاً، يقول الرأي وسرعان ما يعود فيه ويندم عليه وقد ورد عن النبي أنه في ليلة الإسراء والمعراج رأى ثورًا كبيرًا يخرج من ثقب كثقب الإبرة ثم يريد أن يعود فلا يستطيع فسأل النبي ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل من أمتك يتكلم بالكلمة ثم يريد أن يعيدها فلا يستطيع!

وكما قال علماؤنا: **الكلمة إن لم تقلها ملكتها وإن قلتها ملكتك**، فنجد الإنسان الذي ارتكن إلى الأرض وأصبحت حياته أرضية بعثه الله وهو على المعاصي، تجده يجل كل ما هو شر لأنه إما أن ينظر تحت قدميه وما هو يحققه الآن ولا ينظر إلى عواقب الأمور والعجلة صورة من صور الطفولة الإنسانية والمتعجل يبخل على نفسه حتى في الاستخارة وذلك لتعلق قلبه بهذه المسألة فالاستخارة لا تفيده.

والمقياس في مسألة العجلة والتأني هو هل هذا الشيء يحبه الله ورسوله أم لا؟ فإذا كان يرضي الله ورسوله فالعجلة فيه مستحبة وإلا فالتأني أولى، فالإنسان يجب أن يبني حياته وفق منهج الله حتى تطيب له الحياة، والحق له مقياس واحد وضعه الله لنا ألا وهو الكتاب والسنة.

إن العجلة ليست شرًا كله فمثلا إذا سمع المسلم الأذان وسمع المؤذن يقول حي على الصلاة حي على الفلاح هنا تكون العجلة مستحبة، وإذا جاء لابنتك: «من ترضون خلقه ودينه فزوجوه» وهنا العجلة مستحبة، والعجلة مستحبة في سداد الدين والتوبة الإسراع فيها مستحب، ونجعل كلمة الكليم موسى عليه السلام ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٤] شعارنا في أمور الدين وكل ما يرضي الله.

وكيف للإنسان أن يكون متأنيًا، لقد خلقنا الله من بطون أمهاتنا لا نقرأ ولا نكتب، فكيف تعلمنا، بالتعلم، إذا العلم بالتعليم وكذلك الحلم بالتحلم، والتأني يأتي تدريجيًا وهناك مثل جميل يقول «في التأني السلامة وفي العجلة الندامة» طالما أمر من أمور الدنيا.

سنن الله ثابتة...

ولله سنة جارية وسنة خارقة، وقد انتصر الصحابة رضوان الله عليهم بسنن الله الجارية، وذلك حتى لا يأتي متعجل في زمننا أو متخلف أو كثيرو الذنوب ويقول إنهم قد انتصروا بسنن الله الخارقة ولكنهم أخذوا بالأسباب وجاءتهم سنن الله الخارقة.

فمثلا في بدر صف الرسول ﷺ وجهز الجيش وقدم الدعاء هذه سنن الله الجارية، ثم نزلت الملائكة وهذه سنن الله الخارقة.

وفي حادثة الهجرة، فقد أبلغ الرسول أبا بكر في سرية تامة، وأمره أن يخرج من عنده في البيت، فقال أبو بكر إنما هم زوجتي وابنتي يا رسول الله، فكرر النبي الأمر فخرجت أم رومان وخرجت ابنته، وتقول السيدة عائشة ما وجدت إلا أبا بكر يبكي فرحًا بصحبة الرسول ﷺ والأسرة كلها تعمل

على تأمين الدعوة وتطبيق سنن الله الجارية، فالسيدة أسماء تحمل الطعام وعبد الرحمن يقود القطيع من الأغنام ليخفي الأثر، ويأتي أبو بكر بخبير الطرق والصحراء عبد الله بن أريقط، ومع أنه لم يكن مسلمًا وذلك يبيح لنا الاستفادة من خبرة الآخرين، ولذلك وبسبب الأخذ بالأسباب نجحت الهجرة.

وهناك فرق بين التأني وتبلد الحس، فمثلا تجد أحد النساء إذا حدثها أحد عن الحجاب تجدها تقول عندما يريد ربي فهذا ليس تأنيًا، ولكن يجب أن تكون مرضاة الله كمثل الكعبة التي يطوف حولها الإنسان.

متى نستخير...؟

وقال العلماء لا استخارة في ما يجب فلا يستخير الإنسان على الصلاة أو على سداد الدين، وقد يحتاج الإنسان إلى العجلة في أمور الدنيا مثل المعاملات التجارية التي تحتاج سرعة في إتمام الصفقة أو شراء شيء مهم، فعلى الإنسان أن يستخير ويلبي إلى الله حتى يبصره الله فيما يصلحه وينفعه، فإن لله عبادًا إذا أرادوا أراد، جعل الله إرادته من إرادتهم، وجعلهم قضاء الله وقدره في الأرض، وذلك لأنهم أخذوا من معية الله هذه القوة ومن توكل على الله كفاه...

وقد قال القرآن ﴿**وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولاً**﴾ [الإسراء: ١١] ولكن جعل الله عجلة المؤمن في الخير وعجلة الكافر والعاصي في الشر وفي غير مرضاة الله.

وقد قال الله لرسوله الكريم ﴿**وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ**﴾ [طه: ١١٤] أي لا تردد الآيات مع جبريل خوفًا من النسيان، والمفاجأة في بقية الآية ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾ [طه: ١١٤] فما علاقة هذه بتلك، والمراد

هنا أن القرآن نزل على الرسول لتبليغه إلى الصحابة فلا تعجل يا محمد على تبليغه قبل أن يثبت في قلبك حتى ينعكس على الصحابة ثم نحن ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَى﴾ [الأعلى: ٦] إذ كانت عجلة النبي ﷺ عجلة خير.

ولكن من سمات العصر التسويف في الخير وكثرة ذكر الدنيا ونسيان الآخرة، فتجد حب الذنوب وتأجيل التوبة ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ [آل عمران: ١٤] فيجب أن يجعلها في مرضاة الله، كان أحمد بن حنبل يدعو ويقول اللهم اجعلها في الدنيا ولا تجعلها في قلوبنا.

انظر ألم ينه الله عن الربا فمن يسلم منه الآن؟ هل تسلم عائلة واحدة من أن تغتابها عائلة أخرى؟ ألم يحرم الله التجسس؟ ألا تتجسس المرأة على زوجها في كل شئونه. إذا هناك أمراض خطيرة أصابت الناس ألا وهي حب الدنيا ونسيان الآخرة وحب الذنوب ونسيان التوبة، وحب المال ونسيان الحساب ثم حب الجنة ونسيان العمل ونحب إطالة العمر وننسى الخروج من الدنيا.

فعندما دعت أم حبيبة اللهم أطل عمر زوجي رسول الله وعمر أبي أبى سفيان وأخي معاوية، فقال الرسول يا أم حبيبة سألت الله آجالاً مكتوبة وأعمارًا محدودة، هلا سألتي لنا البركة في العمر.

فهناك من يعيش عشرين أو ثلاثين سنة ويتركون بصمات على مر التاريخ فالإمام النووي عاش أربعة وثلاثين عامًا فقط وترك للأمة كمًا من المؤلفات أشهرها رياض الصالحين.

كيف نتعلم التأني...

والتأني أي الترفق والانتظار حتى يأتي الأمر خيرا، وعلى المؤمن أن

ينظر إلى حقائق الأمور لا إلى ظواهر الأمور، ويقول رب العباد ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦] فقد يأخذ مني شيئًا ويكون ذلك هو الخير لي.

وانظر إلى الكليم موسى، يخرج فيقتل الرجل ويذهب إلى مدين وكأنها دورة تدريبية لمدة عشر سنوات وذلك لأنه سوف يعود إلى أسوأ قوم في التاريخ، ويرعى الغنم لكي يتعلم الصبر والأناة. فانظر إلى حكمة الله في الأمر.

وقد تستدين دينًا لضائقة مالية، فقد يكون هذا من يقيني في رب العباد للخضوع والقنوت ليلاً لكي ينفك الكرب.

إذا فقد يكون في المنع العطاء وفي العطاء يكون المنع، فقد يمنعني من أن أتولى منصبًا معينًا ولكن أعطاني راحة البال وأعطاني عدم ظلم الناس، وقد أكون على غير المسئولية، فهذا عطاءً وليس منعًا.

وقد علمنا النبي عند الغضب أن يغير المؤمن حركاته فإذا كان واقفًا فيجلس ثم يتوضأ ثم يقول اللهم أجرني من مر غضبي وهذا ليكون تدريبًا عمليًا على كبح جماح الغضب وحتى تخرج نار الغضب ويدخل نور العقل، بهذه الصورة تخرج القرارات وردود الأفعال متأنية وصائبة.

ومن الأحداث التي نتعلم منها التأني، ما حدث في أسرى بدر فسأل النبي أبا بكر ماذا نصنع؟ فقال كلهم أهل وعشيرة نأخذ الفدية وفديته أن يعلم عشرة من المسلمين فكأنه أول مشروع محو أمية في التاريخ، وسأل النبي عمر بن الخطاب فقال لو كنا مكانهم لقتلونا! اقطع رقابهم تقل غرائمهم وتخيف الباقي، وكان سؤالهم من مبدأ الشورى وينظر الرسول إلى الرأيين

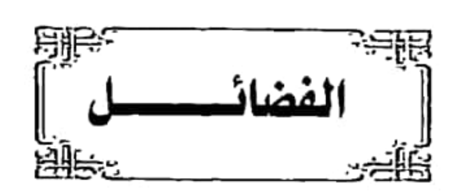
فأبو بكر يأخذ باللين وعمر يأخذ بالعزم، فالرسول يعلمنا كيف يتأنى الإنسان في رأيه، فأولاً يسأل أبو بكر ثم يسأل عمر، ويبدو أن الاثنين أبا بكر وعمر قد تعجلا في الحكم.

والنساء دائمًا متعجلات في هذه الحياة بطبيعة التكوين، وهذا لأنهم مخلوقين من جزء حي فعندهم سرعة الكر والفر والسخط، فيجب عليهم التعود على التأني والتريث وهذا يأتي بكل خير وقد كرمنا الله بالعقل فلماذا لا نستخدمه.

ولا داعي لإصدار قرارات متسرعة حتى في الخبر الذي تسمعه ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا﴾ [الحجرات: ٦].

ونحن شعب عصبي ويعيش تحت ضغوط وهذا لضعف مناعة الإيمان في القلب فتهزمه أي ضغوط، وقوة اليقين والعقيدة في القلب لا يهزمها الثقلان.

* * *



الفضائل

الإسلام أخلاق

هناك مقولة شهيرة تقول إن الأخلاق ربع الرسالة المحمدية وهي مستمدة من الكتاب (كتاب الله) عندما دعي سيدنا الخليل وابنه إسماعيل عليهما السلام الله عند الكعبة وهو يرفع قواعد البيت ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۞ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧- ١٢٩] وذلك لتعليم الأمة الكتاب ويعلمهم الحكمة ويزكيهم ليحسن أخلاقهم وكلمة تزكية هنا أي تحسين الخلق وتهذيبه ونجد أن هناك ترتيب للمهام والأولويات وخاصة أولويات الدعوة فترتيب مهمة سيدنا محمد ﷺ ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢] فحكمة البعثة

١- أولا يتلو عليهم آياتنا ويزكيهم.

٢- ثم يعلمهم الكتاب والحكمة فهذا ترتيب ثم تزكية من الجانب الخلقي قبل التعليمي فالإنسان الغير مزكى في الخلق كالشجرة النكراء الخبيثة لا تنتج إلا حنظلا وكذلك العلم من غير أخلاق مثل الشجرة الخبيثة فمثلا العالم يوري جاجارين قال: صعدت إلى الفضاء فلم أجد الله الذي يتحدثون عنه، فهذا ماذا صنع به العلم؟ احترقت به السفينة التي صعد بها وهذا ليس عنده حكمة وصف الله بها أنبياءه جميعا فقد قيل عن جد العرب الخليل ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١] فهذه الصفة يتصف بها جد العرب

فالحكمة والحلم خير كلها ولا يأتي الحلم إلا بخير حتى يقول النبي ﷺ: يا عائشة كاد الحليم أن يكون نبيًا، وروي عن الرسول ﷺ: «**خلتان يحبهما الله عز وجل الحلم والحياء**» [رواه أحمد] وقد وردت كلمة الحليم في القرآن اثنا عشر مرة ثمانية منهم من أسماء الله عز وجل واثنان منهم للخليل إبراهيم يقول الله﴿**فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ**﴾ [الصافات: ١٠١] وكذلك ﴿**إِنَّكَ أَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ**﴾ [هود: ٨٧] وواحدة عن سيدنا شعيب عندما قال له قومه عن طريق السخرية ﴿**إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ**﴾ [هود: ٨٧].

وقد كانت قضية التزكية هي ربع المهمة المحمدية التي يقوم عليها كل الأسس ويقول غاندي درست ٥٢ نوعا من أنواع المدنية فوجدت أن كلها قد انهارت عندما انهار فيها الجانب الأخلاقي فإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأتمًا وعويلا ويقول ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**» [رواه أحمد].

ونجد أن الخلق إن وضع في أي جانب من جوانب الحياة فلن تجد إلا الخير وإذا ننزع منه الخلق لم تجد إلا شرًا ونجد أن الأخلاق أنواع متعددة فهناك أخلاق سبعية وأخلاق شيطانية وأخلاق ملائكية والأخلاق السبعية تعني أن السباع تحب الافتراس والانقضاض والهجوم ولا يُسئل كيف يشبع غريزته يعدو عليها في الحصول على طعامه فهذه هي أخلاق السباع.

أما أخلاق الشيطان فأولها الحسد لأنه أول من عصى الله بصفتي الكبر والحسد فهو أول من عصى الله لأنه تكبر على الله لكي لا يسجد لآدم والحسد ينبع من الأخلاق السيئة فإذا كانت الخمر أم الكبائر فالكبر أبوها لأنه لا يترك للإنسان فرصة أن يسمع للنصيحة ويكون الكبر في عدة أشياء تكبر في العلم، في الجاه، المكانة الاجتماعية يقول ﷺ: «**ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب عظيم: شيخ زانٍ ومَلِكٌ كذاب وعائل مُستكبر**» [رواه مسلم]، وهناك

أخلاق ملائكية، روي في الأثر «أن كونوا مع الناس حتى إذا غبتم حنوا إليكم وإذا متُّم ترحموا عليكم».

ويقول أبو موسى الأشعري: والله ما أحببت الدنيا إلا لثلاث: آية أقرؤها من كتاب الله أو حديث اسمعه من رسول الله أو أجلس مع أناس ينتقون أطايب الكلام كما ينتقون أطايب الثمر، يقول أبو موسى في الحديث (لأكونن بواب رسول الله الليلة) ودخل وسأل عن رسول الله فقيل له إنه في حائط من حيطان المدينة فذهب إليه واستأذن أن يكون بوابا له في ذلك اليوم فأذن له رسول الله وكان اليوم شديد الريح فأغلق أبو موسى الأشعري الباب وجلس خلفه فقال الرسول لو جاء أحد فلتعلمني وطرق الباب طارق فيقول أبو موسى ليته يكون أخي فانظر إلى هذه الأخلاق فهو يريد أن يأتي أخوه في حين تفرده برسول الله فلربما يحظى بدعوة من رسول الله وهو الذي لا ينطق عن الهوى فقال له الرسول من الطارق؟ قال: إنه أبو بكر قال له ائذن له وبشره بالجنة فدخل أبو بكر وجلس على يمين النبي ثم طرق الباب آخر فقال من؟ ليته أخي قال: عمر قال له: ائذن له وبشره بالجنة وجلس إلى يسار الرسول ثم طرق الباب آخر قيل من قيل عثمان قال ائذن له وبشره بالجنة وجلس أمام النبي قال وفي كل مرة يتمني أن يكون الطارق أخاه لينال بشرى رسول الله قال ثم أتيت فجلست فقال وكنت أنتظر كلام رسول الله عني فقال ﷺ رحم الله الأشعريين جميعًا كانوا إذا حجبتهم حاجة (أي ضيقت عليهم الأمور) وليس عندهم قوت عيالهم جاء كل واحد منهم بما عنده ووضعوه في ثوب واحد ثم قسموه عليهم بالتساوي فأنا منهم وهم مني.

من أخلاق النبوة

إذا فالأخلاق هي التي تجعل الإنسان يسود المجتمع كما حدث مع رسول الله فقد كان خلقه القرآن وكان يقول إذا أراد الإنسان أن يزن أعماله فليعرضها على القرآن فمن رأى ما يفعل يوافق القرآن فليتخلق به وما كان القرآن قد ذم فابتعد ولا تتخلق به.

ومن أخلاقه أيضًا ﷺ عندما كان يسير مع الصحابة كان يقول سيروا أمامي وخلو ظهري بملائكة ربي وكان عندما يجلس مع الصحابة لم يمد رجليه أمامهم أبدا وكان إذا صافح أحد لا ينزع يده إلا عندما ينزعها من يسلم عليه فهذا كله من أدب الرسول الأعظم.

وقد قال ﷺ: **«إن المسلم إذا لقى أخاه فأخذ بيده تحاتت عنهما ذنوبهما كما يتحات الورق من الشجرة البائسة في ريح يوم عاصف وإلا غفر لهما ولو كانت ذنوبهما مثل زبد البحر»** [رواه الطبراني] وعندما دخل الرجل المسجد ولمدة ثلاثة أيام فيقول النبي يدخل عليكم الآن رجل من أهل الجنة فسيدنا عبد الله بن عمر أراد أن يعرف ماذا يفعل هذا الرجل ليكون من أهل الجنة فأتاه وقال له مدعيا أنه غاضب من أبيه ومكث عنده ثلاثة أيام فوجده لا يفعل شيئا فقال له قال عنك رسول الله يدخل عليكم الآن رجل من أهل الجنة فماذا تفعل فقال أبيت وليس في قلبي شيء لأحد.

ويقول ﷺ إن الله خبأ ثلاثًا في ثلاث (وهذا من الجانب الخلقي والتزكية النفسية) خبأ رضوانه في طاعته فلا تحقرن من الطاعات شيئًا، وخبأ سخطه في معصيته فلا تحتقرن من عصيان الله شيئًا فلربما توجب سخط الله (وقد قال العلماء لا تنظر إلى صغر الذنب ولكن انظر إلى أن لا تعصي أبدا)، وخبأ وليَّه في عباده فلا تحتقرن من عباد الله أحد فلربما

هو وليه ويقول ﷺ: «أدبني ربي فأحسن تأديبي».

وقد نقل ذلك وأدب صحابته رضوان الله عليهم فكيف نتأسى بالصحابة ونكون مثلهم فالصحابة حجة علينا لأنه عندما نقول نتأسى بالرسول فالبعض يقول كيف نتأسى به وقد أدبه ربه ولكن الصحابة الذي أدبهم بشر وهو الرسول.

ونجد أن حسن الخلق هو كرم من الله وفضله فهناك أبو لهب وأبو جهل عاصروا النبي ورأوه إلا أنهم لم يتخلقوا خلقه ولم ينهجوا نهجه ﷺ وقد روى أن أبا ذر كان قاطع طريق وكان يستطيع أن يقطع الطريق على قافلة بمفرده فدخل مرة فرأى صنمه مبللا فنظر خلف الصنم فوجد ثعلبان قد بلل الصنم فقال لنفسه: أرب يبول الثعلبان قد هان من بالت عليه الثعالب فلو كان ربا لمنع عن نفسه الأذى قيل فلما رآه النبي قال ما فعل الثعلبان بصنمك فقد نبئ ﷺ بذلك فينزل أبو ذر ويضع وجهه على الأرض ويقول لبلال أن يطأ وجهه بقدميه ثم أسلم بعد ذلك.

فهؤلاء من أدبهم؟ الرسول بنفسه فكيف بمن لم يتأدب بأدب الإسلام أن يؤدب أمته ومن لم يتخلق بخلق الإسلام أن يتعامل مع الآخرين فنجد أن الأمة الآن دخلت إلى التلوث الخلقي بسبب التخلف الخلقي.

ومن ذلك انظر مئات القضايا أمام المحاكم عن الأخوال والأعمام فلو أن المسلمين تركوا هذه الخلافات البسيطة وتوجهوا جميعًا ورفعوها أمام المحاكم والمحاكم الدولية على الذين استباحوا أرض فلسطين وغيرها لكانوا فعلوا ضجة لم يكن لها مثيل فقد وصف المسلمون بأنهم أعزة على الكافرين أذلة على المؤمنين ولكنهم عكسوا المسألة فصاروا أذلة على الكافرين أعزة على بعضهم البعض.

الأخلاق ميدان للتنافس

يقول النبي ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**» [رواه مسلم]، ومن إماطة الأذى أن لا أسابق الآخرين بسيارتي فأحدث المصاب أو أن أضع يدي على أداة التنبيه ليبعد إنسان يسير على قدميه فقد يحدث لذلك الشخص ارتباك فلربما تكسر رجله أو شيء من هذا القبيل.

ونجد أن الصحابة امتدحوا امرأة أمام الرسول في أنها تقوم الليل لكنها تؤذي جيرانها بلسانها فقال هي في النار وفي الحديث: « **أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له قناع فقال إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فُطرحت عليه ثم طرح في النار**» [رواه مسلم].

ونجد أن الرسول يوصي عمه العباس: «**يا عباس بن عبد المطلب أعمل فإني لا أغني عنك من الله شيئا ويا صفية يا عمة رسول الله اعملي فإني لا أغني عنك من الله شيئا ويقول لفاطمة يا بنت محمد سليني ما شئتي من مالي لا أغني عنك من الله شيئًا**» [رواه البخاري] هذا هو الإسلام وهذا هو الدين يربط بين الأخلاق الكريمة والعبادات.

قبول العبادة مرهون بالأخلاق

وهناك تطبيقات عملية لمكارم الأخلاق يجب علينا أن نتبعها ففي الصلاة كيف نربط الخلق بالعبادة مثلا في الصلاة نجد أننا عندما نسأل شخصًا ما عن صلاته هل أيقن بقبولها فيقول نعم أنا صليت في مكان طاهر وتوضأت وضوءا كريما وثوبي كان طاهرًا وجسدي كان طاهرًا، يجب أن لا تنظر إلى الظواهر

ولكن انظر إلى البواطن ونجد في ذلك قصة في عهد الصحابة فقد صحب أبا ذر أبو الدرداء لشراء بيت في المدينة وصحبتهم نصرانية فجاء وقت الظهر فقال أبو ذر للنصرانية يا أمة الله أما من مكان طاهر أصلي فيه فنظرت إليه المرأة وقالت طهر قلبك وصلي أينما شئت فقال أبو الدرداء لأبي ذر خذها ولو من غير فقيه فالحكمة ضالة المؤمن.

وكان مارتن لوثر يقول: «**لا يهم أن تكون الكنيسة من ذهب والقساوسة من خشب الأهم أن تكون الكنيسة من خشب والقساوسة من ذهب**» وقد روى في الحديث القدسي (إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي فلم يثقل على خلقي ولم يبت مصرا على معصيتي ورحم الأرملة والمسكين وابن السبيل هذا أسكنه عنايتي وأوصي ملائكتي أن يصبح عبدي هذا في الجنة) ويقول النبي: «لا ترفع صلاة العبد فوق رأسه شبر لمن عصى والديه ومدمن الخمر» وفي رواية الديوث وهو الذي يعرف القبح على أهله وسكت عليه ويقول ﷺ: «**من لم تنهَ صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بُعدًا**» [رواه البخاري] يقول الله ﴿**إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**﴾ [العنكبوت: ٤٥].

فيجب أن يؤخذ الدين كاملا ولا نأخذ شيئًا ونترك آخر حسب أهوائنا وهناك من يقول ساعة لربك وساعة لقلبك وهذا خطأ فكل الأعمال هي لله حتى ما كانت للقلب فهي ترويح عن القلب ولكن فيما يرضي الله، فمثلا إذا أتيت المدرسة وقلت لصاحب المدرسة أنني لا أحب المواد الاجتماعية ولا يحب كذا ولا كذا فاحذف له مادة أو مادتين فيقول له صاحب المدرسة اذهب وافتح له مدرسة خاصة لابنك فلابد من منهج المدرسة لأن هذا هو النظام، وكذلك الدين لا يجب أن نأخذ ما يوافقنا ونترك ما لا يوافقنا ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا**

تَسْلِيمًا﴾[النساء: ٦٥] ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ....﴾ [الأحزاب: ٣٦].

العبادات قائمة على الأخلاق

ومن الآداب الإسلامية أن لا تعلي البنيان حتى لا تسد على جارك الريح وإذا طبخت فلابد أن تبعث له منه حتى لا يشم ذلك وتؤذيه الرائحة وإذا دخلت بفاكهة فتدخلها سرًا أو لو رآها أحد فلتعطه منها ولا يخرج بها ولدك ليغيظ ابن الجيران فهذا من مكارم الأخلاق التي أوصى بها نبينا وكذلك هي من أصول ديننا ومن لم يفعل ذلك تكبرا فهذا له جزاء آخر فمن لم يصلّ كبرا يصلي في جهنم وليس له أجر ولا ثواب وكذلك من لم يأخذ النصيحة كبرا منه فقد كان رجل يأكل أمام النبي باليسرى فنصحه الرسول أن يأكل باليمنى لكنه تكبر فقال له الرسول ما استطعت فشلت يده ولم يرفعها من يومها، وكذلك الزكاة وهي خاصة بالأموال والجانب الخلقي فيها ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣].

حتى إن الصحابة عندما كانوا يأتون بالزكاة فيقول النبي اللهم صلى على آل فلان ائتمر بأمر الله والصلاة أيضا معناها الدعاء، ويقول الله ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥] فلما سمع ذلك أبو الدحداح فقال لزوجته يا أم الدحداح أقرضنا الله البستان فلما عرفت المرأة ردت وقالت ربح البيع أبا الدحداح وفي رواية أنها أسرعت وأخرجت الثمار من فم أولادها وقالت لا حق لنا في هذا الثمر فلما بلغ ذلك رسول الله فقال كم من عذق فواح ودار فيحاء في جنة أبي الدحداح.

فهذه أخلاق صحابة رسول الله فهذه الصدقة تطهر المال وتطهر النفس من

شح النفس وكان علي زين العابدين على مدي ٤٠ سنة متواصلة يذهب إلى بيوت الفقراء ويضع أمام بيوتهم الطعام والثياب حتى أنه لما غُسّل وجدت آثار الحبال على جسده عندما كان يحمل الأشياء ويربطها على جسده ونجد أنه في السلف كان الرجل الفقير يكتب حاجته على الرمال فيرد له على الرمال قضيت حاجتك دون أن يعرف من حتى لا تؤذي مشاعره.

وكذلك كان سيدنا عمر يذهب إلى امرأة عجوز خارج المدينة ويقضي حوائجها وينظف لها حجرته ويرشها بالماء في الصيف ويضع لها الطعام بجوارها ويغادر وظل على ذلك فترة طويلة حتى أنه فوجئ ذات مرة أن أحدا قام بنفس العمل فتعجب ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

ومن هذه الأعمال أبو بكر أيضا كان يحلب لأرملة عندها يتامى فلما انتقلت الخلافة لأبي بكر بعد وفاة الرسول ومر أمامهم بالبيت فقالت البنت الصغيرة حلاب الإبل صار خليفة فمن يحلب لنا الآن فيقول أبو بكر والله لن يحلب لكم غيري وكان يذهب لهم ويحلب لهم قبل أن يبدأ أعمال الخلافة ويقول أأغلى أم أسرح أي منزوع الدسم أم بخيره.

فهؤلاء تنافسوا فغيروا البيئة ولكن الآن تغيرت الأنفس وتغيرت الناس ويعود الناس إلى مكارم الأخلاق عندما يكونوا أحفادا لأبي بكر وعمر وعثمان وليبدأ كل منا بنفسه في المجتمع ومع الناس وكذلك الطالب في المدرسة يحترم أستاذه ويقف له إجلالا واحتراما.

الأخلاق الحسنة من قوة الإيمان

وهكذا نجد أن مكارم الأخلاق من صفات المؤمن الحق وديننا الحنيف يدعونا إلى مكارم الأخلاق ويقول ﷺ: **«من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»** [رواه البخاري] وهذا إن دل على شيء فإنما يدل

على أن ديننا يريد أن تتطابق الأفعال مع الأقوال فالقضية ليس امتناع عن الطعام والشراب ولكن امتناع عن قول الزور.

ويقول النبي ﷺ: «**إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب**» [رواه البخاري] ولذا فهناك الأخلاق الملائكية فالملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون فهم مأمورون لا يعصون الله ما أمرهم وفي صيام رمضان نتشبه بالملائكة لا نأكل ولا نشرب ونعبد الله حتى إن قام أحد بشيء خاطئ في رمضان فيقول يا أخي إني امرؤ صائم فالغيبة حرام في رمضان وفي غيره فهناك فروض غائبة لا يعلمها الناس كأداء مصالح الناس وإدخال السرور على الآخرين.

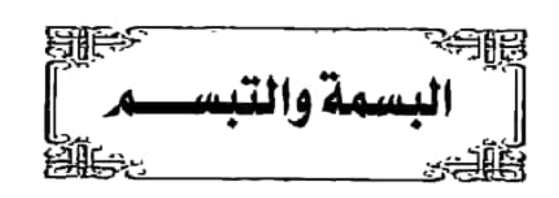
وكذلك في الحج ﴿**فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ**﴾ [البقرة: ١٩٧] فالإنسان لابد أن يدرس آداب الحج ورمي الجمار والإشارة إلى الحجر في الزحام وليس القتال عليه لتقبيله فلابد من ممارسة العبادات كما وردت في القرآن والسنة فهذا ديننا ببساطة وبدون تعقيد يقول ابن مسعود وهذه الكلمة تهزني هزا وهي اقرأ القرآن وكأنه نزل إليك وحدك فتقرأ وترى الذي يمدحه الله في هذه الصفحة فافعله والذي ذمه لا أفعله ونجد أن الدول تقسم الشهور والأعوام والأعياد عيد الأمومة، الطفولة وكذلك عالم المرور وعالم المعوق.

فالمسلم يعمل أسبوعيًا فهذا أسبوع الغيبة فلن أغتاب ولن أسمح لأحد أن يغتاب أحدًا أمامي وهذا أسبوع الصلاة وهذا أسبوع صلة الرحم ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها وهنا نرى مكارم أخلاق سيدنا علي وكان في ذلك الوقت أميرًا للمؤمنين فنادى على غلامه وقال آتني بكوب من ماء لضيفي فغاب فقام يسأل عنه فرآه نائما على ظهره ويضع قدما على قدم ويغني فقال له أما سمعتني قال نعم من أول مرة قال فلم لم تجبني قال أمنت غضبك فقيل له لم لا تضربه قال لا ولكن أتعلم فيه الصبر.

فالدين الإسلامي يصلح لجميع الأزمنة والأمكنة وصالح لجميع الناس والصحابة رضوان الله عليهم كانوا يصدقون الرسول بثقة تامة في ما يقول ولم يخص النبي أبا بكر بالدعوة عن أبى جهل إلا أن النفوس مختلفة فمنهم نفس أمارة بالسوء ونفس أمارة بالخير ويقول تعالي ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠] ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣] والهداية هي من الله ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥] ﴿كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠].

فالإيمان بيد الله ولكن الهداية بيد العبد وقلبه ثم إرادة الله في الهداية وفضله على عبده ثم يحوله إلى الإسلام ثم الإحسان وفي قصة يوسف نجد أن هناك شهود تدلك على أن يوسف برئ ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ﴾ [يوسف: ٢٦] ثم إن الشيطان شهد ببراءة يوسف وهذا لإخلاص يوسف ﴿إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٤٠]

* * *



البسمة والتبسم

غنيمة سهلة...!!!

يقول الرسول ﷺ: «**تبسمك في وجه أخيك لك صدقة**» [رواه الترمذي].

فهل الابتسامة فرض أم سنة و تندرج تحت أي من هذه التقسيمات؟ وهل الأمة في حاجة إلى الابتسامة الآن رغم ما يتم بساحتها من الألم وما يحدث ببعض البقاع في تلك المناطق في الأرض؟

المسلم لا يعرف إلا مبتسمًا وقد كان النبي ﷺ بين أصحابه مبتسمًا حتى تظهر نواجزه والتبسم يفتح القلوب المغلقة وبعض الأمور لا تجري إلا عن طريق الابتسامة. وإن كان هناك إنسان يبخل على الناس بأن يبتسم في وجوههم فهو ليس بخيلا على نفسه فحسب ولكن صار بخيلاً على الناس لأنه ما أعطاه الحق. فعندما يبتسم يدخل البهجة والسرور على الآخرين.

فهل التبسم فرض؟

إن لم يكن التبسم فرضًا (وهو فرض) فلنا أن نتخيل إذا خلا مجتمع من الابتسامة!.

صدفة عجيبة حدثت في شارع فرنسي مشهور أحد أصحاب الأعمال قرر ألا يزيد مرتبات العمال فسمع العمال بذلك فقرر العمال ألا يتبسموا في وجه الزبائن فوجئ صاحب المحل أن إيرادات المحل نقصت ستين بالمئة عن الأسبوع السابق. فلما بحث عن السبب وجد السبب عدم تبسم العمال.

فلابد أن نتحلى بالابتسامة وهذا ما نريده أن ندخل الابتسامة في البيوت

لأن كثيرًا من المسلمين نتيجة لما يحدث حولهم نسوا أن هناك شيء يسمى التبسم.

ما الفرق بين التبسم والضحك؟ التبسم: هو أن تنفرج أسارير الإنسان عند الابتسامة. إذا ابتسم الإنسان حرك عضلتين وإذا أقطب الجبين أتعب ٢٧ عضلة الصحابة والتابعين كانوا أصحاب بسمة تاريخنا ملئ بالتبسم.

- إنما الضحك:- الذي يغرق في الضحك يضحك على صغير الأمر وكبيره يقول الله تعالى ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦] ليس الفرح فحسب ولكن المبتهج أما الفرح الذي ينسى المنعم ويذكر النعمة. أما الإنسان الذي يتوسط الضحك يكون ضحوك السن.

يقول أحد الحكماء في مدح الوجه العربي:

تراه إذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذي أنت سائله

إن الله عز وجل سوف يكوي جباه وجلود وغبور الأغنياء البخلاء الذين يمنعون عطاءهم عن إخوانهم الفقراء لأنه عندما يجد الفقير قادمًا عليه يقطب جبينه وليس هذا مطلوبًا في الإسلام إما أن أعطيه وإما أن أمنحه ابتسامة قل له أعطاك الله، يسر الله لك. لا تعطيه ظهرك وجبينك مقطب وتتكبر عليه وتؤذيه.

الابتسامة تبارك في العمر

الإنسان كثير الهم المهموم طوال الحياة يظهر عليه التعب والكد وبالتالي يظهر بسن أكبر من سنه هذا أولاً.

- عدم تبسم الإنسان يدخل عليه الملل والخضوع ويشعر أن لا أمل في الحياة بالتالي لا ينجز عمله. لكن المبتسم يستقبل الحياة يزرع في الدنيا فيحصد في الآخرة.

القرآن الكريم يقول: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ [النمل: ١٩]

هنا جمع التبسم والضحك سيدنا سليمان عندما رأى النملة هكذا سألها ما الذي جعلك تحذرين النمل مني؟ ﴿ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾[النمل: ١٨]. قالت خشيت أن يتلهى النمل بكثرة الجيش ساعيًا عن ذكر الله. فتبسم وضحك من قولها، هذا التبسم تعجب أغلب البسمات تكون في ميزان الحسنات وهناك بسمة توضع في ميزان السيئات فهي ابتسامة السخرية.

إذا حفظ العبد قلبه من اثنين ولسانه من اثنين وقلبه من اثنين وعينه من اثنين. فهذا في ميزان حسناته يحفظ عينه هنا ألا ينظر بهما إلى محرم وألا يزدري بهما مسلمًا.

الابتسامة عنوان الرضا...

- **ما مصدر الابتسامة:** مصدر الابتسامة الرضا عن الله وبالله لا يبتسم الإنسان إلا إذا كان منشرح الصدر قانعًا بما رزقه الله عز وجل بعض الناس يقطبون جباههم وروحهم كالحة وبمجرد أن تضغط عليه تجده كأنه بركان ثائر أي أن الرضا قد تبخر من قلبه.

مثال:- مالك بن دينار وهو من أهل العلم جاء في المزدلفة وتوسد التراب ونام قليلاً وهو في موسم الحج. فجاءه شخص فقال له يا إمام تنام هكذا وأنت من أنت. فرد عليه وقال هذه الوسادة أحب إليّ من وسادة أبى جعفر المنصور. لأننا في الدنيا سواء وذلك إذا اقتنعت بما رزقني الله سبحانه وتعالى.

الابتسامة علامة من علامات القلب إذ يصلح الحال الداخلية للإنسان يتولد ما في قلبه على وجهه لكن الابتسامة لا تكن ابتسامة مؤقتة للنفاق ولكن قلبه ملئ بالرضا بفضل الله.

رجل الدين وعلماء الفضيلة وهم من أهل الدين نجدهم يقطبون الجبين

يمكن أن يكون سبب هذا الحزن كثرة الهموم ويعاني هموم الدعوة رغم ذلك يجب ألا تفارق الابتسامة ثغر العالم والداعية لأنه بابتسامته يشرح أمام الناس صورة الإسلام.

أمثلــــة

والرسول ﷺ ما قطب جبينه قط إلا إذا انتهكت حرمة من حرمات الله. ذات مرة كان سيدنا علي ﷺ جالسًا عند رسول الله ﷺ يأكل معه تمرًا وقد كان علي يأكل التمر والرسول يتحدث ثم يضع النوى أمام رسول الله ﷺ. فنهى علي أن يأكل من طبق التمر.

مثال: سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ خرج من بيته يوما عندما لم يجد في بيته طعامًا فقال سأذهب إلى أخي أبى بكر آكل عنده فجاء أبو بكر قادمًا عنده يذهب إلى عمر فقال له إلى أين يا أبا بكر فذهب كلاهما إلى بيت رسول الله ﷺ ولما جلسوا قال الرسول ﷺ أتدريان منذ كم يوم ما دخل في جوف نبيكم من طعام؟!.

فنظر أبو بكر إلى عمر ونظر عمر إلى أبي بكر فأصبح الأمر واضحًا فاستأذنا وقاما على باب الرسول ﷺ وجد كلاهما أبي ذر الغفاري فقالا له اذهب بنا إلى بيت سعد بن أبي وقاص وقالوا إنا نريد طعامًا. هؤلاء تلاميذ محمد عليه الصلاة والسلام. ذهبوا فما وجدوا سعدًا فذهبوا إلى بيت عبد الرحمن بن عوف فذهبوا فما وجدوه فقالوا نذهب إلى عثمان بن عفان قال ما وجدت عثمان فقال عمر اجلس لو ذهبت إلى البحر لجف. فالابتسامة موجودة لوجود الرضا في القلوب.

وقت الحزن حزن ووقت الابتسامة ابتسامة، ساعة وساعة ولكن للأسف الشديد تبدو الساعة واحدة عندنا. يقول إليا أبو ماضي:-

أقبل العيد ولكن ليس في الناس المسرة لا ترى إلا وجوهًا كالحات مكفهرة

وخدودًا باهتات قد كساها ألهم سترة

يعرض القرآن الكريم:- قصة الرسول ﷺ في معرض مقابلته لعبد الله بن أم مكتوم في سورة يس وتولى عنه عاتبه الله يعاتب حبيبه وكان النبي كلما رآه هو ورهطه الفقراء يقول «أهلا بمن عاتبني فيه ربي».

الطاعة نبع ابتسام لا ينضب

- متى يبتسم الإنسان؟ يبتسم الإنسان عندما يصنع طاعة مخلصًا فيها قلبه لله رب العالمين هذه أول لحظة من لحظات التبسم. وهذه علامة من علامات رضا الله عن العبد أن تُغلق في وجهه أبواب المعصية حتى إذا سار إليها وتفتح له أبواب الجنة والطاعات وإذا حبا نحوها. إذا حدث هذا للعبد يدرك أن الله راضٍ عنه وأن الله أغلق في وجهه المعصية وهو ذاهب إليها.

لاتفرح بالطاعة لأنها برزت منك وأظهرتها ولكن افرح بها لأن الله قد جعلك لها أهلاً. أظهرتها أي صليت مثلا أو صمت تصدقت فرجت كرب مكروب لا تفرح لأنها خرجت منك ولكن لأن الله جعلك لها أهلاً.

يقول العلماء إن أردت أن تعرف مقامك عند الله فانظر فيم إقامك الله إن كان في طاعة تكن هنا الابتسامة «**إذا سرتك حسنتك وساءتك سيئتك فأنت مؤمن**» كما قال الرسول ﷺ» [رواه أحمد].

- وقد جمعت مائة وعشرين موقفًا من حياة الرسول ﷺ فوجدت ستين موقفًا سر بها النبي ﷺ وستين موقفا حزن بها الرسول ﷺ فلا يفرح إلا للدين ولا يحزن إلا للدين.

مثال آخر:- كان المنافقون في المدينة يهمزون ويلمزون في نسب أسامة بن

زيد بن حارثة، أسامة كان أبيض وزيد كان أسود فكانوا يفرقوا الوجه لو أن أسامة غير أبيه «تقول السيدة عائشة رضي الله عنها» دخل علي رسول الله ﷺ يوما متهللا وجهه كالقمر قلت خيرًا يا رسول الله قال: أسلمة الأشفعي وكان نسابة قالت ماذا صنع قال دخل عندي فوجد زيدًا وأسامة وقد ناما وقد تغطى وجه كل منهما ولم يظهر منهما إلا أطرافها لا يعرفها الرجل ولم يرَ الوجه فنظر إلى قدميهما قال أقدام هذا من أقدام ذاك. ففرح النبي ﷺ. هذا أمر يفرحه أمر يخص الدين.

ليس عند المسلمين عيدان فقط عيد الفطر والأضحى ولكن كل العام كان أعيادًا لأن كل يوم تدخل شيء جديد تطمئن العالم الإسلامي ويدخل الإنسان إلى دين الله أفواجًا. هذه أعياد فيقول بعض الصحابة قال ماذا نعيد قال عندنا أم عندكم فقال وما عندكم وعندنا. قال يوم العيد يوم لا نعصى فيه رب العبيد أما عندكم عندما يظهر الهلال.

قصة أبو حنيفة: كان في عيد الأضحى يوزع ما يناله من فضل على الفقراء في بيته وفي مرة ما كان عند أضحية فقال أنا لست بأفضل من بلال عندما ضحى في العيد بديك فقال له الرسول ضاحكًا أمؤذن يضحي بمؤذن فقال لزوجته ما وجدت غير الديك فأضحى به أنا ذاهب إلى الصلاة وأعود وأضحي ذهبت زوجته لتمسك به فقفز على جدار جيرانهم هذا ليس يوم الديوك ما القضية بلغ الجيران أن أبا حنيفة ليس عنده خروف أو أضحية يضحي بها فعجب الجيران.

إمام المسلمين في العراق يترك بيته بدون خروف، وأرسل له خروف هدية وأراد إعادة الديك ظل يقفز من بيت إلى بيت.

عاد أبا يوسف بعد الصلاة وجد في بيته ثلاثة عشر خروفًا. قال ما هذا قالوا كلما قفز الديك بلغوا القضية أرسلوا بخروف هدية. فقال عجبًا إسماعيل بن

إبراهيم افتداه الله بكبش واحد ولكن أبا يوسف بثلاثة عشر كبش.

- كان الرسول ﷺ يمزح ولكن لا يقول إلا الحق حتى في المزاح لأنه ﷺ كانت حياته متوازنة. فلا يجوز أن تقول شعب فلان بخيل وشعب فلان جبان هذا لا يصح لابد من التأدب ليس كل ما يسمع يطبق.

كان هناك في التاريخ رجل عنده سيف من خشب يسمى لعاب المنية وكان يحمل السيف عندما تقاتل قبيلته وكان يكون في آخر الجيش فإذا رأى أن الجيش انتصر يمزح وإذا رأى الجيش من نصيبه الهزيمة كان أول العائدين إلى بيته. وفي يوم من الأيام أيقظته زوجته على جلبة في البيت تخبره بأن هناك من هو في البيت لص فقال لها اسكتي يا امرأة.

فاستيقظ وأخذ سيفه وخرج خارج الدار فقال بصوت عالٍ إن كنت حربًا فنحن أهل لك وإن كنت سلمًا فنحن نبسط أيدينا بالسلم ورفع صوته كي يستيقظ الجيران فاستيقظوا واجتمعوا فاطمئن فعاد وبعدها خرج كلب من بيته فقال الحمد لله. الذي مسخك كلبًا وكفانا حربك وهذا كبير من الشجعان.

كيف نجمع بين التبسُّم والمعصية...؟!!

- هناك علاقة بين التبسم وكثرة الذنوب:- فالإنسان البعيد عن الله المحجوب عنه قال عز وجل فيه ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً﴾ [التوبة:٨٢] هذا الضحك ليس بنية التبسم هذا الإنسان في حياته سائر في غيه سائر في طريق الشيطان كلما كثرت ذنوبه كلما رأيته يقهقه كثيرًا على كل صغيرة والإنسان مع حمله الهموم يجب أن يلقى أخاه بوجه مبتسم، وعندما تكثر الذنوب عنده يجب أن يراجع نفسه ويقلل من الضحك لأن الله عز وجل هو الذي يرعاه فيجب أن يكون متأدبًا مع الله سبحانه وتعالى.

قال الله تعالى ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤] يفرح الإنسان عندما يقوم بطاعة كأن يؤدي الصلاة في وقتها يفرح لأنه نام وليس لأحد عنده مظلمة.

يقول الحسن البصري: علمت أن رزقي لا يأخذه غيري فاطمئن قلبي وأن عملي لا يقوم به غيري فاجتهد به وأن ربي مطلع عليَّ في كل لحظة فخشيت أن يراني أعمل معصية، وأن الموت ينتظرني فأعددت نفسي للقاء الله.

يقال أن سيدنا أسامة بن زيد كانت في كل فترة تنكسر له عتبة بيته من كثرة زواره. كان هناك رجل يسمى زاهر، زاهر هذا صحابي كان يحب أن يعيش في المدن كان يقص على رسول الله ﷺ ما كان يحدث في البدو وكان الرسول يلاعبه ويقول زاهر باديتنا ونحن حاضره فمره جاء زاهر ليزور الرسول ﷺ والرسول يسير خلفه فوضع الرسول يديه على عينه يلاعبه فتلمح أو تلمس زاهر رسول الله وكان الصحابة تقول لم نجد ألين من يد رسول الله كان إذا وضع يديه تعرف من رائحته الذكية على رأس هذا الطفل من الجمعة إلى الجمعة حتى ولو اغتسل العديد من المرات وكان إذا سار في الطريق عرف الصحابة أن رسول الله كان يسير من هنا.

فلما أمسك به رسول الله قال من يشتري هذا العبد على الرغم من أن هذا الصحابي حر ابن حر قال من يشتري هذا العبد فعلم زاهر بالمنافسة فقال أكاسد أنا والله يا رسول الله قال لا ولكنك عند الله غالٍ يا زاهر [رواه أحمد].

في إحدى الغزوات جاء أحد الصحابة يستأذن الرسول في الخروج معهما فقال له يا رسول الله ولد الناقة صغير على أن يحملني فقال له الرسول وهل من جمل إلا وهو ولد ناقة.

ومن أمثلة تبسم الرسول أيضًا: جاءت امرأة عجوز إلى رسول الله قالت

أدعُ الله أن أكون رفيقا لك في الجنة؟ فقال لها رسول الله: يا أمة الله لا يدخل الجنة عجائز والمرأة كبيرة في السن بكت المرأة فقال لها ألم تسمعي قوله تعالى ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٧] هذا التبسم تبسم راقٍ.

جاء رجل يريد من سيدنا عمر بن الخطاب أن يوليه ولاية فقرر عمر أن يختبره فقال له مر عليّ غدًا وقال لخادمه عندما يمر يدخله فدخل الرجل فوجد سيدنا عمر يلعب مع أولاده الأربعة على ظهره فوقف الرجل مشدوهًا أهذا عمر الذي هز عرش كسرى فقال الرجل ماذا تصنع يا أمير المؤمنين أنا إن دخلت بيتي فر الواقف ووقف الجالس واستيقظ النائم.

فقال له سيدنا عمر إذا لم تكن رحيمًا بأبنائك كيف تكون رحيمًا بأبناء المسلمين لا حاجة لنا في ولايتك أنت لا تصلح أن تكون واليًا.

مثل آخر في كتب التاريخ: رجل فقير استأجر بيتًا على قارعة الطريق كلما سارت دابة بجوار البيت يهتز فذهب إلى صاحب البيت وقال له إني أخاف أن يقع البيت قال له صاحب البيت هذا بيت سكن فيه كل صالح إنما هو يسبح قال الفقير أنا أخشى أن تأخذه الخشية فيسجد.

- التبسم هنا دليل على رضا الله عن العبد فإن حمد الله على كل شيء أصبح وأمسى مؤمنًا هذا من أفضل نعم الله عز وجل. إن الله أنعم على كل العالم بنعمتين وأنعم على المؤمن بنعمة ثالثة نعمة الإنبات وهي نعمة الإيجاد من عدم ونعمة الهواء والماء ولكن نعمة الهدى والرضا والرشاد فلا تكون إلا للمؤمن. فالحمد لله أن هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

* * *



الظلـــم

معنى الظلـــم

المعنى الأساسي الذي يقر عند الجميع من أهـل العلـم والمشـتغلين بـه هـو وضع الشيء في غير موضعه هذا هو الظلم يعني أن تقدم ما يجب أن يتأخر وأن تؤخر ما يجب أن تقدم وأن تأخذ ما لا يحق لك وأن تضيف إلى نفسك ما لـيس عندك هذا بالمعنى العام لقضية الظلم حتى وصل الأمر إلى أن أنس ﷺ جاء بماء إلى رسول الله ﷺ وصب الماء على يدي الحبيب عليـه الصـلاة والسـلام فغسـل يديه ثلاثا ثم تمضمض ثلاثا واستنشق ثلاثا ثم غسل وجهه ثلاثـا ويـده اليمنـى إلى المرفقين وذراعه الأيسر أيضًا، كذلك ثم مسح رأسه ثم أذنيه ثم غسل رجلـه اليمنى مرة ورجل اليسرى مرة ثم قال هذا وضوئي ووضوء النبـيين مـن قبلـي من زاد أو نقص فقد أساء وظلـم هـذا هـو الوضـوء النبـوي دون الـدخول في الفقهيات والفرعيات.

إذا الظلم يتعدى حتى بالعبادة نفسها بدون شهود ولكن ربما تكـون قضـية وليس شعورنا نحن كمسلمين كلنا من قبل أن كل واحـد فينـا مـن أمـور الـدنيا متخصص وإن لم يكن متخصصًا فيسأل المتخصصين سواء في الطب أو الهندسة أو غير ذلك. ولكن في الدين لا أحد يسأل ربما تقول أنه بفعلها بـدون قصـد أو علم ولكن هذا لا يجب.

فيجب أن يسأل ما هي الأمور التي يجب أن يتعلمهـا الإنسـان لينجـو يـوم القيامة، فالإنسان إذا سافر إلى بلد سوف يمكث فيها مدة طويلة فلابد من دراسة أحوال هذه البلدة فما بالك ونحن نغادر الدنيا إلى مكان لا نعود منه مرة أخـرى

لأن الدار الأخرى لهي الحيوان أي الحياة الأساسية لما لا أدرسها جيدًا حتى قال علي ﷺ للحسن يا بني ادرس الموت وتعلمه جيدًا حتى إذا جاءك فلا يفجعك فيبهرك.

معيار العدل والظلم في الإسلام

من عظمة الإسلام أنه يخاطب العقول مع القلوب، فعندنا ميزان نزن به الكتاب والسنة في كفة، وأعمالنا كلها وأموالنا وحركتنا في كفة أخرى فإن توازنت مع الكتاب والسنة فأهلاً بها وإن لم تكن فلا، ويجب ألا أعيش في الحياة عشوائيًا فاضغط على من أمامي وقد أظلمه وأنا لا أدري فأحشر في زمرة الظالمين وأنا لا أعرف.

- ويجب أن يعوض من يظلم أو من يضغط عليه في أمر معين للمصلحة العامة، لزوال الأرض والسماوات ومن فيهن أهون عند الله من قطرة دم تراق على الأرض؛ فالإنسان عظيم عند الله تعالى أيا كان دينه هذه عظمة الإسلام هذه عظمة الدين، فأول ما يقضي يوم القيامة يقضي في الدماء وأول ما يقضي من الدماء حرمات دم الله يعني من قتل نفسًا فكأنما قتل الناس جميعًا.

يعاملنا الله عز وجل بالفضل لكن هناك عدل إلهي، هناك عدل مطلق يعني لا مندوحة لظالم أن يقول هذا مصلحة العامة أو يقول هذا ما فرضته على الظروف.

مثال الدولة التي تريد أن تشق طريقًا هذا الطريق لابد أن يضيع عشرات من البيوت أو من المساجد هذا ولكن يجب أن يعوض أصحاب البيوت بما يشعرون به أنهم في حالة من الرضا وإن أبوا التعويض يسترضوا أي يسترضيهم الحاكم ويسترضيهم ولي الأمر.

حتى التجارة فلا يجوز أن يقول هذا قانون أو هذا أمر أو هذا مرسوم ولنا في قصة عمر بن الخطاب الأمثلة الكثيرة في قضية نصر بن حجاج فهذا رجل جميل السمت ورأي أن النساء يتحدثن عن جماله فهو صبوح الوجه فأتى به عمر بن الخطاب قال احلقوا له رأسه حلقوا رأسه فازداد بهاء، قال: عمموه فزادته العمامة جمالاً فقال لا يجلس معي رجل تهتك به العواتك في خدورهن فزوده مالاً وسيره إلى الشام. هنا نقف وقفة مع المستشرقين يقولون أن عمر تدخل في حرية الرجل الشخصية هذه المصلحة العامة صحيح يعني المفاسد التي تقوم على وجود هذا الرجل داخل المدينة أكثر من المصالح التي يسير بها إلى الشام لكن هو عوضه وذوده بما يتاجر به لأن هناك مفاسد سوف تتم. درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة فعمر بن الخطاب لم يظلمه بل يريد أن يؤمن المجتمع الإسلامي.

أنواع الظلم...

- أريد أن أقول إن الظلم لا يجب أن يكون لا من الصغير ولا من الكبير لا من الحاكم ولا من المحكوم حتى عبد الملك بن مروان نفسه يقول لا تظلمونا أتريدون أن نسير فيكم مسيرة أبي بكر وعمر وأنتم لا تسيرون فينا بسيرة رعية أبي بكر ولا رعية عمر.

- **وهناك ثلاثة أنواع للظلم،** أول شيء أن يظلم الإنسان نفسه والثاني أن يظلم الإنسان دينه والثالث أن يظلم الإنسان الآخرين.

١- **أما عن ظلم النفس** مثلاً إنسان له بنت وصلت سن الزواج تقدم لها شاب رضيت به لكن الأب على مذهب آخر يعني هناك أسباب ليست شرعية للرفض أليس هذا قد ظلم البنت، وهناك نوع من الظلم كأن يظلم الإنسان نفسه بأن يضيع الحقوق التي يجب أن يؤديها.

فمثلاً إنسان لا يواظب على الصلاة في وقتها فقد ظلم نفسه، إنسان ليس جادا في عمله هذا إنسان ظلم نفسه.

٢- **أما عن ظلم الآخرين** فعندما نهبط إلى الواقع نجد مشكلات فتجد بعض العائلات يقولون إن البنات عندنا لا ترث، فكيف تظلم البنات هكذا فنجدهم يقولون أنه ليس بظلم فكيف تذهب أموالنا وأراضينا وعماراتنا إلى الغريب، والغريب هذا هو زوج الأخت فماذا يصنعون بها؟ يقولون أن المحلات والشركات هذه نحن كذكور أما الإناث فيعطيكم أجورًا في السنة، إن الإنسان الذي يفعل هذا فإنه اقتطع لنفسه شبرا من جهنم.

هذا هو ظلم الغير ظلم واضح يطبق قول الشاعر

بنونا بنو أبنائنا وبنو بناتنا ... بنوهن أبناء الرجال الأباعد

ومثال آخر لظلم الآخرين الرجل الذي يؤذي زوجته ماذا يقول أبوها عنه حتى في نفسه هذا ليس رجلاً أمينًا وعندما وضعت يدي في يده للأسف الشديد كان ظاهر بصورة أبي بكر فإذا به بقلب أبي جهل هذا ظلم، والذي يضاحك الرجال والنساء في العمل وإذا عاد إلى بيته قطب جبهته أليس هذا ظلمًا للآخرين وعندما تبيت أمه باكية منه.

الولد العاق أو البنت العاقة عندما تنصح الأم ابنها بالصلاة أو ابنتها بالحجاب والرد القاسي من الابن والبنت عندما لا يدرك ما معنى الطاعة ما معنى البرأ ليس هذا ظلمًا عندما أغتابك أليس هذه صورة من صور الظلم، عندما آثم في حقك عندما أصغرك أمام الآخرين عندما أتكبر عليك أليس هذا ظلم أما قال الشاعر عمرو بن كلثوم

سنبدأ ظالمين وما ظلمنا ... ولكن سنبدأ ظالمينًا

سنشرب إن وردنا الماء صفوا ... ويشرب غيرنا كدرًا وطينا

- **ربما يظلم الإنسان الآخر في أمرين**، الأول: أن يعلم أنه يظلم والثاني لا يعلم أنه يظلمه، في الأولى عليه وزر وفي الثانية إذا لم يعلم أنه يظلم عليه أن يسأل وإن كان من آليات الحياة فلا يجوز ذلك لأن آليات الحياة يجب أن تنضبط بالكتاب والسنة وكذلك العمل وقوانين العمل إن لم تطبق القرآن والسنة فأقدم استقالتي فورًا فالآخرة أضمن من الدنيا، سبحان الله أبو هريرة عندما ولاه عمر على البحرين فشت له فاشية يعني صار له تجارة فجيء به إلى المدينة ليحاكمه عمر قال: من أين هذا، قال: من تجارة قال عمر لا تتاجر وأنت أمير هذا قانون وأنت لك عطاء من بيت المال مقابل الإمارة، فمن يتولى حكمًا أو إمارة أو مسئولية هذا بإجماع الفقهاء لا يجب أن يتاجر لأنه يجب أن يتفرغ تفرغًا كاملاً لمسئوليته.

أسوأ الظلم...

والعظمة في الإسلام ألا يظلم الإنسان مَنْ دُونه وأسوأ الكبائر عند الله أن أظلم من لا ناصر له إلا الله وهذا كثير فورد في قصص بنى إسرائيل امرأة مسكينة عندها بعض من الدجاج تتاجر فيه ولها حجرة صغيرة بجوار قصر أحد الملوك فأرادوا توسعة القصر بضم هذا المكان فضموه وهدموا الحجرة وجاءت المرأة من الخارج فوجدت أن الدار أثر بعد عين دونما أدنى رغبة فنظرت إلى السماء وقالت أنا لم أكن موجودة فأين أنت يا الله فتزلزلت الأرض فانهدم القصر على نفسه.

هذه القصة موجودة في قصص بنى إسرائيل، وأيضًا نصدق هذا لأن من صفات الله أنه الحليم الذي لا يتعجل بعقوبة الظالم إن الله يملى للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته. ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٥] يعني أتركهم لإملاء وهذا الترك لكي يستحقوا عذاب الله سبحانه وتعالى أو يرجعوا عن

ظلمهم لأن الله كتب على نفسه الرحمة، وعندما لا يرجع يعطيه فرصة حتى يقال في كتب التفسير إن جبريل كان يحدث النبي ﷺ عن اللحظات الأخيرة لفرعون قال لما قال آمنت بالذي آمنت به بنو إسرائيل قال جبريل لو رأيتني يا رسول الله وأنا أدس الماء في فمه قبل أن تدركه رحمة الله غيرة على رب العباد.

إذا كان الإمام الشافعي الإمام العظيم كان يقول يا رب قلت لمن قال أنا ربكم الأعلى ﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا﴾ [طه: ٤٤] فماذا تقول لمن قال سبحان ربي الأعلى، انظر إلى استخدام رحمة الله لأن الله يحب العبد المتملق إليه في العبادة.

كما قال أحد الصالحين يا ربي أنا في الذنوب أشد رجاء فيك من الحسنات من الأعمال الصالحة يعني لأن في الذنوب اعتمد على غفرانك وأنت بالعفو معروف وفي الأعمال الصالحة اعتمد فيها على نفسي وأنا بالأنفة موصوف.

كل واحد مرهون بظلمه...

فإن ظلمت غيري هذه كارثة لأن من ضمن القناطر الموجودة على الصراط يوم القيامة قنطرة المظالم وهي أصعبها وقال ﷺ: لتردن المخيط والمخيط ولو أن شاة قرناء نطحت شاة جلحاء لاقتص الله من هذه لتلك ولو أن جبلاً بغي على جبل لدك الله الباغي، منتهى العدل يعني لا ظلم اليوم، يوم القيامة وعد صادق يحكم فيها ملك عادل يحق الحق ويبطل الباطل فهكذا تكون القوانين.

وكان عمر بن عبد العزيز صاحب المقولة الشهيرة إذا دعتك قدرتك على

ظلم الناس فتذكر قدرة الله عليك، فلا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على الملوك واشغلوا أنفسكم بدعاء ملك الملوك يكفكم ملوككم، فاشغل نفسك بإحقاق الحق وإبطال الباطل، أشغل نفسك بألا تحشر في زمرة ظالم فإياك والظلم فالظلم ظلمات يوم القيامة ويقول الله عز وجل في الحديث القدسي: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا**» [رواه مسلم].

ولنرَ قصة البرمكي في السجن كان يقول لا أنا في الدنيا ولا أنا في الآخرة رغم أنه كان وزيرًا بعد الأمر والنهي، وكان ابنه يضع الماء بالليل فوق المزادة (المدافئ) لتطير منه البرودة ويوضئ أباه قبل الفجر وذات مرة بكى الولد فقال له والده ما يبكيك يا بني قال ما هذا الحال الذي نحن فيه قال لعلها دعوة مظلوم في جنح الليل والناس نيام فعين الله لم تنم.

ولذلك يقول ربنا لدعوة المظلوم: «**لأنصرنك ولو بعد حين**» [رواه الترمذي] ولو كان كافرًا سوف يستجيب الله له إن كان مظلومًا هكذا كلام النبي ﷺ: «**حتى وإن كان كافرًا**» وفي رواية «**وإن كان فاجرًا**» [رواه أبو داود في سننه] فكفره عليه أما دعوة المظلوم مستجابة من المسلم ومن غير المسلم حتى لا تظلم الكافر أو تستحل ظلم الآخرين ومن هم على غير ملة الإسلام ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى.

الظلم الأكبر ... الشرك بالله

- وللظلم أنواع فهناك الظلم الأكبر وهو الشرك، يقول ربنا ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [لقمان: ١٣] وهذا أسوأ أنواع الظلم أن يظلم الإنسان رب الناس بأن يشرك معه أحدًا غيره، وهذا موجود في الحياة ﴿**يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾[لقمان: ١٣] ظلم من الإنسان لله سبحانه وتعالى بأن تشرك

بالله ما لم ينزل به سلطانًا، وظلم نفسه، قوله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢].

فقال أبو بكر باكيا وأينا لم يلبس إيمانه بظلم؟

قال يا أبا بكر الظلم هنا هو الشرك ألم تقرأ قول الله عز وجل ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

ولكن ألم يظلم أبو بكر أحدًا في خلافته؟ على الأقل، أبو بكر ﷺ ولى عمر القضاء عامًا كاملاً وبعد عام كامل جاء عمر يقدم ما يقال عنه استقالة فقال أقلني يا خليفة رسول الله، قال: لم؟ قال: ما جاءني خصم واحد.

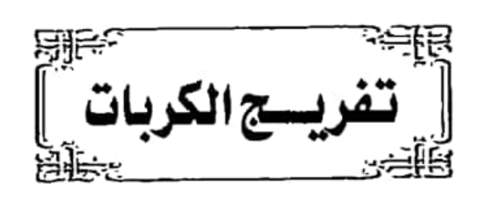
سنة كاملة لم تأت قضية لقاضي القضاة عمر وليتني، أنظر إلى تعبير عمر وليتني على قوم عرف كل واحد منهم الحق الذي له ولم يأخذ أكثر منه والواجب الذي عليه أداه كما هو إنه الإيثار الذي انتشر بين الناس في ذلك الزمان، فترى عليًا بن الحسين بن علي ﷺ أربعين سنة متواصلة وأهل الكوفة وفقرائها لا يعلمون من الذي يضع لهم الأموال والثياب والطعام أمام الباب يفتحون لصلاة الفجر فإذا بالفقير يجد المال والثياب والطعام أربعين سنة متواصلة ولما جاءوا يغسلونه وجدوا أثر الأحبال التي كان يحمل بها القرب بالطعام والشراب والكساء على رقبته وفي ظهره فهؤلاء كانوا أتقياء أخفياء يعملون الخير ولا أحد يعرف من يعمل هذا.

هؤلاء أناس خافوا من الظلم فأنصف واحد منهم نفسه وما ظلم دينه ولا ظلم غيره، أما نحن فنتجرأ على قضية الظلم والسبب أن كل إنسان لا يرى إلا نفسه.

وأسوأ العباد عند الله من انتقم من غيره بمعصية الله حتى ولو كان على حق لأن الله لا يحب الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم، ولو يعرف المظلوم ما له عند الظالم لفر منه مختفيًا طوال الدنيا حتى لا يعوضه عن ظلمه إلى أن يعوض يوم القيامة.

فيؤتي بشخصين أمام الله يوم القيامة ظالم ومظلوم فيقول الله عز وجل انظرا إلى ما ورائكما فينظرن فإذا بقصور في الجنة لمن هذه لأي بني آدم لأي شهيد أم لأي صديق قالوا لمن يعطيني الثمن، وما الثمن يا رب؟ أن يعفو أحدكم عن صاحبه، سبحان الله، فمن تعود في الدنيا العفو فسوف يعفو ومن لم يتعود فلن يعفو، من سار على الصراط المستقيم في الدنيا سار سريعًا على الصراط المستقيم يوم القيامة وعلى قدر ما صنع من زرع طيبا حصد طيبا وما يقال في الحياة الدنيا النفس بالنفس والعين بالعين والبادي أظلم لكن لا يجب أن يستعمل الإنسان ظلما مع أحد أيًا كان حقيقة الأمر.

* * *



تفريج الكربات

الاستعداد لها بالصلة بالله

الكرب جمع كربة والكربة هي الشدة، ويقال ساق فيها كربة أي قويه وفيها شدة، وإذا سألت الناس عن ماهية تفريج الكربة، فالكل يجيب هو حل مشكلته أو كربته فإذا سألت المريض ما هو تفريج كربتك؟ يقول أن أعافى والمدين أن يسد دينه والذليل يقول أن أشعر بالعزة والفقير أن أكون غنيًا، هذه صور الحياة ولكن هناك كربه كبرى ينساها الناس ويتغافل عنها الكثير ألا وهي الحجب عن الله عز وجل أن أجد نفسي غير مندفع لفعل الخيرات ومرضاة الله وأكون غير متعجل في القرب من الله ولست متعجلا في الاستغفار من الذنب.

فمثلا لو أن مدير إحدى المؤسسات قال إنه سوف يذهب إلى مؤسسته بعد منتصف الليل لكي يقبل طلبات من عنده مشكلة ويريد حلها فكم تتخيل سيكون عدد الناس وحجم الزحام.

هذا والله وعدنا إنه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل ويقول ألا من صاحب حاجة فأقضيها له ألا من مستغفر فاغفر له ألا من كذا ألا من كذا، ويقول العلماء وليس العجب في فقير يتودد ولكن الأعجب في غني يتحبب.

ويجب على المسلم أن يكون مستعدًا للكربات، استعدادًا ليس من باب الترقب بل من باب اليقين الذي يكون في قلب المسلم لأنه إذا دخل الإيمان واليقين قلب العبد انشرح القلب فلما ينشرح يرى الإنسان بعين البصيرة لا بعين البصر فيرى أن هذا الكرب منه من الله عليه طالما أنه بعيد عن الدين، فالله

يحب أن يسمع صوت العبد يدعوه ويتذلل إليه.

فانظر إلى دعوة الصائم والمظلوم مثلا تستجاب لأن الصائم أذله الصوم، والمظلوم عنده مذلة والظلم هو الشيء الوحيد الذي صرح الله به أنه حرمه على نفسه فيجيب دعوة المظلوم ويقول وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين.

فهذا يوسف الصديق وقع في كربات كثيرة فكان أولها أن ينزع من بين أحضان أبيه ثم يلقى في الجب ويقسو عليه إخوته وظلم ذوى القربى أشد وطأة على النفس حتى الصالح فيهم يقول ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٩] فهذا بعين البصر كرب ولكن بعين البصيرة فهذا ترقّ للإنسان في درجات الإيمان، فإنه لن يرتقي في الإيمان إلا بالابتلاء.

الكربات تعطيك قبل أن تأخذ...!!!

والمؤمن يتعامل مع الكرب بعين البصيرة حيث يرى أنه أقرب إلى الله، لأن غير المكروب يدعو إلى الله وهو مطمئن أما المكروب فيدعوه بجميع جوارحه فيستشعر القرب من الله.

قال أحد الأمراء لأبي حازم وهو في الحرم ألك حاجة قال يا أمير المؤمنين أستحي أن أطلب من غيره وأنا في حرمه، فراقبه أمير المؤمنين حتى خرج من الحرم وأعاد عليه الطلب فقال له أستحي أن أطلب من غيره، وأنا في مكة، فراقبه حتى خرج منها، فأعاد عليه السؤال فقال له أأطلب حاجة من حاجات الدنيا أم الآخرة، فقال له أمير المؤمنين أما حاجات الآخرة فهي ملك لله، بل حاجات الدنيا، فقال أبو حازم أنا لم أطلبها ممن يملكها فكيف أطلبها ممن لا يملكها.

إذا الاستعداد للكرب يعطي الإنسان مناعة قوية ضد الكرب، لذلك نجد أن

الله قال عن موسى ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [القصص: ١٤] وأما عن يوسف فقد قال ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [يوسف: ٢٢] ولم يقل استوى، وهذا لأن الابتلاء والكرب قد أتى ليوسف مبكرًا فجعله مستعدًا لأي محنة فلا يهمه الكرب، وحال لسانه أصلاً بالكرب ما دام مكفرًا للذنوب أهلا به لأنه يرفع الدرجات.

والناس قد تظن أن الكرب غضب من الله ومقت، وانظر كم مَنَّ الله على الناس حتى لو أذنب العبد فما يشاك العبد بشوكة إلا بذنب، فمن جميل صنع الله أنه يغفر عنا أولاً بأول، رُوِيَ أن الصحابة كان إذا مر عليهم أربعون يومًا دون ابتلاء كانوا يراجعون حساباتهم مع الله، فأهل الكربات هم أهل الله وخاصته.

لذلك جاء في الحديث القدسي «**عبدي جعت فلم تطعمني يقول يا رب كيف تجوع وأنت رب العالمين يقول أما علمت أن عبدي فلان قد جاع أما لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، عبدي عطشت فلم تسقني فيقول يا رب كيف تعطش وأنت رب العالمين يقول أما علمت أن عبدي فلان عطش ولو سقيته لوجدت ذلك عندي، عبدي مرضت فلم تعدني يقول يا رب كيف تمرض وأنت رب العالمين قال أما علمت أن عبدي فلان قد مرض ولو عدته لوجدت ذلك عندي**» [رواه مسلم].

آداب للمكروبين...

وإذا ابتلى الإنسان بكرب أو كربات يجب أن يتعامل معهم كالآتي:

أولاً:- أن ينظر إلى النعم التي أعطيت له منذ أن كان جنينًا إلى أن صار إلى ما هو عليه، وقد قال الله ﴿وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] فالإنسان الناسى لا يحاسب على نسيانه أما الغافل فهو مصر على النسيان، والغافل عبد مخطئ لأنه ماذا قدم إلى الله وهو جنين في بطن أمه، فالله الحنان المنان هو الذي يعطي

النوال من غير سؤال، وأيضًا هو لا يمنع عطاءه على الكافرين فماذا قدم هذا؟!.

وعندما ينظر العبد إلى كثرة النعم ويؤخذ منه شيء يقول يا رب قد أخذت القليل وأبقيت الكثير، فهذا عمرو بن مسعود عندما قطعوا ساقه ومات أولاده السبعة وقد ضربته ناقة على رأسه فأصيب بالعمى وقطعت ساقه فكان قوله يا رب إن كنت أخذت القليل فقد أبقيت الكثير، وهذا لأنه استعد للكرب فعندما جاء فكان في قلبه رضا ويقين.

ثانيًا: يعلم أن ما أصابه من عند الله الرحمن الرحيم وذلك لكي يمحصنا فقال الله ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٥] فبكى الحسن البصري وقال إن بلوتنا فضحتنا وملكت أبصارنا.

وقد قسم العلماء الناس إلى قسمين عاقل وجاهل، فعرفوا العاقل بأنه محسن غافل والجاهل مسيء آمن.

ثالثًا:- قال العلماء ليس بمؤمن مستيقن الإيمان من لم يعد البلاء نعمة والنعمة بلية، فقالوا كيف؟ قال أن البلاء لا يعقبه إلا الرخاء وإن النعمة لا يعقبها إلا البلية.

فعلي ﷺ قال يا فاطمة اذهبي لأبيكي ﷺ فآتينا بخادم فذهبت إلى النبي ﷺ وهو المشرع قال يا فاطمة أأعطيك وأدع فقراء المسلمين! ألا أدلك على شيء أنت وزوجك إن صنعتيه ذهب عنكما عناء اليوم كله قالت دلني قال إذا آويتما إلى فراشكما فقولا سبحان الله ثلاثا وثلاثين والحمد لله ثلاثا وثلاثين والله أكبر أربعة وثلاثين [رواه البخاري]، فقالت السيدة فاطمة فما أن قلناها إلا ذهب عنا عناء اليوم كله.

والحامل مثلاً متعبة طوال تسعة الأشهر، يجب أن نفكر أن هذا من فضل

الله فكم من الناس مصاب بالعقم وكم يتمنى أن يتعب هذا التعب على أن يكون له ذرية، ويخص الله الناس بكربات، كل فرد بما يتحمل.

أخيرًا ينظر إلى حاله بعد الصبر على الكربة، فمثلاً المرض هو كربة عامة للناس فإذا علم العبد أن الله يكتب له جميع الأعمال الصالحة التي كان يقوم بها وهو سليم، وأيضًا من كان يصنع السوء يكتب له وهو مريض، وأنين المريض يكتب تسبيحًا، ثم المريض يكون أقرب إلى الله لأنه ذليل المرض، ومن يصبر عليه يأتي بعد المرض وقد أبدله الله لحمًا خيرًا من لحمه ودمًا خيرًا من دمه وأخرجه من ذنوبه كيوم ولدته أمه، والصالحون أكثر الناس بلاء لذلك قال العلماء يجب على العبد أن يحمد الله في الضراء لأن الله اختاره أن يكون محل الكربات، وجاء في الخبر أن فرعون لم يمرض قط.

وربما يغلق الله عليك باب العمل بالرياء فيغلق عليك باب القبول وربما يأتيك بالذنب لكي تتوب فيكون سببًا للوصول، فهذا إبراهيم بن أدهم كان سارقًا يسرق البيوت وذات يوم إذا نور بيت فسمع صاحب البيت يتهجد ويقرأ ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦] فقال: أجل آن يا رب، فصار عالمًا زاهدًا.

الكروبات طهارة ونقاء

فالكروبات تطهير من الله وليس انتقامًا، فهي تغيير ورفع في الدرجات وتنبيه للغافل وإعانة للذاكر ثم رحمة من الله، وإن كان العبد ظالمًا فالله أكرم من أن ينتقم من عبده، كما قال أحد الصالحين يا رب أنا أنا وأنت أنت أنا العواد إلى الذنوب وأنت العواد إلى المغفرة.

فالزوجة التي مات زوجها وترك لها تسع بنات فجاء الناس ليعزوها قالوا: ماذا تصنعين ومن أين تأكلين فقالت عرفت زوجي أكالاً لا رزاقًا فإن ذهب

الأكال بقى الرزاق، وقال العلماء إن المصيبة تأتي ومعها الصبر ويظهر العبد في اليقين.

وانظر الحبيب ﷺ يروي عن رب العزة أن الله يقول عن العبد: «من جاءني منهم تائبًا تلقيته من بعيد ومن ذهب منهم عاصيًا ناديته من قريب أقول له: أين تذهب أوجدت ربًا غيري، أهل ذكري أهل شكري وأهل طاعتي أهل محبتي وأهل معصيتي لا أقنتهم من رحمتي من تاب إلي منهم فأنا حبيبهم ومن لم يتب فأنا طبيبهم وأنا إليهم أرحم من الأم بأولادها».

وليس معنى أن الكرب محبة من الله ومغفرة للذنوب أن تترك الأسباب إذا جاءت المصيبة أو الكربة، بل يجب أن تأخذ بالأسباب، وإذا قوى اليقين قامت الأسباب، كرجل أخذ ماله ووضعه في أحد البنوك فإذا قام حريق في البيت أصبح معظم ما يملك في البنك بعيدًا عن النار هكذا قلب العبد المؤمن الموصول بالله.

فهذا مثلا سيدنا إبراهيم يؤمر بذبح ابنه فيذهب ويحضره. ويقول الابن افعل ما تؤمر، وهذه أم الكليم تؤمر بأن ترمي ابنها في اليم فتفعل لأنهم متعلقون بالله واثقون من أمره.

والإنسان مطالب أيضًا بتفريج كربة أخيه المسلم إن استطاع، ففي الحديث **«من فرج عن مسلم كربه من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة»** [رواه مسلم]، وفي تفريج كرب المسلم الخير الكثير وكأن الله ينظر إلى العبد الضعيف يفرج كرب أخيه ويأخذ من وقته وجهده لأخيه كأن يصلح بين متخاصمين أو يدخل الهدوء على نفسه الخائفة، أتظن أن الله يضيع وقتك وجهدك إنه يكتبك في عباده الصالحين.

فهذا عكرمة بن أبي جهل عندما وقع مستشهدًا في اليرموك ويأتيه الساقي

فيقول اذهب إلى أخي فلان والآخر يقول نفس الشيء ثم يمر الساقي على السبعة وعندما يعود إلى عكرمة فيجده قد مات والثاني حتى السابع، ويذهب أحدهم إلى عمر بن الخطاب بمقص شاه فيقول له عمر اذهب إلى عمار بن ياسر علّه أشد مني حاجة وعمار يرسلها إلى ابن مسعود ويرسلها ابن مسعود إلى بلال حتى السابع فيرسلها إلى عمر فعادت إليه، فهذه المحبة التي يحسدنا عليها الغرب.

ويقول الرسول ﷺ: **«مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أني مورثه»** [رواه البخاري]، وهكذا المسلمون متحابون متوادون، ويعمل المسلم على تفريج الكرب ولو بالدعاء والكلمة الطيبة فيجب الدعاء لإخواننا في فلسطين والعراق والمضطهدين في مشارق الأرض ومغاربها، وقال النبي ﷺ «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم».

الخشية أعانتهم...

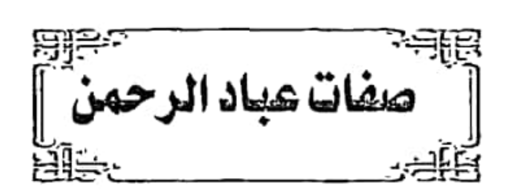
وقد يسأل سائل كيف تحمل الصحابة الكربات ولا نحملها نحن الآن، والإجابة مثلاً لو جئنا بمنضدة من خشب ووضعنا عليها أحمالاً تزن خمسة أطنان فسوف تنكسر ولكن إذا كانت هذه المنضدة من حديد تحملت، فهكذا القلوب إذا قوى الإيمان فيها تحملت.

فهذا رسول الله ﷺ يقول الله تعالى عنه: **﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾** [الحشر: ٢١] وقد نزل على قلب رسول الله ﷺ مع حنانه، ويقول الصحابة إن حمى الوطيس واحمر الحلق في المعارك كنا نحتمي برسول الله ﷺ فلا يكون أحد أقرب من العدو منه، وكان هينًا لينًا يقول للرجل **«هون عليك ما أنا إلا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة»** [رواه ابن ماجه]، وهو الذي يظل يبكي طوال الليل، وكذلك كانت قلوب الصحابة، كما رثت عائشة أباها أبا بكر فقالت كنت ضعيفًا في نفسك قويًا في أمر الله كنت كالجبل الأشم

لا تذهبك العواطف ولا تزيلك القواطف.

المسلمون الآن لا يتحملون الكرب لأن القلوب ما قويت بعد فالقلوب تقوى بالعقيدة السليمة وبالتربية السليمة والاقتراب من الدعاء والمخلصين والاقتراب من مجالس العلم، وقيام الليل، وحب صناعة الخير بين الناس، وتكون مع الناس كالشجرة يرمونها بالحجر فتلقي إليهم الثمر، هكذا نكون أقوياء في القلوب فتتحمله.

* * *



صفات عباد الرحمن

أنواع الناس

ينقسم الناس إلى غني وفقير وهذا ما تعارف عليه الناس وهناك عامة الناس.

ولكن الله تبارك وتعالى يقسم الناس بمعيار آخر فيقول تعالى ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

فينقسم الناس عبر هذه الآية إلى عالم أوجاهل

يقول ابن عطاء في مناجاته لربه: يا رب كيف لا أكون جهولا في علمي وأنا الجهول في جهلي، فالإنسان مهما أوتي من علم فهو جاهل لأنه مهما أوتي من علم فهو قليل وعلمه يقتصر على أشياء معينة إما مصطلحات علمية أو فقهية أو ثقافية أو....

ولذلك يدعونا النبي ﷺ أنه مهما كان علمي في شيء فأخبر بما عندي ثم أقول والله أعلم وإن لم يكن يعلم فلينسب العلم إلى الله ويقول الله أعلم.

- **تحذير**

مما سبق يحذر النبي ﷺ من الفتوى بغير علم فيقول ﷺ: «من قال لا أعلم فقد أفتى».

وكذا يحذر من أن يجتمع حب الدنيا وحب الآخرة في قلب الإنسان فهما لا يستويان ولا يجتمعان كما لا يجتمع الليل والنهار معا أبدًا ولكن أجعل الدنيا وسيلة للآخرة كما يقول الله ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ

مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧] فالناس درجات في الآخرة بقدر انغماسهم في الدنيا وبما ضيعوا من أوقاتهم سواء في الحق أو في الباطل.

*** صفات عباد الرحمن (الخطة الذهبية)**

يقول الله ﴿عِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ۞ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۞ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۞ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ۞ وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۞ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۞ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۞ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَابًا ۞ وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ۞ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣- ٧٤].

هؤلاء طائفة خاصة في الجنة بما لهم من صفات خاصة فأجعلها خطة حياتك وهدف لك حتى تصل إلى صفات عباد الرحمن كلها.

أول صفة من صفات عباد الرحمن

١- الذين يمشون على الأرض هونا. وهنا يقصد بالهون التواضع وفي المقابل نجد أن من تكبر فهو ليس من عباد الرحمن فلن يدخل الجنة متكبر وهذا قانون عام.

ما هو الكبر

هو بطر الحق وغمط وكما يقول علماء النفس هو إسقاط لعيوبه ويضعها على الناس فهو يعلق مصائبه على الآخرين فهو يظن أنه العلامة الوحيد في المجلس أو على الشاشة أو في مادة كذا فليس له مثيل وهذا هو الكبر ولكن نجد أدب الأنبياء والصالحين فمثلا قصة الخضر وموسى عليه السلام عندما سأل موسى الله فقال إن كان هناك أعلم مني في الأرض فاجعلني ألتقي به وعندما التقى به ونعرف هذه القصة فقد اتفقا على أن لا يسأله موسى عن شيء حتى يخبره هو بما يريد ولكن سيدنا موسى لم يصبر على شيء وظل يسأل حتى قال له هذا فراق بيني وبينك وأخبره بكل ما رآه، ... وكذلك سيدنا سليمان عندما وجد العرش مستقرًا عنده فلم يغتر ويقول هذا مما أوتيت ولكن قال هذا من فضل ربي ليختبرني أأشكر أم أكفر.

من تواضع النبي ﷺ أنه كان إذا مشى مع الصحابة جعلهم يمشون أمامه و يقول خلو بيني وبين ملائكة ربي وكذلك عندما رآه أعرابي لأول مرة فدخل الرعب قلبه فقام له وربت على كتفه وقال هون عليك إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد (اللحم الجاف) في مكة.

وهذا من التواضع.

جزاء التواضع وشكر النعمة

من أراد من الله شيئا فليسأله إياه كما فعل الأبرص- الأعمى- والأكمه وأغناهم الله لأنهم طلبوا المال من الله وجائهم الملائكة يطلبون منهم الحق في ماهم فمن بخل فكان المال وباء عليه وأخذ منه ومن شكر النعمة وأدى حقها زاده الله في ماله.

وكذلك صاحب الجنتين «قال» ﴿مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۝ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ [الكهف: ٣٥، ٣٦]... فلما لم يؤد حق الله فيها أصبح فوجدها خاوية.

٢- وإذا خاطبهم الجاهلون قالو سلامًا.

وهنا يقصد بسلامًا أن نحسن إليهم ونرد عليهم ردًا طيبا ومن الرد الجميل تقول جزاك الله خيرًا، بارك الله فيك.

على زين العابدين بيطوف والناس تفسح له الطريق فاقترب منه رجل لا يعرفه ولكنه حاقد عليه وقال له يا فاجر فرد عليه زين العابدين وقال جزاك الله خيرًا فرد عليه وقال أنت منافق فقال على بارك الله فيك.

وقد ظل على زين العابدين ٤٠ سنة وأهل الكوفة لا يعرفون من يضع لهم الطعام والشراب قبل الفجر والملابس والأموال إلا لما مات على زين العابدين وهم يغسلونه وجدوا آثار الحبال التي كان يحمل عليها الشراب والطعام قد تركت آثارًا في جسده فهذا كان خلقه وليس كلامًا فقط.

٣- والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما.

والذين يقضون الليل يصلون لله فبياتهم قيام وتسبيح وتحميد لله لأن قلبهم معلق بالعرش وهنا قال يبيتون ولم يقل يقومون أو يصلون لربهم بالليل ولكن جاء بكلمة المبيت هنا لأن الإنسان لما يبيت يستريح وهنا قدم السجود على القيام لأن العبد يكون أقرب لله في الصلاة وهو ساجد.

ونجد أن الإنسان صاحب الضغط (مريض الضغط) عند الركوع والسجود ينضبط ضغطه وكان عطاء بن رباح يقسم الليل هو وأمه وزوجته إلى ثلاثة أقسام كل يأخذ ثلثه ويوقظ الآخر ثم يوقظ الأخير الآخرين ليصلوا الفجر وعندما ماتت أمه قسموا الليل نصفين ثم بعد ٧ سنوات ماتت زوجته فظل عشرين سنه يقيم الليل وحده.

أجر من يقيم الليل أو قل حسنات قيام الليل

ينشرح الصدر، ويوسع في الرزق، ويستجاب لدعاء المؤمن فيه.

فالله ينزل في الثلث الأخير من الليل فيقول هل من صاحب حاجة فاقضيها له فالله يحب أن يسمع صوت عباده وهم يدعونه وهم يلحون عليه بالدعاء والملائكة تستغيب الرجل الذي يقيم الليل فتسأل عنه فيقال إنه مريض فتدعوا له بالشفاء وإن كان مسافرًا أن يرده الله سالمًا وإن كان مات فتدعوا له بالرحمة ويقول النبي ﷺ «**ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم وإذا تحاببتم دخلتم الجنة أفشوا السلام وصلوا بالليل والناس نيام**» [رواه مسلم].

وصلاة الليل مهمة فهي ليس فيها ريا ولا سمعة وكان الصحابة يتنافسون على ذلك.

٤- والذين يقولون ربنا أصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما.

هذا القول لابد وأن يتبعه عمل ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ [العنكبوت:٧] وعذاب جهنم لا يقدر عليه أحد ولذلك دائمًا يتعوذ المسلم منها ويطلب من الله أن يصرف عذابها عنه لأنها ساءت مستقر ومقاما.

٥- والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يفتروا وكان بين ذلك قواما.

٦- والذين لا يدعون مع الله إلها آخر.

هنا نجد الاهتمام بكلمة التوحيد الخالص والإخلاص لله وحده لا شريك له والإيمان بدون سلوك غير صحيح ولكن السلوك يقدم على الإيمان وهنا نجد اهتمام ربنا سبحانه بترتيب الآيات والصفات فالكبر إذا وجد في شيء لا ينفع فيه نصح أو تغيير وأنهى بالذين لا يدعون مع الله آلهًا آخر وهنا لم يقل يدعون مع الله أو الرحمن ولكن قال مع الله آلها وهذا ليخص عظيم التوحيد.

٧- ومن ضمن صفاتهم ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق يقول ﷺ «**لزوال الدنيا ومن فيها أهون على الله من قتل امرئ مسلم**» [رواه الترمذي] فالمسلم لا يقتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، ويقال أن العصفور الصغير يأتي يوم القيامة له عجاج يعني صوت ضخم يسمعه الداني والقاصي يقول خذ حقي من هذا فإنه قتلني عبسا ولم يقتلني لمنفعة.

فما بالك بمن يقتل إنسان أو أناس ويقول النبي ﷺ «**دخلت امرأة النار في هرة حبستها فلا هي أطعمتها ولا تركتها تأكل من حشائش الأرض**» [رواه البخاري] فهذا جزاء من حبستها ولم تقتلها فالله تعالى عاقبها بدخولها النار وكذلك من يقتل النفس بغير حق فليس له جزاء غير النار.

ثم إنهم لا يزنون. أي لا يرتكبون الأفعال الفاحشة التي يحرمها الشرع وتستقذرها الفطرة البشرية ويستقبحها العرف ومن يقترف هذه الأعمال السيئة يلق من الله الإثم وكذلك يضاعف الله يوم القيامة له العذاب بما اقترف من آثام وأفعال محرمة ثم إنه يخلد يوم القيامة في النار أمعانا في الإهانة والعذاب وهنا استثناء جميل إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا أي توبة نصوحة يتبعها إيمان بالله وعمل ليمحى الذنب وليغفر له ما سلف فالتوبة تجب ما قبلها إذا كانت صادقة وعازم صاحبها على ألا يعود لمثل ذلك أبدًا. ويقول ﷺ «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق السارق**

حين يسرق وهو مؤمن...» [رواه البخاري].

وهنا يحذر الله من الفواحش واقترافها لأن كل شيء يشهد عليك حتى الأرض والجوارح والزمن والحفظة الذين يكتبون عليه ذنوبه والله تبارك وتعالى وهو أكبر شاهد ﴿**يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ....**﴾ [النور: ٢٤].

فإذا تاب العبد محيت صحيفة سيئاته وبدلت وإذا لم يتب يضاعف له العذاب.

٩- ومن صفاتهم أنهم لا يشهدون الزور

يقول ﷺ «**إياكم والشرك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فاعتدل وقال إلا وشهادة الزور ألا وقول الزور حتى قلنا ليته سكت**» [رواه البخاري].

وشهادة الزور لا تكون في المحكمة فقط ولكن تستخدم في أمور أخرى كثيرة حتى دخلت في من يخرج الناس الحج بشهادة الزور ولكن هناك لابد أن تكون في كل الأمور وفي الحج الوسيلة شرعية والمال شرعي والسعي لتحقيق الهدف شرعي.

وهنا نجد أن النبي حرم هذا الفعل وصاحبه وهذا دليل على أنه من الكبائر كان متكئا فقعد وتحدث حتى أن الكلام كان قويا على الصحابة فتمنوا إن لو كان سكت لكان أفضل.

١٠- والذين إذا مروا باللغو مروا كراما.

أي لا يخوضون معهم في هذا الحديث بل يمرون عليهم مرور الكرام.

١١- والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما.

وهنا يدعون الله أن يهب لهم من أزواجهم وذرياتهم قرة العين أي أن تقرا عينهم بأزواجهم وأولادهم وأن يكونوا من المتقين وفي النهاية يختم الله تبارك

وتعالى الآية:

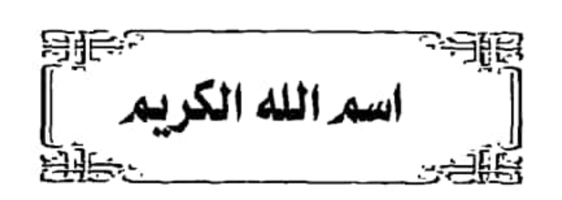
﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا ۝ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٧٥، ٧٦].

وهنا فتحت الآية بجزائهم في الآخرة جنة النعيم ويلقى عليهم تحية الإسلام ويجدون فيها الأمن والأمان والاستقرار والمقام الحسن في دار الخلد الذي يخلدون فيها بما صبروا على إيذاء الآخرين وصبروا على عدم مجالسة أصحاب اللغو وصبروا على أذى الأفاكين والكذابين.

* * *

الباب الثالث
في الرقائق

١- اسم الله الكريم
٢- اسم الله الصمد
٣- اسم الله الرؤوف
٤- أدب الابتلاء
٥- الشكر
٦- الرضا
٧- التوبة
٨- أشكال وأنواع التوبة



اسم الله الكريم

الكريم يعطى من غير مسألة

إن عظمة الكريم عز وجل أنه أعطانا من كرمه سواء طلبنا أو لم نطلب فأعطانا من كرمه بسؤال أو من غير سؤال فما طلب أحد من الله أن يوجد جنينًا في رحم الأم ولكنه أوجده بكرمه، ما من أحد طلب من الله أن يضع لبنًا في ثدي الأم حتى يرضع.

ما من أحد سأله أن يضع هذه الرحمة في قلب الأم كي تسهر وأنا أنام وتتعب هي وأستريح فهذا كله من كرمه عز وجل ليس أحد منا طلب من الله عز وجل أن بعد فترة معينة نبدأ في الاستغناء عن لبن الأم فتنبت لنا الأسنان واللحاء ونحاط بهذا الكم من العطف الأبوي من الأب والأم والأسرة على الرغم من أننا أضعف مخلوقات على وجه الأرض فالكتكوت أقوى منك فيخرج من البيضة يتحرك وأنت لا تستطيع الحركة والاعتماد على النفس إلا بعد أمد طويل، سنة أو أكثر وهذا من صفة الكريم عز وجل.

وتتعجب من أن الله عز وجل أثناء الحمل لا يجري لبنًا في صدر الأم وبمجرد أن يولد يحرك اللبن حتى يأكل الطفل وهذا من محصن كرمه لأنه كريم فلابد على الإنسان إذا هجمت عليه الهموم والابتلاءات أن يذكر كرم الكريم سبحانه فسيدنا أيوب مكث ثمانية عشر عامًا طريح الفراش لا يتحرك (شلل رباعي) ويأتي إليه إبليس ليضيق عليه منافذ الرحمة يقول له يا

أيوب لو كنت لله نبيًا حقًا لما طال بك هذا المرض يقول لـه يـا إبلـيس أنـا في نعمة لو علمتها لحسدتني عليها قال إبليس ماذا؟ قال أيوب عليه السلام قال لي ربـي يا أيوب أرضَ بما قسمته لك تكن أغنى الناس وأنـا راضٍ بمـا قسـمه الله لـي لأني عشت سبعين عامًا صحيح البـدن أسـتحي مـن ربـي أن أطالبـه بثمانيـة عشر سنة من المرض أمام سبعين عامًا من الصحة؛ فهذا الإنسان يتعامـل مـع الله بأنه كريم.

اللئيم لا يعرف الفضل

وكثير من الناس يظنون أن الكريم عكسها البخيل هذا فهم خاطئ فالكريم عكسها اللئيم كقول الشاعر:

إذا أنت أكرمـــت الكريـــم ملكتـــه

وإن أنت أكرمـــــت اللئيـــــم تمـــردا

فقال اللئيم ولم يقل البخيل والكريم في الإنفاق صفحة من كتاب الكرم والكـرم كما عرفه العلماء كل خلق حسن صاحبه كريم وقد سئل الرسول ﷺ مـن الكـريم؟ **«قال الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم، يوسف بن يعقوب ابن إسحاق بن إبـــراهيم»** [رواه البخاري] ومن تواضعه ﷺ لم يقل على نفسه الكريم.

ووصف النساء سيدنا يوسف بها في قوله تعالى في سورة يوسـف **﴿مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾**[يوسف:٣١] ولأنه ابتعد عن ما يغضب الله **﴿قَـالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾** [يوسف: ٣٣] وكريم عندما جـاء أبـوه وأخوتـه وخروا له سـجدًا قـال **﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّـا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾**[يوسف:١٠٠] وجاء بكلمة الفرج أخرجني ولم يقل وإذ دخلت السجن.

وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦] تشعرنا بأن الله سبحانه وتعالى يخاطب أبناءه فكم تستشعر فيها من الهدوء وفيها من الحنان ومن الحنو ما هو غير موجود على أرضنا الآن فلما يخاطبنا بكل هذا الكم من الحنان والرهبة والخوف علينا لأنه كريم والكريم تعريفه عند الاصطلاحيين البلاغيين الذي يعطي ولا يبخل.

يوجد ستة مليار إنسان يعيشون على سطح الكرة الأرضية فيهم على الأقل أربعة مليار ونصف يشركون بالله أو ينكرون وجود الله أو يجعلوا لله زوجة وولد على الرغم من هذا لم يمنع عنهم عطاياه فالله عدل لا يظلم الناس شيئًا فيعطيهم على قدر ما يستمتعوا به في الدنيا لأنها جنة الإنسان الذي انحرف بعيدًا عن الله وهذا من كرمه فلا يسأل من أعطى وهذا من صفات الكريم.

قال الرسول ﷺ على لسان رب العزة «عبدي لي عليك فريضة ولك على رزق فإن خالفتني في فريضتي لم أخالفك في رزقك» وقال أيضًا رسول الله ﷺ على لسان رب العزة «يا كليمي بلغ عبدنا أطعتنا فأحببناك وعصيتنا فأمهلناك ولو عدت إلينا على ما كان منك قبلناك وما عاتبناك».

كرم خلقه ﷺ

الكرم صفة من صفات النبي ﷺ عندما تذكر قصة صحابي كان خادمًا عند الرسول وكان دميم الخلقه فكلما ذهب إلى امرأة ليتزوجها ترفضه لدمامته، فقال يومًا يا رسول الله هل أتزوج من حور العين في الجنة فقال له الرسول ﷺ بل في الدنيا الصالحات وفي الآخرة من حور العين.

فنظر الرسول إلى رجل من الجالسين يا أبا فلان زوج ابنتك له فشعر

الرجل بالحرج لأمر الرسول ﷺ وقال استأذن أمها يا رسول الله فقالت أم الفتاة أما وجد الرسول غير هذا الرجل فقالت الفتاة يا أبتي يا أمي أتريدون أن تردوا على رسول الله أمرًا.

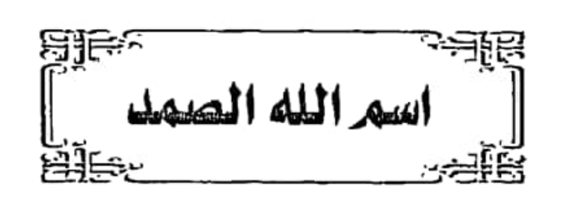
فخرج الأب وقال يا رسول الله أنت تزوجه قال: نعم. قال: فافعل فزوجه وبعد أيام من زواجه نادى منادٍ للمعركة فذهب الصحابي ورزق الشهادة وبجواره سبعة من القتلى فقال الرسول ﷺ للصحابة ألا تفتقدون أحدًا قالوا: فلان يا رسول الله ولم يذكر أحد هذا الصحابي فقال الرسول أفتقد أخي زلبيي اللهم إني أشهدك أنه مني وأنا منه ثلاث مرات، وروي في الأثر أن الكرم شجرة أصلها في الجنة وفروعها تتدلى فمن تعلق بها دخل الجنة.

وتوافر صفة الكريم عند الرسول ﷺ من قبل الله تعالى فهو سبحانه الذي وصفه بها ومن مواقف الكريم موقفه مع زعيم المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول عندما توفى فوقف عمر لمنع النبي من الخروج للصلاة على هذا المنافق فقال له النبي ﷺ إليك عني يا ابن الخطاب فقال عمر يا رسول الله لقد قال لك رب العزة ﴿**اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ**﴾ [التوبة: ٨٠] فقال النبي يا عمر والذي بعثني بالحق نبيًا لو أعلم أنه يغفر لهم أكثر من السبعين لاستغفرت لهم.

لما مات عبد الله بن أبي بن سلول جاء ابنه عبد الله وكان رجلا صالحًا يحبه النبي فقال إن أبي قد مات فخلع النبي عباءته وفرشها تحته لعل الله أن يخفف عنه يخفف عن الذي خاض في عرضه والذي قال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأزل وهذا من كرم أخلاقه ﷺ.

بعد فتح مكة أسلم ألفان فقال لهم الرسول اذهبوا فأنتم الطلقاء ووزع على أهل مكة الغنائم فنظر الرسول حوله لم يرَ أحدًا من الأنصار فقال أين القوم؟. قالوا في شعب كذا ففهم النبي أن هذه مداخل الشيطان، فقال لهم يا معشر الأنصار قد تقولون جئتنا مكذبًا فصدقناك وطريدا فآويناك وعائلا فأغنيناك ولو قلتم لصدقتم ألا ترضون أن يعود الناس بالأسلاب والغنائم وتعودون أنتم برسول الله في رحالكم هذا من كرمه ﷺ ثم قال لو لم أكن رجلا من المهاجرين لكنت من الأنصار اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار فبكى القوم وابتلت لحاهم وكادوا يقبلون رسول الله هذا كرم في التعامل كرم القائد مع جنوده.

* * *



اسم الله الصمد

من ظلال ... الصمد

المتعايش مع أسماء الله الحسنى يتعايش معها في كتاب الله عز وجل في سورة الإخلاص وهي تمثل ركنًا مهمًا في عقيدة المسلم لأن المشركين (اليهود) في الروايات جاءوا إلى رسول الله ﷺ وقالوا صف لنا ربك يا محمد هل هو من ذهب أم من نحاس فنزل قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١-٤] أول تفسير لكلمة الصمد الذي لا يحتاج إلى أحد ويحتاج إليه كل أحد وهو الغني عن كل أحد وهو الذي يقصد عند المرض وهو الصمود إليه في الحاجات وهو الله السيد الذي بلغ القمة في السداد والعليم الذي بلغ الغاية في العلم والقدير الذي بلغ الغاية في القدرة والحليم الذي بلغ الغاية في الحلم.

وهذه الصفات لا يوصف بها إلا الله فالصمد اسم الله الأعظم، من تملكت في ذاته معاني كلمة الصمد لا يعرف الرياء لأنه لا يبتغي إلا وجه الله ومن تملكت في ذاته كلمة الصمد فلا يحزن على شيء فاته لأن الله هو الذي يريد ذلك، فيعوضه الله إما بتعويض دنيوي أو بثواب أخروي وكلاهما خير

ولو تملكت هذه المعاني (الصمد) داخل قلب العبد صار عبدًا ربانيًا قريبًا من الله ويكون فقيهًا أو فاهمًا حقيقة عبوديته ولذلك من كرم الله عز وجل أن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة، فلابد أن نتعامل معها لا أن نحفظها فقط ولكن أيضًا لابد أن تنضبط سلوكياتنا مع تلك المسميات أو هذه الصفات أو هذه الأسماء وهذا المقصود بقوله أحصاها، أي فهمها ووعيها وعمل بها وظهرت في

سلوكه لأنه لا يسأل إلا الحنان المنان لأنه الصمود بالحاجات، فالله عز وجل هو المستغني عن كل العالمين ولا يستغنى عنه أحد من العالمين فانظر إلى قوله تعالى ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى ۞ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق: ٦، ٧].

لو قورنت سورة الإخلاص بجميع سور القرآن الكريم لوجدنا أنها السورة الوحيدة التي ذكر فيها اسم الله الصمد وسورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن لأن ثلث آيات القرآن تتحدث عن العقيدة والتوحيد وسورة الإخلاص كلها تتحدث عن العقيدة والتوحيد وهذا هو سبب أنها تعدل ثلث القرآن ويظن بعض الناس أنها تعدل ثلث القرآن في الحجم، لا بل تعدل ثلث القرآن ولكن في المعنى.

دخل الرسول على رجل يصلي فوجده يقرأ في الركعة الأولى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ وفي الركعة الثانية، فقال: «وجبت»، قالوا: ما وجبت يا رسول الله، قال: «وجبت له الجنة»، فلما سأله لم تقرأها كثيرًا قال أحبها يا رسول الله قال حبك إياها أدخلك الجنة. [سنن النسائي]

عندما دعا سيدنا موسى عليه السلام قال﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فقال الله عز وجل ﴿لَن تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] إجابة على سؤال موسى عليه السلام ثم قال جل شأنه ﴿وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ [الأعراف: ٤٣] فلما أفاق موسى عليه السلام قال ﴿سُبْحَانَكَ﴾ وكلمة سبحان تساوي كلمة الصمد فمعنى كلمة سبحان: يا رب أصفك بكل كمال وأنزهك عن كل نقص، فقد قالت الملائكة ﴿ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا﴾[البقرة: ٣٢] أي نصفك بكل كمال، فلا يستطيع عين بشر أن تراك ولا يستطيع عقله الضعيف أن يدركك فكل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك.

الصمد .. هداية وصلاح بال

الصمد يقصد بها أنه قمة كل الصفات الطيبة الحسنة ومن صفات الله تبارك وتعالى الرزاق وعلى الرغم من ذلك يوجد كثير من الناس قلقون من مسألة الرزق مع أنهم يعلمون أنه الصمد الذي يقصد في الحاجات.

فكان دعاء سيدنا داود عليه السلام يا رب ارزقني كما ترزق البغاث والبغاث فراخ الغراب وهو أضعف طائر مخلوق بين الطيور، فالغراب عند فقس البيضة يخرج البغاث أبيض اللون، فأبوه وأمه يستنكروه لأنهم سود فيجدوا لحمه أبيض فلا يطعموه لأنه ليس منهم، وهذا هو الطائر الوحيد الذي لا يطعم صغيره فيهجره أبواه لأنه مختلف عنهم فيرسل الله نوعا من الحشرات تقترب منه فيأكل.

ويرزقك الله وأنت جنين في بطن أمك فقد قال العلماء إن الجنين يتغذى من الحبل السري وهذا باب واحد للرزق فإذا نزل الجنين من بطن أمه انقطع الحبل السري فانقطع هذا الباب ويفتح له بابان في صدر الأم لبن بارد في الصيف دافئ في الشتاء مكيف تكييفًا طبيعيًا فإذا فطم الولد أغلق البابان وفتحت له أربعة أبواب طعامان وهما النبات والحيوان وشرابان وهما الماء واللبن فإذا مات العبد وكان مؤمنًا غلقت الأبواب الأربعة وتفتح له أبواب الجنة الثمانية فالعبد مغمور في كرم الله في الدنيا والآخرة لأنه الصمد.

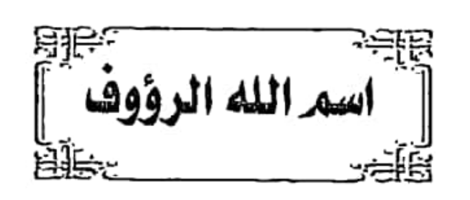
قد تبني الرسول ﷺ سيدنا زيدًا وكان يدعى بزيد بن محمد فلما نزلت آية تحريم التبني حذف منه هذا اللقب الشريف ولكن الله عوضه بأن اسمه ينزل في قرآن يتلى إلى يوم الدين قال تعالى ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧] فهو الصحابي الوحيد الذي ذكر اسمه في القرآن الكريم وهو الوحيد الذي إذا قرأت اسمه أخذت ثلاثين حسنة، فمنع الله منه اسم في الدنيا وعوضه في القرآن إلى يوم الدين فهذا هو الكريم هذا هو الصمد.

قيل للحسن البصري عهدناك آدم اللون ما هذا البهاء يقول نحن قوم خلونا بالله في ظلمات الليل فكسانا من جماله وجلاله، لأنه استشعر بالصمد فهو لا يقصد إلا الصمد لا يعبد إلا الصمد ولا يشعر إلا بمعية الصمد، فهؤلاء قوم سلكوا طريق رب الناس فأكرمهم رب الناس بأن عرفهم نفسه ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦].

لقد قال الله تعالى لرسوله الكريم ﷺ ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢] فالأمر الأول الصلاة لأنها أول ما يحاسب عليها العبد يوم القيامة ولأنها صلة العبد بربه، ويقال إن الملائكة تأتي بالذنوب فتضعها على رأس العبد وهو يصلي فإذا قرأ وركع تناثرت الذنوب وإذا رفع تناثرت الذنوب وإذا سجد في الصلاة تناثرت الذنوب وإذا جلس تناثرت الذنوب فإذا سلم خرج من الذنوب كيوم ولدته أمه فتأمل الصلاة.

التوبة ركن هام في الحج فأول شيء تفعله الاغتسال الظاهري لكن الاغتسال الباطني هي التوبة، وكانت السيدة سكينة لما مدحت الشافعي بعد موته قالت رحم الله الشافعي كان يحسن الوضوء الظاهري والباطني، بمعني أنه كان يغسل يده ولكنها نظيفة من إيذاء الناس لا يأخذ بها رشوة..... الخ.

* * *



اسم الله الرؤوف

من ظلال .. الرءوف

ومعنى الرؤوف أي شديد الرحمة، فالرؤوف منتهى الرحمة فإذا كان للرحمة أرض وسقف فسقفها الرؤوف، والفرق بين الرؤوف والرحمة، إن الرؤوف معناها أن الله يرحم العباد قبل أن تقع البلية أما الرحمة تأتي بعد الذنب.

وقد ورد اسم الرؤوف الرحيم في القرآن أربعين مرة تقريبًا ومنها مرة مع النبي ﷺ في آخر سورة التوبة ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، والباقي منسوب إلى الله تعالى أنه الرؤوف الرحيم أي أن الله يقي العبد قبل وقوع البلية ويغلق في وجه العبد أبواب المعصية حتى وإن حاول الذهاب إليها لأنه يحبه، فالمؤمن له رصيد عند الله، فمثلاً عندما أراد الكفار إلقاء الخليل في النار ضجت ملائكة السماء يا رب خليلك سيلقى في النار، وضجت لأن الخليل له رصيد عند الله وعند الملائكة من قبل فقد سمعت منه الذكر والطاعة، فبعث الله إليه سيدنا جبريل ليسأله عن حاجته فقال الخليل وهو في أشد الحاجة إلى منقذ أما منك فلا فهذا مبدأ عنده، وقال أما من الله فعلمه بحالي يغنيه عن سؤالي، ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

فالرأفة أن يوجد في قلب العبد هذا النور الذي يقمع شهوات الطباع وانحرافات النفس الأمارة بالسوء، وإذا وقع بعدها من العبد شيء لأنه بشر يرحمه رب العباد فالرؤوف للوقاية والرحيم للعلاج، فمثلا إذا حاول أب وقاية ابنه من الوقوع في المرض بالأخذ بالأسباب فهذه رأفة، ولكن إذا مرض الابن

فاض قلب الأب شجنًا وحزنًا على ابنه فهذه الرحمة.

وكي تفهم الرأفة في سياق الحياة الدنيا التي تحياها فمثلا قد يولد طفل وقد سُلب نعمة البصر أي ولد بعاهة فهذا أولاً:- يكون امتحانًا لأبيه وأمة ومن حوله، وقد يطلق عليه الأطباء عيبًا خلقيًا وهذا لا يصح في حق الله لأنه لا يخلق شيئًا معيبًا أبدًا والأمر الثاني: قد يكون له عوض في هذا أنه يصبح من الناجحين في المجتمع فيصير طبيبًا مرموقًا مثلاً.

والأمر الثالث: أن الله سبحانه وتعالى يريد بهذا البيت أن يكون موصولاً ليل نهار، كلما رأوا ابنهم هكذا ضجوا إلى الله بالدعاء وقللوا من اليأس، والأولاد بعد بلوغ الحلم يبدأ زيادة نشاطه وممكن ينحرف ولكن هذا يكون من أسباب استجداب الرحمة إلى هذا البيت ويكون من هذه العائلة رجل من أهل الجنة، إذا مناط الرأفة أن هذا الطفل لو لم يكن معوقًا لكبر وصار منحرفًا فمنعه الله بهذا المرض.

فإذا نظرنا إلى هذه الجوانب تفهم قدر الله، وقد لا يفهم الإنسان هذا ويظل يتساءل لماذا أنا ويظل هكذا، وهو لا يعلم أن الله يحبه ويحب أن يسمع دعاءه، ولو أعطاه كل شيء ربما تمرد فهذا قارون عندما أعطاه الله كثرة المال حتى أن الرجال الأقوياء لا يستطيعون حمل مفاتيح خزائن الكنوز، قال ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾ [القصص: ٧٨] ومنع الزكاة.

ولما رأى فرعون وقد أذل شعب مصر وبنى إسرائيل قال ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾ [الزخرف: ٥١]، فلو سلب منه الكرسي ما قال هذا الكلام، وإبليس لما أوتي من العلم ما أوتي رأى أنه خير من آدم وقال ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [ص: ٧٦] فهذا هو التكبر، وهنا تكمن المصيبة فالله من رأفته يوقف جبروت الإنسان، فهناك من قال ربما أعطاك فمنعك ومنعك فأعطاك، فربما

أعطاك سلطة ومنصب فهذا عطاء ظاهري وربما رأى أنك متكبر ولا تخدم الناس فأنت هكذا لا تقيم شرع الله.

فقد كان يقول عمر بن الخطاب لو أن شاة بشاطئ الفرات عثرت لخفت أن يحاسب الله عليها عمر ويقول يا ابن الخطاب لما لم تعبد الطريق فسلطته من نفسه ويتحمل مسئولياته (وهو الذي ذهب هو وعبد الرحمن بن عوف فطبخ عمر لأحد اليتامى ثم اختبأ عمر وابن عوف خلف صخره فقال له يا أمير المؤمنين قد أنهيت ما عليك قم نعود إلى المدينة فقد كانت الليلة شديدة البرودة فقال له عمر لا حتى أراهم يضحكون كما رأيتهم يبكون، وما هذا لو أعطاك الله الدنيا كلها ومنعك نور القلب والخشية منه وحرمك من سعة الصدر وراحة البال.

سبحان من يعطي قبل أن يأخذ

ربما منعك فأعطاك، فقد منع أم الكليم من احتضان ابنها فأعطاها الحليم، ومنع إبراهيم من رضيعه الصغير إسماعيل فوهب إسماعيل الصديق النبوة فقد كان رسولاً صادق الوعد، ومنع مريم من أن لا يتكلم عنها أحد ولكن بنى إسرائيل خاضوا في عرضها فمنحت روح الله عيسى، فالمنحة تكمن في المحنة.

وحين تنظر في القرآن الكريم تجد بعض الأسماء مثل الرحمن الرحيم، الرؤوف الغفور، وذلك لأنه هناك علاقة وترابط من أسماء الله عز وجل، فالله رحمن رحيم، ورحمن أي هو الذي يرحم المؤمن والكافر في الدنيا والرحيم لا يرحم إلا المؤمن في الآخرة.

ومن أمثلة الرأفة هل سمعت عن طفل أدخل إصبعه في عينه في شهوره الأولى، لم يحدث فمن علَّم الطفل أن يضع يده في فمه كي يتعلم عملية المص فهذه رأفة، وأيضًا هو الذي أوجدني في هذه الحياة وأتنعم في نعمه الغزيرة) فيجب أن أحمده على نعمه وأكون من الذاكرين وأكون من المتذكرين والفرق أن

الذكر هو باللسان مثل الحمد لله، ولكن التذكر هو التفكر في الذكر لذلك قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩].

فمثلا أمامي رغيف من الخبز فإذا كنت من الملتزمين سوف تقول قبل الأكل باسم الله وفي آخره الحمد لله فهذا ذكر، أما إذا كنت من المتذكرين فتتفكر في تكوين هذا الرغيف الذي هو مجموعة من حبوب القمح المطحونة التي يزرعها الفلاح في الأرض وقد شربت من الماء ثم حصدها ثم طحنها ثم تذهب إلى الفران لكي يخبزها ثم تصبح خبزًا ثم أتى الله به أمامي لكي آكله، أستشعر عظم النعمة، فهذه رأفة.

ومثلا أنت في حرارة عشرين تحت الصفر وذهبت إلى بلاد أربعين تحت الصفر وحرارة الجسم سبعة وثلاثون، فلو دخل هذا الهواء البارد إلى الجسد مرة واحدة لأصاب الجسم بالتهاب رئوي وينتهي الإنسان، ولكن يدخل الهواء من خلال فتحتي الأنف فتمر بالشعيرات التي تنقي الهواء من الأتربة وأيضًا يمر بالسائل المخاطي فينقي من الميكروبات ثم هناك تجويف القصبة الهوائية الحلزوني يدخل فيه الهواء في هذه الدرجة حتى يتغير مع درجة حرارة الجسم أليست هذه رأفة، ولكن النعم صارت متناولة فاعتاد الإنسان عليها فنسيها إلا المؤمن الحقيقي فهو ذاكر للنعمة في وجودها وفي غير وجودها.

كيف تلين القلوب

ولكن القلب القاسي فقط هو الذي لا يتوافق مع أسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته وذلك لأنه قلب منح النور ونعمة التذكر والتفكر، ولكن يجب على صاحب هذا القلب أن يأخذ هذه الصفات ويتعلق بها فيكون عنده رأفة مع الزوجة والصغار والكبار والعلماء، فالرأفة لا تنزع إلا من إنسان قاسي القلب.

ولا تلين القلوب ألا بشيئين وهما قراءة القرآن وذكر الآخرة، إذا لابد ألا

تغادر قراءة القرآن حناجرنا، ونريد أن نتدبر آيات القرآن ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، وقد قال الحسن البصري ابحث عن قلبك في مواطن ثلاثة عند قراءة القرآن وفي الصلاة وفي مجلس العلم فإن لم يخشع قلبك في الثلاثة فابحث لك عن قلب فقد مات قلبك.

إذا علينا أن نبحث عن قلوبنا عند قراءة القرآن وعند إقامة الصلاة وفي مجالس العالم ويجب على طالب العلم ألا يسمع بهوى أو يسمع سمع الناقد فلن يلين قلبه، فكان إذا تحدث النبي مع الصحابة كأن على رؤوسهم الطير، حتى عندما تحدث عن المسيخ الدجال قال عمر بن الخطاب فكنت ألتفت خلفي هكذا خشية أن يأتي المسيخ الدجال من خلفي، فانظر كيف استشعر القضية التي يتحدث فيها النبي ﷺ.

وقد اهتم بالصلاة أبلغ اهتمام، حتى أن النبي كان يحدثهم عن علامات الساعة وتحدث عن طلوع الشمس من مغربها فقالوا كم تمكث يا رسول الله فقال أول يوم تمكث كسنة ثم اليوم الثاني كشهر واليوم الثالث كجمعة والرابع كيوم من أيامنا، فكان رد فعلهم عجيبًا فقد سألوا الرسول كيف نصلي يومها يا رسول الله، فانظر ماذا اهتم به الصحابة إنها الصلاة، فقال النبي ﷺ: «اقدروا لهذا اليوم قدره» [رواه مسلم].

ظلال الرأفة بين الزوجين

ومن القضايا الهامة قضية الرأفة بين الزوجين التي أصبحت قليلة بيننا وهذا لأننا أصبحنا على غير التزام حقيقي وعن حقيقية الدين وأخذنا من الدين اسمه ومن المصحف رسمه، ولكن تبقى الرأفة عند من أخذ الدين بحقيقته، فالدين عبارة عن أحاسيس وخشوع، فمثلا حلاوة القرآن إحساس، فكان ابن عباس يقول عند قراءة الحواميم كأني في رياض الجنة.

فلكي يكون الإنسان رؤوفا بزوجته عليه ألا يجرح أحاسيسها ومشاعرها، وهي لا تتعنت في الطلبات فتلجئه أن يقول كلامًا يؤذيها، والرأفة لا تلجئنا إلى أن نخرج السيئ من الفعل والقول.

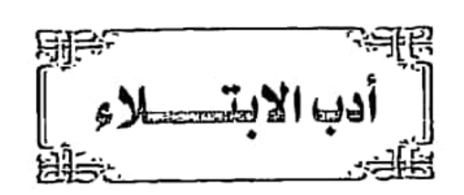
ويجب أن تكون الرأفة بالنصيحة فقد قال الله ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾[النساء: ٣٤] فقد قال الله تعالى عن سيدنا زكريا ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ لأنهم كانوا ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] فقدم بأعمال صالحة وبإخلاص وليس برياء ولا عجب تكبر شجرة الخير في البيت.

ولكن كيف نطبق اسم الله الرؤوف في حياتنا مع هذا الوقت المتسارع، الرأفة دائمًا في قلب المؤمن ويقول العلماء هي من المواهب ومن المكاسب، ونضرب مثلا للتوضيح أن الله يعطينا عمرا والعمر موقت، فلو حسبنا وقت الإنسان في حياته نجد مثال الرأفة الإلهية، فجدلاً أنني عشت ستين عامًا فنريد أن نحسب كيف أقضي هذه السنين وانظر رأفة الله بي.

فتجد أن الإنسان العادي ينام ثماني ساعات في اليوم وهذه بالنسبة للساعات اليوم الثلث وعلى الثلث وعلى الستين سنة إذا الإنسان ينام عشرين سنة، ومثلها في العمل إذا الباقي من الستين عشرين سنة، فالإنسان يقضي ساعة ونصف الساعة في تناول وجبات الطعام إذا يصل المجموع إلى ثلاث سنوات وسبعة أشهر، وإذا كان مجموع الحديث في التليفون كل يوم ساعة إذا المجموع عامان ونصف، وإذا قضي في اليوم ساعتين في الحوار مع الغير إذا المجموع خمس سنوات، وإذا أنفق ساعة يوميًا لقضاء الحاجة والاغتسال يكون المجموع عامين ونصف، وإذا كان يجلس يتحدث مع أولاده نصف ساعة يومية يكون المجموع سنة وثلاثة أشهر، وإذا جمعنا كل هذا كان المجموع ثمانية وخمسون عامًا ونصف تقريبًا، وإذا الباقي من الستين سنة في الأكل والشرب والنوم.

تخيل إن لم يكن رب العباد بالعبد رؤوفا لضاعت الستون عامًا هباءًا فالوقت جندي من جنود الله، فرغم أنك ضيعت ثمانية وخمسين عامًا ولكن اتسع الوقت لصلوات وأذكار وحفظ وفضل وعلم وتعلم وعيادة مريض وإخراج، ومناسبات، أليس هو الرؤوف، فقد وضع البركة في أعمارنا، فلو وكلنا لأنفسنا لضعنا وكلنا ضعاف، وعلينا المحافظة على الوقت لأن إضاعته من علامات المقت، ومن علامات الرأفة بالعبد البركة في الوقت.

* * *



أدب الابتـــلاء

الفرق بين صبر الله وصبر العبد

كلنا ممتحن ومبتلي ولكن هناك آداب تتبع حتى عند الابتلاء فالابتلاء إما منحة من الله أو محنة يختبر الله بها العبد وقد أجمع أغلب اللغويين أن البلاء يكون للكافر فالله يمهل الظالم ويصبر عليه لأن من صفاته أنه الصبور حتى إذا أخذه أخذ عزيز مقتدر.

العبد يصبر على أذى معين أو نوع من الابتلاء الذي يبتلي به.

أما صبر الله عز وجل لا يعجل لمنحرف أو فاسق أو فاجر أو ظالم أو كافر بالعقوبة وصبر الله أعم وأشمل من صبر العبد فالله يمهل ولا يهمل وقد كشف الله للخليل حجب الملكوت فرأى الخليل ما لا يرى في طبيعته البشرية.

الفرق بين رحمة الله بالعبد ورحمة العبد بالعبد

وقد رأى إبراهيم عليه السلام رجلاً ظالمًا يضرب يتيمًا فقال يا ظالم أما في قلبك رحمة تضرب اليتيم الذي لا ناصر له إلا الله ودعا عليه اللهم أنزل عليه صاعقة من السماء ثم رأى الرجل يسرق مال أرملة أم ليتامى فقال أما تجد غير هذه؟!. ودعا عليه اللهم أنزل عليه صاعقة فتكرر ذلك من الخليل فرد الله عليه يا إبراهيم هل خلقتهم فقال لا يا رب قال لو خلقتهم لرحمتهم فإن تابوا إلى فأنا حبيبهم وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم فأنا أرحم من الأم بأولادها فالله هو الصبور لا يعجل ولا يعاجل فمثلا انظر إلى عقاب فرعون جاء بعد سنوات طويلة وبعد إنذارات جمة وصبر الله على أفعال فرعون حتى وصل الأمر إلى ذروته فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر لأنه لا خير فيه ولا فائدة ترجى منه.

يقول كليم الله لله عز وجل يا رب أنت الرحمن الرحيم فكيف تعذب بعض عبادك في النار قال الله يا كليمي أزرع زرعًا فزرع ثم أحصد فحصد قال أما تركت في الأرض شيئًا؟ قال يا رب ما تركت إلا ما لا فائدة منه بعض الحشائش وبعض النباتات الطفيلية التي تضر بالنبات وبالأرض فقال تركت ما لا فائدة منه وأنا أعذب في النار ما لا فائدة منه.

أنواع الابتلاءات

- ابتلاء يوقظ العبد من الغفلة فمثلاً تجد عبدًا بعيدًا عن ربه سائرًا في غيه لا يقيم طاعات ويرتكب المعاصي فهو إنسان منحرف بعيد عن الله استساغ المعصية ولها في نفسه حلاوة ويستثقل الطاعة وهي عليه مريرة فلابد أن يبتلي حتى يوقظه الله من غفلته.

- ابتلاء بالذنب ليتوب العاصي فقد يعمل العبد العمل ولكنه رياء لا يبتغي به وجه الله والله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم **(فرب عمل صغير عظمته النية ورب عمل عظيم صغرته النية)** وهنا يجب تجديد النية في كل عمل وفي كل يوم.

- قد يكون الابتلاء سببًا في الرجوع إلى الله أو إلى الصواب فمثلا حمزة عم الرسول بلغه أن أبا جهل آذى رسول الله وكان لم يسلم بعد فذهب إلى أبى جهل وعنفه وقال له أتضربه وأنا على دينه وعاد لبيته وسأل نفسه ما الذي لا يجعلني على دينه وكان سبب إسلامه.

- وهناك ابتلاء بسبب كثرة الذنوب، والابتلاء من فعل العبد فمثلا الطيور على أشكالها تقع فالإنسان بالصحبة فلا يصاحب مؤمن إلا مؤمنا ولا يصاحب منافق إلا منافقًا ويقول ﷺ **«مثل الجليس الصالح والجليس السوء كبائع المسك ونافخ الكير»** [رواه البخاري] وقد قيل إن الأخوين في الله كاليدين تمسح إحداهما

الأخرى فأنت تعينني وأنا أعينك وقيل إن أبا نواس عندما توفى وجاءوا يكفنونه وجدوا في جيبه ورقة وسألوا زوجته عن هذه الورقة فقالت هذه آخر ما رأيته يكتب فأخذوها لأبي الحسن ليقرأها فوجد فيها (يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم إن كان لا يرجوك إلا محسن فلمن يلوذ ويستجير المجرم ما لي إليك وسيلة إلا الرجاء وجميل عفوك أعظم).

- يبتلي المرء على قدر دينه فهذا الإنسان طعامه وشرابه حلال فهو إنسان يتقي الله في كل شيء ولكن تنزل عليه الابتلاءات وهذا لأنه حبيب الله فالله يريد أن ينقيه حتى يسير على الأرض وليس عليه خطيئة وتشير الملائكة إليه هذا هو الطاهر الشريف من الذنوب.

ولذا يقول ﷺ: (**أكثر الناس ابتلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل**) [رواه البخاري] ويقول: ﷺ (**إن أمر المؤمن كله خير إن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له وإن إصابته سراء شكر فكان خيرًا له**) [رواه مسلم] وهذا ليس المؤمن ولكنه الإنسان المؤمن المسلم الذي سلم إلى الله أمره وأمنه الناس على دينهم وأعراضهم وأموالهم وحياتهم تجد أن ذلك كله كان متوفرا في رسول الله ﷺ فعند الهجرة هاجر ﷺ وترك عليًا بن أبي طالب في سريره وذلك ليرد أمانات قريش إليها رغم عدائهم لرسول الله، لأنهم كانوا يأتمنونه على كل شيء: أموالهم وأعراضهم وحياتهم وهذا كله لابد أن يتوافر فيه صفات رسول الله يقول الله يقول تعالى ﴿**وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾ [المائدة: ٨].

آداب الابتلاء

إن العباد إذا صبروا على الابتلاء تناديهم الملائكة وينطلقوا من أرض المحشر دون حساب وهذا من أدب الابتلاء والصبر والإنسان إذا ابتلى فلا يجزع ولا يشكو لأن هذه الشكوى مصيبة فلا يأخذون أجرًا على البلاء وهؤلاء يأتون

على باب الجنة يوقفهم الرضوان من أنتم؟ كيف تدخلون الجنة ولم تقفوا لحساب أو لميزان قالوا يا رضوان الله نحن لا نقف لحساب ولا لميزان أما قرأت القرآن فيقول وماذا في القرآن ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] فيقول كيف كان صبركم قالوا نحن كنا قوما إذا أعطينا شكرنا وإذا منعنا صبرنا وإذا ابتلينا استغفرنا يقال لهم ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٤٩].

ونجد أنه ليس كل مسلم يقدر على التأدب مع الابتلاء ولكن المسلم عنده عزيمة عنده ثقة بالله وتوكل عليه فمثلا أم موسى ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلاَ أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ١٠].

ومن آداب الابتلاء

- الصبر عند الصدمة الأولى فالله لا يبتلي العبد فوق طاقته ولكن الابتلاء على قدر ما يحتمل العبد وقيل إن الصبر نصف الإيمان.

- الصبر عند الشدائد وهذه صفة رسول الله فقد كان إذا حمي الوطيس يكون ﷺ أقرب شيء إلى العدو فالنبي ﷺ من ثباته وقوة إيمانه عندما عرضت عليه قريش مالاً وفيرًا وجاها على أن يتنازل عن إيمانه ودينه إلا أنه نهض وقال والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الدين ما تركته أبدًا.

وهذان الأمران، الصبر والإيمان، محلهما القلب وهذه أمور لا يعلمها إلا الله ولا يجزي بها غيره سبحانه وتعالى فنحن نحكم بالظواهر ولكن الجواهر لله رب العالمين.

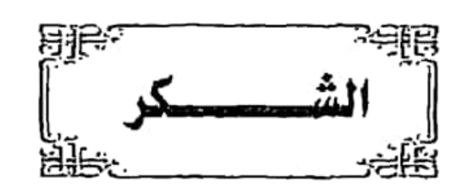
الابتلاء إما من أثر الذنوب أو تكريم من الله.

الإنسان يحكم على نفسه إن كان محسنًا أو مسيئًا وكلما ابتلى الإنسان ازداد قربا من الله وازدادت خشيته وخوفه من الله وكان عمر من كثرة خوفه من الله وبكائه فقد ترك البكاء على وجهه أثر كالخطين.

فالإنسان إذا أراد معرفة إن كان محسنًا أو مسيئًا فليعرض نفسه على كتاب الله وسنة رسول الله وأقيم نفسي على ما جاء في كتاب الله هل أنا إلى الجنة أقرب أم إلى غيرها وأحاسب نفسي على كل تقصير وألوم النفس على هذا التقصير وأصلح هذا التقصير.

والابتلاء نوعان خاص وعام والأمة مبتلية ابتلاء عامًا في مقدساتها واحتلال أراضيها وهذا كله ناتج من ذنوبنا وتقصيرنا من كتاب الله وسنة رسول الله.

* * *



الشكر نعمة ربانية

معنى الشكر لغويًا: يقول العرب فرس شكور أي كفي بشيء من العلف القليل فظهرت عليه آثار السمنة من العلف القليل فهذا فرس ممدوح.

وقالوا عين شكر أي ممتلئة بالماء، أي أن عين الماء عندما تكون ممتلئة بالماء فيقول شَكَرَ شَكْر. ويقولون هذه دابة شكور أي ظهرت عليها آثار النعمة فالعربي عندما سمع كلمة الشكر وشاكر وشكور إلى آخره. من هذه فقه ما لم يفقه إنسان العصر الذي تبحر في اللغة كأن الشكر هو ظهور نعم الله عز وجل على العبد أي عندما اشكر أشكر لنفسي ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه لأن الشكر يستدعي الزيادة.

حتى أن كليم الله موسى كان يقول يا رب كيف أشكرك وشكرك نعمة تستوجب الشكر قال الآن شكرتني. لأنها نعمة لم يعطها لكل الناس لم يعطِ الشكر إلا من رضي رب العباد. إن الله يعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب لكن لا يعطي الدين إلا من أحب فإن الشكر هذا من سنان هرم الإسلام. قال الله تعالى ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]. إن الشكر منة من الله عز وجل ورزق من الله أيضًا.

إن الله قسم الأخلاق كما قسم الأرزاق فمن رضي الله عنه أعطاه الخلق الحسن ومن ضمن هذا الخلق العظيم خلق الشكر، منحه الشكر تلك نعمة.

كليم الله موسى عندما استشعر أنه عاجز عن الشكر لأن العجز عن

الإدراك إدراك لنعم الله. «كيف أشكرك وشكرك نعمة تستوجب الشكر فقال الآن شكرتني فالشكر هنا منحة من الله ومنة لأن شكر النعم ليست لكل البشر.

نعمة اختصّ الله بها المؤمن

فإذا كان الشكر هبة من الله فكيف نشكر الله وإذا لم أشكر الله لن يعطيني الشكر لأن الله أعطانا النعم لكل الناس نعمتين وتفرد المسلم بنعمة ثالثة من لدن آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها رزق الله العالم نعمة الإيجاد ثم نعمة الإمداد الطعام والشراب وموجبات الحياة ونعمة الإيمان والهدى والرشد وما رزقها إلا المؤمن هذه نعمة يختص بها الله المؤمن وإذا طرق باب الهدى والرشاد يعطيه من ثمارها الشكر وعندما يسعى العبد إلى الشكر لا يكون إلا المزيد ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] عرفوا الشكر بتعريف «قالوا قيد النعم الموجودة هو صيد النعم المفقودة» بمعنى قيد النعم أي بحفظها وبالشكر لله عز وجل وصيد النعم المفقودة بالدعاء إلى الله عز وجل.

جارحة من الجوارح مثلا كجارحة العين كيف أشكر الله عليها. هي هبة من الله وأعظم شكر لله في جارحة العين أن أستر بها عورات المسلمين وهذا هو الشكر لا أتلصص بهما على الناس أو أتجسس بهما فالزوجة لا تتجسس على زوجها. وأرقام هواتف زوجها.

ومن موجبات الشكر. الشكر على نعمة الإسلام وأنه جعلنا مسلمين. عندما ننظر إلى إنسان لم يسلم بعد نحمد الله أن رزقنا الإسلام.

فيقول الشافعي «يا رب رزقتني الإسلام وأنا لم أسألك فارزقني الجنة وأنا أسألك».

حفظ الأسرار من الشكر..!!

عدم إخراج أسرار البيوت يدخل تحت نطاق مسألة الشكر ألم يسمى رب العباد أسرار البيوت عن امرأة نوح ولوط أن تسمى خيانة إذا خرجت أسرار البيت هل يضمن الإنسان خاصة الزوجة إلا تنتشر أسرار حياتها إلى أهل زوجها أو الأصحاب ما دخل هذا بالشكر شكر النعم يقتضي بأننا إذا أفضى أو نشر أسرار زوجته أو نشرت الزوجة أسرار زوجها ما شكرت الله عز وجل على نعمة الزوجية.

ومن ضمن النعم ألا أنظر إلى المعاصي والعيوب والشكر أن أنظر إلى المحاسن.

- هناك شكر الجوارح شكر العين وشكر اللسان وشكر القلب كيف نشكر الجوارح إذا نظرت للمسلمين برحمة والنظر للإخوة بعطف ونظر الزوجة إلى زوجها ونظر الزوج إلى زوجته وصاحب العمل إلى الموظف هذا هو شكر العين أو استخدمها في مرضاة الله عز وجل.

مثال نتخيل أنك اشتريت لابنك هاتفًا أو أي شيء معين من الواجب أن تندرج تحت هذه القضية أمور معينة أن يشكر المعطى المعطي أي يشكر من أخذ الهدية عاطيها. فنجد أنه يتباهى أنه مميز بهذه الهدية أو النعمة ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١] ولله المثل الأعلى، أن يحمد الله الإنسان على النعمة.

الأمر الثاني لا يستخدم هذه الهدية للإضرار بالناس وعصيان المعطي. كأن يرزقنا الله المال ثم استخدم هذا المال في غير مرضاة الله. هل هذا شكر.؟ وأعطاني الصحة أدمرها بمشروبات وتدخين هل هذا شكر للنعمة؟ هل حافظت على الأمانة؟ لابد أن أستخدم هذه النعمة في مرضاة الله سبحانه وتعالى والقرب منه.

النعم مقسمة إلى أربعة أنواع

نعم عامة، ونعم خاصة، ونعم مطلقة، ونعم مقيدة.

إذا أردنا أن نقسمها تقسيمًا آخر النعم العامة تعرف بها المؤمن أو المسلم من مدعي الإسلام بأن المؤمن الأساسي يشكر الله عز وجل على النعم العامة والنعم الخاصة.

مثال شكره للنعم العامة أن يشكر الله على نعم الشمس والهواء والأكسجين من منا قام في الصباح وقال أنه سوف يسجد سجدة شكر لله على نعمة الأكسجين التي تساوي خمس حجم الهواء في الجو فلو زادت عن هذا لاشتعلت الدنيا ولو نقصت عن هذا لماتت المخلوقات. من منا فعل هذا أليست نعمة أم لا؟ متى نستكثر قيمة النعمة؟ إذا حرمنا منها فإذا حبست في مكان ضيق أو صعدنا إلى طبقات الجو العليا تقل هنا النعمة أو تتبخر عند ذلك يذكر مدعي الإيمان هذه النعمة وفوائد النعمة أما المؤمن يعرف النعمة في وجودها لا عند فواتها.

لذلك يقول الغرب «الصحة تاج على رؤوس الأصحاء» لا يعرف مقدارها إلا المرضى هذه مقولة غير إسلامية لأن النعمة أنا أراها عندي وهي موجودة وأشكر الله عليها عند زوالها؟ **ثم اشترط العلماء في عملية الشكر:** خضوع الشاكر للمشكور.

مثال إذا أنا أنفقت على ولدي وجاء مرة وأخذ المال وأسرف فيه اشتري شيئًا علبة سجائر من خلفي ماذا أقول؟ يا ولدي اتق الله المال هذا ليس مالاً حرامًا واستمر في عقابه أو تعنيفه لماذا؟ لأنه أخذ مني أو سحب مني نعمة ظاهرية استخدمها في معصيتي أو التمرد عليَّ عندئذ اغضب لله.

ولله المثل الأعلى: من فضل الله علينا يعطيك النعمة فهو صاحبها وخالقها وينتظر من العبد أن يشكرها فيزده من هذه النعمة فيكثر له فيها.

إن الله سبحانه وتعالى يعطي العبد نعمة وينتظره حتى يشكره فإن شكره أعطاه المزيد- مثال أنت تعطي ابنك مائة درهم أو مائة جنيه بعد مدة تقول لابنك أعطني يا بني عشرة دراهم مما معك ليعطيك وسوف أعوضك عنها الأسبوع القادم أو بعد لحظات مئة فبعد أن كان معك مئة يصبح معه مئة وتسعين الولد ينقسم إلى نوعين ولد نبيه وولد غبي.

النبيه عقله يقول أبي هو الذي أعطاني والمال أساسًا ماله وأنا أعطي أخي يدخل عليه السرور أنا أعطيه وصار معي مائة ولما أعطيه سيصير بدلا من المئة مائة وتسعين والولد الغبي يقول من يضمن هذا لي إذا فضلت المائة في جيبي «عصفور في اليد ولا مائة فوق الشجرة» وهكذا ولله المثل الأعلى يعطي الله رب العباد الغني ويقول له هذه ألف. لأخوك الفقير، وأنت لك تسعمائة وخمسة وسبعين ماذا يصنع الغني يبدأ يساوم الشيخ أليس هناك حسبة أخرى للزكاة غير هذه.

اللباس الذي تلبسه بعد أن يبلى أو يكاد أن يشكو منا أو نشكو منه تخرجه للزكاة لأشتري للفقير هذا ربما يكون محدود الإمكانيات وثمنه قليل لكن أدخل عليه السرور.

إذًا الشكر كما قلنا نوع من العبادة والتقرب من الله سبحانه وتعالى والنعم نوعان نعم عامة يشترك فيها كل الناس نعمة الهواء ونعمة الشمس ونعمة الحياة والمياه ومن كثرة وجودها نسى العبد أنها نعمة ولكن العبد المؤمن لا ينسى ربما يكون متغافلا لأن الإنسان متناسي وهذه طبيعته.

وتذكر أن آدم من قبل هذا نسى ولم يجد له عزما ولكن الله سبحانه وتعالى

يقول له ﴿وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] الغفلة نسيان عن عمد ويتناسى النعم عن عمد وهي موجودة. والنعم الخاصة كنعمة الإسلام نعمة الصحة نعمة العافية نعمة الزوجة الصالحة والأبناء البررة ونعمة السكينة هذه أنواع من النعم.

ربما ناس ناموا في أمن وأصبحوا في حالة من الهلع في جنوب شرق آسيا ناموا وأفاقوا على أمر صعب. هذا عندما ترى مفتري نقول الحمد لله الذي عافانا لما ابتلى به الكثير من قبل.

نِعَمٌ لا تُعَدّ ولا تُحْصى

وهناك نعم مطلقة هذه النعم التي تنطلق في هذا الكون لا تعد ولا تحصى ولذلك أحد الصالحين جلس مع تلاميذه وقدم له صاحب البيت طعامًا معينًا طعام فيه شيء من الخصوصية فرفض أحد المتعبدين أن يأكل فقال له الرجل لما لا تأكل قال أخاف ألا أودى شكره. قال له يا لكع هل أديت شكر الماء الزائد. لا داعي للفلسفة والتفلسف لأننا مهما نشكر الله لا تعد نعمه ولا تحصى.

إن الله سبحانه وتعالى وصف ذاته الشكور واسعة الشكور ويقول ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣] فما مدلول الشكور بالنسبة لعبد إذا وصف به وبالنسبة إلى الله تبارك وتعالى: فتقول أولاً بالنسبة للعبد: هناك شاكر وشكور ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣] هذا شاكر ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

قال أهل العلم الذي يشكر عند العطاء أو عند المدح يعني شكره مرتبط بالعطاء والشكور الذي يشكر الله عز وجل عند المنع والابتلاء وعند العطاء لأنه يعلم أن هذا العطاء من الله لكن في صورة منع «فإذا رزقت بفهم المنع يعود المنع عين العطاء» بمعنى أن تمنع من كذا وأنت تفهم يعود بذلك على المؤمن بالعطاء

لأن الله سبحانه وتعالى لا يريد لي إلا الخير. هذا هو الشاكر والشكور في الإنسان.

شكر الله سبحانه للعبد الصالح

بالنسبة للذات العليا:- بالنسبة لله عز وجل الشكور هو الذي يعطي الكثير على الشيء اليسير.

- هب جدلاً أن عبد رجل ربه ٥٠ سنة متواصلة لم يعص وهذا لم يحدث أو مائة سنة متواصلة ومات على هذا والله عز وجل كريم سوف يؤتيه عن كل حسنة عشر حسنات يعني سبعمائة ضعف فيدخل هذا العبد الجنة فيمكث ألف عام نظير أن كل سنة يأخذ عشر حسنات، السبعمائة على عدد الأيام عن مائة سنة ٧٠ ألف- هل بعد السبعين ألف سنة يقول الله لملائكته أخرجوا عبدي من الجنة لأنه أخذ حقه فقط وأخذ عدلاً وفضلاً؟ لا.

لأن الله عز وجل يقول: «لو عاش هذا العبد إلى الأبد لأطاع الله إلى الأبد فنعمة الله نعيم الأبد». فالله عادل ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]

الرجل الذي كفر ٥٠ سنة الله يعطيه عن السيئة سيئة يمكثه في النار ٥٠ عام فقط لا لأن الله خلده في النار. لأنه سبحانه وتعالى في سابق علمه يعلم أنه لو عاش إلى الأبد لكفر إلى الأبد ولو ردوه فعذبه الله في النار إلى الأبد ولو ردوا لقالوا ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٧] ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨].

هناك أركان محددة للشكر

❖ **معرفة قدر النعمة وقبولها**

لابد أن أعرف النعمة وأعرف قدرها، الجهل يجعل الإنسان لا يعرف النعمة

يقول أهل الطب إن الكبد عند الإنسان إذا استبدل بكبد صناعي احتجنا إلى بيت من ثلاثة أدوار حتى يقوم بمكان الكبد، ولا يعرف مع ذلك أن يقوم مقامه...!!

يقال إن أحد الصالحين من حفظة القرآن نام مرة مهمومًا حزينًا فجاءته رؤية ملك يقول له: مالك قال: مهموم وحزين من قلة المال والهموم قال أنا آخذ منك الفاتحة وتبتلي بالزهيمر وتأخذ مائة ناقة قال: لا.

قال آخذ منك البقرة وتبتلى وتأخذ مائة قال لا. آل عمران. قال إلى آخر القرآن كم من ملايين وآلاف لا تقدم ولا تنفع كم من نعم لا تقدر.

هذا هو الشكر أول بند من بنود الشكر إذا كان الشكر كتاب فهذا أول صفحة فيه وإذا كانت أول صفحة فهذا هو أول سطر فيه بمعنى كلمة (الحمد لله) ويعرف أن هذه الكلمة نعمة من الله عز وجل باللسان ولكن النعم من الطبيعي أعطاني الله نعمة الجاه هل أسجد لله شاكرًا وأقول الحمد لله الذي أعطاني نعمة الجاه والناس تعرف هذا الاستخدام أو الجاه في فتح بيوت المسلمين في تفريج الكروب في الخير. في سداد ديون المسلمين هذا يعني الشكر من جنس النعمة.

ظاهر الشكر وباطنه

وقد ذكرنا سابقًا دابة شكور ظهرت عليها آثار النعمة وأنزلناها على حالة المؤمن فالمهندس مثلا في البناية يظهر عليه آثار المهنة. المعلم أمام التلاميذ ظهر عليه أثار هذا العمل.

كثير من المسلمين إذا نظرت إليه لا يهمني شيء إلا أن أرى عليه أثار نعمة الإسلام في مظهره وفي سلوكه وفي تعامله في ذهابه وفي مجيئه في صمته وكلامه

في كل حالاته نعم أرى عليه نعمة الإسلام وأرى أنه تقلّب في عباية الإسلام. وعندما أرى إنسان يهيجُ إنسانا أو ينتقص من أمر إنسان يسيء إلى أهله أو يسيء إلى أبنائه ويسيء إلى جاره أو يسيء إلى عماله كل هؤلاء إذا رأيتهم ما أرى عليهم نعمة الإسلام.

عندما أرى إنسانه مسلمة تسير عارية لا أرى عليها نعمة الإسلام. فأثر النعمة تتحدد بالشكل الخارجي والبواطن لا يعلمها إلا رب العباد وقد جعل الله محلين بالمظهر محل لنظر الخالق ومحل لنظر المخلوق وهذا مرتبط بالشكل الخارجي والمظهر الخارجي.

أنا أراك مبتسمًا إذا بك خير أراك مقطب الجبين إذ ابك غير ذلك. ونحن مأمورون أن نأخذ بهذا الشكل.

سيدنا عمر بن الخطاب يقول كنا نحكم عليكم والوحي ينزل بيننا وبعد الوحي فمن أظهر لنا خيرًا ظننا به ما نرى ومن أظهر غير ذلك ظننا به ما نرى محط نظر الخالق هو القلب والعمل ربما تراني أصلي لكن أنت ما دخلت إلى قلبي لتراني هل أنا خاشع في صلاتي وهل صمت بغرض الصيام أم لا.

إذا رأيتم رجلا يرتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان نشهد له بداية ولكن نريد أن يكون هذا الإيمان واقعًا يتحرك، عمل واقعي لأن الإيمان أركانه ثلاثة.

* قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان أما إذا اختفت قاعدة من هذه القواعد الثلاثة فما أرى عليه نعمة الإيمان. فإن الله عز وجل محط نظر الخالق القلب «إن الله لا ينظر إلى صوركم بل ينظر إلى قلوبكم».

يقول ابن القيم «كأن الله يقول يا عبد الله يا عبدي تطهرت لمنظر الخلق سنين أما تطهر لي قلبك ولو ساعة» لأنه محط الخالق. فإذا نظر الله إلى قلبك يجد

فيه حسدًا أو غلاً أو حقدًا أو ضغينة أما نحن فلا نملك إلا النظر إلى الشكل الخارجي إلى ظاهرهم أما الباطن فهو لله سبحانه وتعالى.

سيدنا عمر بن الخطاب لما جاء بالرجل قال: أتشهد معه؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: أتعرفه؟ قال: نعم أعرفه. قال: أنت جاره الأدنى؟ قال: لا قال أرافقته في سفر حتى تظهر لك أخلاقه؟ قال: لا. قال: عاملته بالدرهم والدينار حتى تبين لك دخائله؟ قال: لا. قال «في رواية أخرى»: أصاهرت منه أحد هو منك (والمصاهرة كالنسب عند الناس)؟ قال: لا، قال: أنت لست جارًا له ولا رافقته له في سفر ولا مصاهرة! قال عمر: أرأيته يطيل الركوع والسجود في المسجد؟ قال: نعم، قال: إنك لا تعرفه ائتني بمن يعرفه- فعلاقة الصلاة هذه بداية للاطمئنان إن هذا مسلم فقط والباقي يأتي من العِشْرة والتداخل والمعاملة.

أنواع الصبر وأشكاله

فالشاكر:- هو الذي يشكر على النعمة. والشكور هو الذي يشكر على الضراء ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]. القرآن الكريم حث على الصبر. فهل هناك علاقة بين الصبر والشكر؟ وما هذه العلاقة؟ إذا تزود الصبر بالشكر أثمر فينا صلة بالله هذه ثمرة النعم مزاولة الصبر بالشكر فضل مع الشكر، لا يكون المرء منا شاكرًا ما لم يكن صابرًا.

هناك أنواع للصبر: صبر على البلاء وصبر على العطاء والصبر على الطاعة وصبر على معصية وصبر مع الله وصبر بالله وصبر عن الله وهذا صبر مذموم يقول ابن عطاء في الصبر على العطاء والصبر على البلاء يقول كلمة طيبة «إن العطاء من المخلوق حرمان وإن المنع من الله إحسان» العطاء من المخلوق حرمان عندما يسدى بشر إلى بشر نعمة أو خدمه يقول علي ﷺ: «أنفق على من شئت تكن أميره واستغن عن من شئت تكن نظيره واحتج

إلى من شئت تكن أسيره».

- إن العطاء من المخلوق حرمان:- هو حرمه، حرمه من عزة النفس فإن أعطاه مالاً مثلاً أو أسدى إنسان إلى إنسان معروفا أو عين له ابنًا في وظيفة أو أسدى له خدمة فهو بذلك حرمه من عزة النفس من أنه كل ما يقابله يقول له كيف حال ابنك الذي عينته في مكان كذا أو اتصلت شخصيًا، بهذا أنت أسرته بعد أن كان مستغنيًا عنك سار أسيرًا لمعروفك: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء».

جلس ثلاث أكابر على باب رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر وعثمان بن عفان فخرج النبي فوجدهم يتحدثون قال فيمَ تتحدثون؟ قالوا: نتحدث بالمعروف يا رسول الله، قال وماذا قلتم. انظر إلى هذا الأدب من الرسول قال أبو بكر:- أما أنا فقلت إن خير المعروف تعجيله (إن أردت أن تصنع معروفًا فعجل به)، قال عمر أما أنا فقلت إن خير المعروف تصغيره (أي لا تكبر صنيع المعروف)، (ما صنعت أنا من شيء هذا أقل واجب) وقال عثمان أما أنا فقلت خير المعروف ستره.

قال ﷺ: إن المعروف في الثلاثة إن صغرته عظمته وإن عجلته هنئته وإن سترته سَمَّنْتَه. يعني إن تريد أن تصنع معروفًا لإنسان لا تقل غدًا أفعله غدًا أفعله حتى يقول أهل العلم إن طلب منك أخوك أمر وأنت تدرك أنه يستطيع أن يقوم به فلم يقم به لأنه نسى فطلعته ثانية فلم ينجزه وثالثة فلم ينجزها قال العلماء:

«كَبِّرْ عليه أربع تكبيرات» صلى صلاة الجنازة.

وإن المنع من الله إحسان:

أنا أعلق آمالي كلها على الخالق وأعلم أن رزقي على الله لا يسوقه إليَّ

حرص حريص ولا يمنعه عني كراهة البشر. بمعنى لا تلومن أحدًا على ما لم يؤتك الله ولا تحمدن أحدًا على ما آتاك. لاتقل هذا هو السبب الأساسي لا تجعله كذلك هو مجرد سبب كما قلنا إن الله يغضب إن تركت سؤاله.

المنع من الله عين العطاء

المنع من الله إحسان كأنني أدعو الله بأن يرزقني بالولد فيمنعك لأنه يعلم إن رزق ذلك الولد ربما شغل عن طاعة الله ربما سرق من أجله حرامًا ودخل في شبهات أخرى. فإن المنع من الله إحسان لأنه يعلم ما الذي يشغل عنه.

*الله عز وجل منع يوسف من حضن أبيه هذا منع لكنه في قمة العطاء لماذا؟ لأن الغلام المخطوف تبوأ ملك مصر وصار بيده مقاليد الثروة لأن هذا من ثمرة المنع. ومنع الله أم الكليم أن تحضن موسى يوم مولده ولكن بقدر الله لما قال ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧] ما الذي جاء من ثمرة المنع أن تبوأت أسرة موسى كلها مكانة في بيت فرعون وتربى الوليد الملكي ثلاثين سنة متواصلة في بيت الملك ثم صار نبيًا. فكل هذا صبر.

فالعطاء يحتاج صبرًا وإن لم أصبر على العطاء فلم الشكر والصبر على العطاء هو عين الشكر. عندما يعطيني رب العباد كيف أصبر على العطاء أن أضع النعمة في مكانها.

مثال:- رجل أتاه الله علمًا فيشغل نفسه بصيام الاثنين والخميس وقيام الليل ولا يعلم الناس فهذا ما صبر على العطاء فلابد أن يستغل هذا العلم في إسعاد الناس ورجل آتاه الله الجاه يجب أن يستغل هذا الجاه في شكر الله ربما يصوم ويصلى ونحن لا ننكر فرض الصوم والصلاة ولكن من باب الفرض عليه أن يشكر العطاء باب يفتح باب الخير كما قلنا في فتح بيوت المسلمين فلا شكر بدون فضل والإيمان نصفين نصف فضل ونصف شكر.

وذلك الجاحد لما رأى امرأة مضيئة وهي في أحد أسفاره وكان معها امرؤ دميم الخلقة مقطب الجبين فخاف الحاجب أن يسأل الرجل فسأل المرأة من هذا يا أمة الله؟ وهذا على غير عادة العرب أن يسأل الرجل امرأة قالت هذا زوجي قال وما الذي أصبرك عليه قالت: عسى أن أكون قد ارتكبت سيئة فهذا ثمارها وعسى أن يكون صنع خيرًا فأنا ثمرته وعلى كلانا الصبر والشكر وهو إن شاء الله في الجنة.

انظر إلى هذا المنطق هذا هو منطق العقلاء لأن العلاقة بين الصبر والشكر علاقة وثيقة فإذا رأينا صابر فهو شاكر لأن الشاكر لا يعرف شكوى إلا لله. كأدب نبي الله داود كان يقول «كيف أشكو الرحمن الرحيم لمن لا يرحم».

وسيدنا يعقوب عليه السلام ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦] فما شكي إلا إلى الله فهذا مدرج من مدارج الرقي إلى درجة الشكر. فإن زرعت شجرة الصبر جنيت ثمرة الشكر.

بين الشكر والثناء...

- ما الفرق بين الشكر والثناء؟ أولاً عندما يكون الإنسان حامدًا لله يكون قريبًا منه أو يقرّب النعمة إليه فيراها كبيرة وإن كانت صغيرة يحمد الله سبحانه وتعالى على ما آتاه من فضله. لكن الحمد هو شكر اللسان والشكر هو حمد الجوارح شكر اللسان أن أقول «الحمد لله رب العالمين» هذا شكر اللسان يسمى الحمد. أما الشكر هو حمد الجوارح. يشكر الله أن رزقه أذنه «إن سمعت عنك خبرًا أذاعته وإن سمعت عنك شرًا دفنته» هذا شكر الأذن.

مثال:- كما رواه الإمام أحمد والترمذي وفي الصحاح أن صحابيًا لما دفنت أخته وقع كيس نقوده فجاء ليأخذه فنبش قبر أخته فالتهبت يده في تراب القبر ووجده ساخنًا فعاد إلى أمه يسألها ماذا كانت تصنع أختي.

قالت: كانت صوَّامة وقوامة ولكنها كانت تضع أذنها على حيطان الجيران تسمع أخبارهم.

شكر اليد أن أصافح بها المسلمين وأن أربط على أيديهم برفق وأن أعطي بها الصدقات وأن امسح بها على رأس اليتيم ومن مسح رأس اليتيم كانت له من بكل شعرة حسنة حتى إن بكى اليتيم قال الله «من أبكى اليتيم الذي غيبت أباه في التراب، أشهدكم أن من أسكته رضيت عنه».

الظلم من الجحود بالنعم

أفضل البيوت هو بيت فيه يتيم يكرم إليه وأسوأ البيوت هو بيت فيه يتيم يساء إليه. وأسوأ العباد عند الله من يظلم من لا ناصر له إلا الله. فلا تظلمن أحدًا حتى لا يدعو عليك المظلوم وأنت نائم وعين الله لا تنام.

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرًا   فالظلم ترجع عقباه إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه   يدعو عليك وعين الله لم تنم

حبس هارون الرشيد جعفر البرمكي عاش سبع سنوات يقول لا أنا في الدنيا ولا أنا في الآخرة (ولا يدري أين هو في السجن وقد كان قريبًا من أمير المؤمنين) وليس لي أي قريب. وكان البرمكي مسجونًا في العراق فيأتي ابنه بالماء البارد الذي قد يصل إلى درجة الجليد ويضعه على المسرجة في السجن يدفئ الماء لأبيه حتى يستقيظ لصلاة الفجر.

استقيظ الرجل مرة فوجد ابنه يبكي قال ما يبكيك يا بني؟ قال الحال التي وصلَتَ إليه بعد الوزارة والقرب من أمير المؤمنين، ما الذي فعل بك هذا؟ قال لعلها دعوة مظلوم في جنح الليل ونحن نيام.

- لابد للإنسان أن يراجع نفسه «إياك والظالم فإن الظلم ظلمات» إنسان

ظالم فكيف يكون شاكرًا قال الله لدعوة المظلوم «وعزتي وجلالي لانصرنك ولو بعد حين» [رواه الترمذي] وأول ما يقضي الله يوم القيامة يقضي في المظالم فيقول يا عبادي ما بيني وبينكم فقد غرفته لكم فتصالحوا» كيف يتصالحون ورجل مثلاً ظلم زوجته ٢٠ سنة وزوجة شيبت زوجها قبل المشيب وظلم الرئيس لمرءوسه أي ظلم حتى لو أن كانت شاة قرناء نطحت شاه صلعاء لأقتص الله من هذه لتلك. ولو أن جبل طغى على جبل لذكى الله هذا عن ذاك.

الوقوف على حدود الله

رجل يداعب سيدنا عمر بن الخطاب يقول:

يا عمرُ الخَيْرَ جزيت الجنة

اكْسُ أولادي وأمَّهن

أقسمت بالله لتفعلن

فقال عمر: وإن لم أفعل؟ قال: والله لأذهبن.. وإن ذهبت؟ فقال: إذا والله عنّي لتُسْألنّ يوم تُسَاق إما إلى نار وإما إلى جنة. فبكى عمر فقال يا غُلام أنا أعطيه لحر ذلك اليوم لا لشعره حتى لا يقال عن عمر إنه يعطي بالشعر.. فقد كان عمر مداعبًا وانتهى باكيًا.

* يستوقف سيدنا بلال خادم سيدنا عمر ويسأله كيف ترون أمير المؤمنين؟ كيف حاله في الدنيا (أي في البيت)؟ قال إن أمير المؤمنين عمر هو خير كله لكن إذا غضب فهو أمر عظيم قال بلال والله لو كنت عنده ساعة الغضب لقرأت عليه شيئًا من القرآن حتى ينسى ما به من غضب.

إذًا الصحابة رضوان الله عليهم وقافين عند حدود الله. فعند وفاة الرسول ﷺ يقول سيدنا أبو بكر لسيدنا عمر يا ابن الخطاب لأنه ما يصدق أن الرسول

ﷺ مات فقال إنه انتقل أو ذهب ليلقى ربه كما صنع موسى ومن قال إن محمدًا مات لأفصلن رأسه عن جسده يجلس عمر ويقرأ أبو بكر:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ﴾

[آل عمران: ١٤٤].

ويقول عمر وكأني لأول مرة أسمع هذه الآية. الإنسان وهو قاصد على الجهل له مفتاح لشخصيته كما يقول بعض العلماء الإيطاليون إن لكل إنسان مفتاح لشخصيته شخصية عمر بن الخطاب مفتاحها أن تقرأ عليه شيئًا من القرآن.

- هارون الرشيد أراد أن يشرب فجاء أحد الخدم بإبريق نحاس فوقعت على رجل هارون فنزفت دمًا فتلون وجه أمير المؤمنين غيظًا فقال الغلام لأمير المؤمنين والكاظمين الغيظ. قال كظمت غيظي (أنا أكظم غيظي اليوم وغدًا أخرج الملفات). والعافين عن الناس. قال عفوت عنك والله يحب المحسنين قال هارون وأنت حرٌّ لوجه الله. حتى يقول ابنه الأمين والله حبَّب إليَّ العفو حتى أخشى ألا أوجر عليه يوم القيامة.

فالإنسان يتضاءل مهما كان من مناصب أمام حلم القرآن الكريم ومع كلام الله عز وجل إذا قرأ وهذا نوع من الشكر. لأن هارون الرشيد شكر منصبه لهذا السماح عن هذا الغلام وعمر شكر ما خلفه الله تبارك وتعالى فالإنسان يطأطئ رأسه خشوعًا وخضوعًا للذي أولانا مقام العز.

صفات الجمال والجلال

- إن لله نوعين من الصفات:- صفات الجمال وصفات الجلال-

صفات الجلال:

أن يقوم العبد وهو يخاف الجبار القاهر العزيز المعز المذل هذه صفات جلال يجب أن انكمش وأخاف وأنا على هذه الرهبة من سماعها (جانب الرهبة).

صفات الجمال:- فهو الغني العفو والغفور والرحمن والرحيم والودود إلى آخر هذه الصفات هذه يجب أن أتخلق بها لأنني خليفة لله في الأرض أما صفات الجلال لا يجب أن أتخلق بها أنا أخاف منها ولا أتصف بها هذه صفات الجبروت.

من يفعل هذه الصفات فإنه يتأله على الله عز وجل في الحياة الدنيا.

مثال:- أحد المتكبرين كان يطوف راكبًا بعيره فتعجب الناس فقالوا يا رجل أأنت قعيد قال لا. قالوا فكيف تطوف هكذا قال كيف أطوف مع هؤلاء الأوباش. قال الذي روى هذه القصة عطاء بن رباح فرأيته على جسر في بغداد والناس تركب البغال والحمير وتعبر الجسر وهو واقف يتكفف الحاجة ليؤجر حمار يعبر به فقال له رأيتك من سنين حول الحرم وأنت تركب على بعيرك وتمسك بيدك. فقال تكبرت في موقف كان يجب أن أتواضع فيه فأزلني الله في مكان أعز الله فيه الناس- «لا تجني من الشوك العنب».

- قارون هل صبر على العطاء، لا حيث تكبر وقال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨].

قال فرعون ولي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي- إبليس قال ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [ص: ٧٦] فطرد من رحمة الله قالوا إن إبليس خالف الله مرة فطرده ولعنه فيقول العلماء يا عبد الله ألا تستحي إن خالفت أن يصنع

بك كما صنع بإبليس.

- عندما يتقدم موظف على عمل معين يطلب منه صحيفة الحالة الجنائية- تقرير أمنى- وإذا وجدنا تقريره الأمني أن به سابقة هل يعمل؟ بل يستبعد فورًا.

فرضنا جدلاً أن وثيقة الصحيفة الجنائية مليئة بالسيئات كم مليون سيئة في صحيفتنا وما زلنا نعمل عبيدًا عند الله ويقبلنا هذا رحمة من الله عز وجل.

ألا نكون من الشاكرين.

التواضع صفة كبار الشاكرين

الرسول ﷺ يوم فتح مكة لما دخل ويَسَّر الله له الأمر أقل شيء صنعه رآه الصحابة وقد انحني على بغلته تمس لحيته أجزاء فرجه وقال ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١] يقول ابن القيم مقولة لطيفة يتواضع لمن أولاه مكانة العز والله أعزه، لابد من صفة التواضع أن تظهر فيك في الكبير والصغير في الرجل والمرأة في الرئيس والمرؤوس في الحاكم والمحكوم وكلنا هكذا وإلا ما ظهرت علينا آثار نعمة الإسلام.

قالوا يا رسول الله هذا رجل كنا نحمده إليك منذ أيام شكروا في رجل عند رسول الله، فقال رسول الله لكني أرى عليه سمة من سمات الكبر علامة من علامات الكبر جاء الرجل فتخاطي للوضوء فجلس فسأله الرسول سؤال قال له أما خطر ببالك أنك أفضل من حولك ولو ساعة في لحظات قال يخطر يا رسول الله قال الرسول أما أخبرتكم أن فيه سمة من

سمات الكبر. من منا عنده الكبر «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من الكبر**» [رواه مسلم] فإن هذه هي التخلية بعد التحلية.

فلابد أن تتخلى عن الذنوب والكبائر حتى ندخل الجنة كما قال أحد العلماء عن الرسول أن الله هيأه أن يكون واحدًا فوق الجميع فعاش بتواضعه واحد بين الجميع، ما روي عنه أنه مدّ رجليه بين الصحابة قط. يدخل الأعرابي إلى المجلس ويقول أيكم ابن عبد المطلب حيث كان النبي يجلس جلسة عادية ليس متميزًا.

قال أحد الصحابة أنا عليّ ذبح الشاة ووآخر أنا عليّ غليها وسلقها وأنا عليّ طبخها وقال الرسول وأنا عليّ جمع الحطب وهذه أصعب مهمة قالوا نكفيك يا رسول الله قال إن الله يكره من عبده أن يكون متميزًا عن إخوانه.

وقام في الخندق يحمل عن بلال ويحمل عن عمار ويقول تقتل عمار الفئة الباغية يحمل الأحجار ويتصبب عرقًا وأصحابه يقولون عنك يا رسول الله إنا إنْ قعدنا والرسول يعمل فذاك منا العمل المضللُ، فيرد عليهم ويقول: اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر اللهم للأنصار والمهاجرة. هذا هو التواضع.

عمر وهو أمير المؤمنين يذهب عند افتتاح بيت المقدس وهذا يوم فرح في تاريخ المؤمنين لم يتكرر إلا على يد صلاح الدين الأيوبي ما الذي حدث قال سالم مولاه لا نستطيع أن نخرج دابتين من بيت المال هذا إسراف خذوا دابة واحدة وتحرك عمر من المدينة إلى بيت المقدس بدابة واحدة مع سالم مولاه ويقول يا سالم أنا أركب وأسمع منك جزءً من

كتاب الله ثم ينزل عمر ويركب سالم فيسمع سالم أمـير المـؤمنين مـن كتـاب الله فلما اقتربوا من أبواب بيت المقدس كان الدور على سالم فأنزل يـا أمـير المؤمنين قال لا والله أنا لست أغنـى عـن الثـواب منـك. والله لا تنـزل ولا أركب فذهب القساوسة ليصافحوا الراكب لأنه ليس من الممكـن أن يكـون أمير المؤمنين يسير على أقدامه وخادمه هو الراكب فيشاور سالم قـائلاً: هـذا أمير المؤمنين فينظر القساوسة فيعـدون في ثـوب عمـر ﷺ ١٧ رقعـة يمشي وغلامه يركب.

هذا هو الشكر كيف أكون متكبرا وأشكر أو معتديًا وأشـكر، أن تبيـت مذنبًا نادمًا خير لك من أن تبيت معجبًا خائنًا» فإن أنـين المـذنبين خـير مـن زجل المسبحين المعجبين.

سبيل الشكر على الضراء

كيف نصل إلى الشكر على الضراء وعلى الابـتلاء في الحيـاة الـدنيا أنـا لو رأيت ابني يدخل إلى البيت وفي يده أو في ثوبـه قطـع معـين أو في وجهـه جرح أول ما أسئله من صنع هذا فيك؟ قد يكـون الأخ الأكـبر أو العـم أو خال أسكت وأعرف أن هذا الولد أخطأ خطـأ معينًـا فقـام بتربيتـه، عنـدئـذ أسكت لأني أعلم أن العم مربّ. كيف أكون شـاكرًا علـى المصـائب؟ أولاً عندما أعلم إنما المصيبة من عند الله.

أعلم أنها بعين الرحمن الرحيم الذي يراني حـين أقـوم ويرانـي عنـدما أنام هو الذي يربينا على موائد كرمه. فعندما أعلـم أن هـذه المصـيبة وهـذا الابتلاء من الله وأنها ليست أكبر من ذلك.

أحد العلماء دخل على مريض يعـوده فوجـده يـئن مـن شـدة المـرض

فقال له يا رجل احمد الله عز وجل هناك من لا سكن له ولا مأوى وغادره وخرج، ودخل عليه في اليوم التالي يعوده وكان معه يقول لنفسه انظر له هناك من لا مأوي له ولا سكن. أولاً المصيبة من الله ثم ليست أكبر من ذلك ثم تؤجر عليها وأهم شيء أنها ليست مصيبة في الدين. المال يعود ويرجع الدنيا تأتي وتذهب يعز من يشاء ويذل من يشاء. المريض يؤجر ويأخذ أجر الصبر على قضاء الله وقدره. المتوفى لو كان بكائي عليه يرجعه لبكي أصحاب الرسول حتى ماتوا. كما قال سيدنا عمر يوم موت النبي ﷺ، سمعه الصحابة يقول في الليل وهو يبكي: «يا رسول الله إن جذعًا كنت تخطب الناس عليه فلما فارقته حن الجذع إليك ونحن أولى بالحنين إليك من هذا الجذع» فإنه هنا وصف لعمر عند صبره على رحيل الرسول فالإنسان يصبر على البلاء.

فعندما أصبر على المعصية أكون وضعت رجلي عند أول مدارج للشكر لأنها من الله عز وجل وما دامت من الله فأصبر وأشكر.

إحدى الصحابيات لما جرحت في يدها قالت لما تذوقت حلاوة ثمرة الصبر، نسيت مرارة الألم. الغاية هنا كبيرة والهمة عالية. الإمام الشافعي يقول:

أنا إِنْ عشت لست أعدم قوتا وإن مت لست أعدم قبرًا

همتي همة الملوك ونفسي نفس حُرٌّ ترى المذلة كفرًا

يقول لو أعلم أن الماء البارد يسلبني مروءتي لحرمته.

معية الله للشاكرين

إذا تضعضع المؤمن فهو في معية الله. أبو بكر وقت الهجرة هذه لحظة

مع من لا يُرى ولا يُشاهد ﴿لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾[التوبة: ٤٠] إني أصبح في معيته.

أم جميل تقول أنا أريحكم من محمد اليوم وتأتي وأبو بكر يجلس بجوار النبي وتقول لأبي بكر أين صاحبك؟ وينظر أبو بكر والرسول بجواره ويندهش قالت لم يفت اليوم فتعجب أبو بكر وقال أما رأتك قال الرسول «أتراهم ينظرون إليك فهم لا يبصرون» لأن الذي يعطي قوة النظر هو الذي يسلبها والذي أعطى قوة الإحراق للنار هو الذي سلبها عندما أدخل فيها الخليل. وقال ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلاَمًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

- حسن البصري سأله الناس ماذا تصنع مع الشيطان يا إمام؟ فضحك وقال وما الشيطان فتعجب الناس الشيطان ألا يعرف الشيطان قال: أطيع الله فما نفعه؟ وأعصيه فما ضرُّه؟ أي أن الشيطان نكرة لا شيء.

يقول تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣] لأن الشكر منقوص وذلك لأن الصبر ليس صبرًا جميلاً، فالصبر والشكر هما كمال الإيمان ونقص أحدهما ينقص الآخر.

الصبر الجميل صبر بلا شكوى فمن منا لا يشكو؟ ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] الصفح الجميل صفح بدون معاتبة، ليس بعد أن يشكو الإنسان نصف ساعة يقول الحمد لله رب العالمين (شكر اللسان) الموقف مقلوب والأولويات عند الناس غير موجودة.

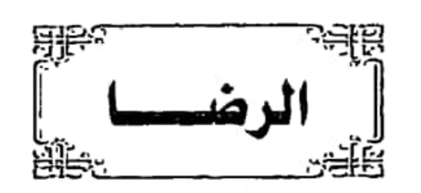
انظر إلى قصة واقعية «حدثت في بعض الدول العربية أن رجلا تزوج من امرأة صالحة وكانت متعلقة بأبيها تعلقًا عجيبًا وبينها وبين المدينة التي يسكن فيها أبوها ٥٠٠ كيلو مترًا. إن مرض الأب مرضت الابنة. فمات

الأب فخشي الأهل إخبار ابنته بالأمر فأخبروا زوجها عليك إخبار زوجتك أن أباها قد مات والرجل لا يعرف ماذا يصنع لا حيلة له فقال لها سوف تذهب لزيارة الأهل وقال لها بصراحة أنا أريد أن أتركك عند الأهل أسبوعين ثلاثة لأني نويت أن أتزوج عليك.

وبعد ٣ أو ٤ ساعات اقتربوا من المدينة وظهرت مشارق البلدة فقال لها أنا لا أنوي أن أتزوج عليك ولا حاجة ولكنها بصراحة أنا عندي خبر لك أبوك مات قالت الله يرحمه. لكن بالله عليك أنت ستتزوج عليَّ أم لا. هذا فقه الخلاف عند البعض.

فالشكر يضيع عندما ينسى العباد هذا الشكر من كثرة النعم. يقول أبو موسى الأشعري ما أحببت الدنيا إلا لثلاث قال:- آية أقرأها في كتاب الله أو حديث أسمعه من رسول الله أو أجلس مع الناس ينتقون أطايب الكلام كما ينتقون أطايب الثمر.

* * *



الرضا

الرضا ثمرة التسليم...

الرضا كلمة عندما يسمعها الإنسان يتسرب سريعًا إلى صدر العبد الطمأنينة والأنس والسكينة، لأن الإنسان عندما يكون راضيًا يظهر هذا على قسمات وجهه وعلى سلوكياته.

والإنسان الراضي هو الذي فهم المحاور الثلاثة للرضا وهي الرضا بالربوبية والرضا برسول الله ﷺ والرضا بالدين، فإذا رضي الإنسان بهؤلاء الثلاثة كان راضيًا.

وقد يتساءل إنني كإنسان قد أتألم إذا ألم بي شيء فهل هذا يتنافى مع الرضا، فنحن كثيرًا نتألم فالنبي ﷺ كان يرضى ويغضب وكان يصفو ويتكدر ولكن من باب واحد إذا انتهكت حرمة من حرمات الله، وقد حزن النبي ﷺ لموت ابنه إبراهيم ولكنه وضع حقيقة الألم جانبًا وقال: «إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع ولكن لا نقول ما نغضب الرب»، وقد حزن لمقتل أصحابه غدرًا عند بئر الرجيع، وإذا جمعنا أخبار النبي كلها لا تجده يفرح إلا لدينه ولا يحزن إلا لدينه وهل هنا نصر للعقيدة أم هزيمة للإسلام فهذا ما كان يرضيه ويسخطه وهكذا يجب أن يكون المؤمن.

والرضا ثمرة تنبت على شجرة التسليم والتفويض، فقد قال مؤمن آل فرعون وأفوض أمري إلى الله، وقالها الخليل من قبل إذا قال له ربه أسلمت لرب العالمين فليس مجرد النطق بالشهادتين بل تسليم الأمر لله، وإذا أصابت العبد مصيبة أو ملمة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون فيقول الله عز وجل أسلم

عبدي واستسلم، والاستلام هو أولى خطوات سُلم الرضي، أما إذا تشكك وأخذ يقول لو كان كذا لكان كذا فهذا بعيد عن حقيقة الإيمان لأن لو تفتح عمل الشيطان.

قواعد نطرق بها باب الرضا...

وللدخول في باب الرضا يجب تحقيق ثلاث قواعد التي تم ذكرهم.

أولاً الرضي بالربوبية عملاً وليس قولاً، فهذا النبي ﷺ يوم الطائف وبعد الأحداث الدامية التي وقعت له جلس تحت ظل شجرة ودعا بالدعاء المشهور: «اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي .... وهكذا حتى قال إن لم يكن بك غضب على فلا أبالي كنت راضي عني» (وهذا منطلق لإيمان)، والرضا الربوبية هي أن ترضي بتدبير الله لك، وأعلى مراتب الرضا بالربوبية والتوكل عليه سبحانه وتعالى، وإذا قوي اليقين قلت الأسباب لأن السبب البسيط يوضع فيه البركة.

والقاعدة الثانية الإيمان برسول الله ﷺ فيما أمر وفيما نص مع كمال الانقياد لرسول الله في صغير الأمر وكبيره، فانظر كيف كان النبي ﷺ زوجًا؟ وكيف كان جارًا؟ وكيف كان صديقًا؟ وكيف كان معلمًا وكيف كان متعلمًا؟ وكيف كان يتعامل مع الناس سواء آمن به أو لم يؤمن؟ فهو القدوة لنا ثم **القاعدة الثالثة** وهي الرضا بحقائق الدين، يقول الله في سورة النساء **﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾** [النساء: ٦٥] فلا وربك يا محمد أن هؤلاء القوم لن يكونوا من المؤمنين حتى إذا نزع بينهم أمر نزاع يحكموك بينهم وبعد الحكم لا يجدوا حرجًا في أنفسهم ويسلموا لهذا الحكم تسليما، مثال امرأة متمردة على الحجاب تتحاكم إلى رسول الله فتعلم أنه نزلت فيه سورة النور فتأخذ الحكم وترتدي

الحجاب ولكن في نفسها شـيء، فهـذه لم تـرق إلى درجـة الرضـا بالربوبيـة ولا برسول الله ﷺ.

وأخرى في قضية زيد وزينـب ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِينًا﴾ [الأحزاب. ٣٦]

وهذا هو قمة الرضا بحكم الله ورسوله.

وقد يحقق الإنسان هذه القواعد الثلاثة ولكن يوجد عقبة أخري أن الإنسان قد يشكر إذا أعطى ولم يصبر إذا مُنع، وهذا أمر واقع في النفس البشرية، ولكـن يجب على الإنسان أن يشكر إذا أعطاه الله ويصبر إذا منعه شيء لأن ذلك يكون في مصلحة الإنسان، ويجب أن يكون لسان حال المؤمن كأنه يقـول إن أعطيـتني قبلت وإن منعتني رضيت وإن تركتني عبدت وإن دعوتني أجبت.

إذًا فالرضا ترك الاختيار قبل القضاء وتبخر مرارة الألم بعد القضاء، لـذلك كان من دعاء النبي ﷺ: «**اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء**» [رواه أحمـد]، ولمـاذا بعد القضاء لأن العلماء قالوا أن الرضا قبل القضاء عزم أي نية أما الرضـا بعـد القضاء هويقين وهذا هو العمل الرئيسي.

درجات الرضا وأهله...

ويقول العلماء أيضًا عن الرضا هو هيمان الوجد والحب لله في غلب العبـد في حشد الابتلاء، أي في الابتلاء نفسه يكون المنحة، وقد قال ابن عباس لو كان العسر في كوة لجاء اليسر فأخرجه وجلس مكانه لأنه لا يغلب عسر يسرين.

وأعظم درجات الرضا أن أكون سائرًا في طريقي فـإذا أتـاني مـن خـير أحمـد الله وإن أتاني ما أظن أنه كرب أقول إن هذا من تقصيري، وقد قال علي ﷺ من أصـيب بمصيبة فصبر كان له الأجر وقد نفذ أمـر الله ومـن أصـيب بمصـيبة فلـم يصـبر

كان عليه الوزر وقد نفذ أمر الله، حتى قال قولته الشهيرة سأصبر حتى يعجز الصبر عن صبري وأصبر حتى يأذن الله في أمري وأصبر حتى يعلم الصبر أنني صابر على شيء أمر من العبد، فهذا تمام الرضا فكلما كان العبد في معية الله يقوى الرضا فتتساقط المشكلات على قدر قوة الرضا.

ولا يترك ا لله العبد المؤمن عند المصائب والمحن ولكن يربط على قلبه لسابق علم الله انه قلب يربط عليه، وهناك قلب لا ينفع فيه الربط لأنه قلب يعيش في الملذات والشهوات، فانظر إلى أم الكليم موسى لما أتاها الأمر بأن تلقي ابنها في اليم تحركت أمومتها فربط الله على قلبها لأنها نفذت أمر الله.

وهذه قصة الخليل انظر إليه وهو يترك ولده وزوجته في مكان غريب وانظر حنانه في قوله ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧] وانظر إلى الهدف ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، فكيف ترك عائلته في هذا المكان ولكنها سكينة من عند الله.

وأصحاب الكهف قال الله لهم: ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ﴾ [الكهف: ١٥]، ليست الرحمة والنشر بالمكان الضيق ولكن في قلب المؤمنين.

وهذا أبو بكر يأتي بماله كله للرسول ويأتي عمر بن الخطاب بنصف ماله، فيقول النبي لعمر ماذا تركت لأهلك يا عمر فيقول تركت لهم نصفه، ويقول لأبي بكر ماذا تركت لأهلك فيقول تركت لهم الله ورسوله، فما هذا الرضا وطمأنينة القلب.

وهذه السيدة خديجة تطمئن الرسول ﷺ وتقول له والله لن يخزيك الله أبدا فهي تتكلم بالرضا.

فيجب أن نتربى ونربي أولادنا على هذه العقيدة ويكون شعارنا أن كيد الشيطان كان ضعيفا، ولا تقول العدو غلب ولكني الوحي هو الذي أعرض، فقد تركهم الله لأنهم نسوا الله فأنساهم أنفسهم.

الشك من آفات الرضا

ويجب على المؤمن أن يسعى إلى طرق باب الرضا ويحصل ثمرته، ولكن يمنع العبد عن قطف ثمرة الرضا أنه يتشكك في المقادير، فمثلا يقول لو لم أعمل بوليصة تأمين لابني سوف يضيع من بعدي ولكن ربنا قال ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩]، فيجب أن أكون محبًا لله ونحن جاهلون بعواقب الأمور، لذلك قال العلماء اختار إلا تختار ودبر إلا تدبر فربك يخلق ما يشاء ويختار، وثمرات الرضا على فرع التوكل في شجرة اليقين بستان الإسلام تنبت ثمرة متوازنًا ولا تثمر إلا عبق الإيمان.

والشهوات والملذات عند الصالحين قد قُمِعَتْ بنار الخوف من الله فلما خافوا تبخرت الشهوات من عندهم فصارت شهواتهم وملذاتهم في مرضاة الله عز وجل.

والمسلم هو الذي يكون راضيًا بما قسم الله، فإذا رضيت فقد سلمت أنا قد سلمت لجهلي بعواقب الأمور والرضا يفتح باب الإسلام بين العبد وبين ربه، لذلك يحيى الله العباد في الجنة بالسلام ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلاَمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤] لأنه عاش في سلام مع نفسه ومع دينه ومع ربه ورسوله في الدنيا فكان السلام في الآخرة.

والإيمان بالقضاء والقدر من قواعد الإيمان، ولكن لا يعكر صفو المسلم إلا الذنب فيجب أن يتوقف العبد ويعيد الحسابات ويجدد التوبة والعزم وينمي ثمرة الرضا فيجد الطريق قد فتح، فالله أحن علينا من آبائنا وأمهاتنا، فلابد أن

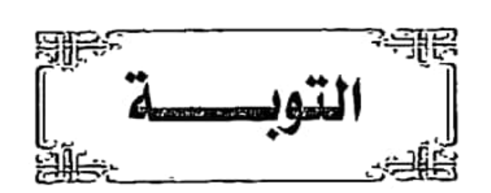
يغمر الرضا قلبي لأنه الله ربي.

ومما زادني فخرًا وتيها وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي وأن أرسلت أحمد لي نبيا

وللرضا أنواع فهناك رضا العوام، ورضا الخواص، ورضا خواص الخواص.

فرضا العوام الذي رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولاً، ورضا الخواص ألا أرض عن الله بديلاً ولا أرض غير رسول الله دليلاً ولا أرض عن غفلة أو لحظة تمر في الدنيا دون وصل بالله عز وجل، أما رضا خواص الخواص هو ألا يملأ قلبه إلا برب العباد سبحانه وتعالى والبحث عن مرضاته ليل نهار.

* * *



التوبة

التوبة رجوع إلى حرمات الله

يعد موضوع التوبة من أهم وأخطر الموضوعات نظرًا لأهميتها الشديدة، فكثير منا قد ينسيه الشيطان التوبة أو يقنعه أنه ليست عليه توبة فهو رجل يصلي ويصوم وهي محجبة ملتزمة ومطيعة لزوجها صابرة عليه، فأنا لم أشرب خمرًا، إذا فمم أتوب؟

كما أن التوبة كأي شيء في الإسلام له قواعد وميزان وشروط، ولأهميتها الشديدة حرص عليها جيل الصحابة وهم أرقى وأنقى مجتمع عرفته البشرية ولكن كانت مسألة التوبة والاستغفار وكأنهم أصحاب ذنوب كبيرة وكثيرة وكانوا من البكائين الخائفين المقيمين لليل.

والمدلول اللغوى والاصطلاحي للتوبة هي الرجوع، ونحن أمام أنواع من الناس أمام الذنب والخطأ.

فمنهم من لا يعذب بالذنب الخطأ من باب المكابرة، ومنهم من يقدم مبررًا لذنبه وخطئه كالذي يتعامل بالربا يقول لأني قد تركت الأبواب كلها فلم أجد إلا هذا الباب مفتوحًا، والآخر يعذب بذنبه وينوي الرجوع وندم على ما قدم والثالث هو الذي يريد أن يتوب.

إذا التوبة هي الرجوع عن الذنب والعصيان هي الخروج عن حدود الله، فعندما يخرج الإنسان خارج حدود الله يشقي ويصيبه النَّصَب فانظر في قصة سيدنا موسى عندما ذهب للقاء الخضر يقول ربنا تبارك وتعالى ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ

لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢] أي عندما جاوز المكان المقصود الذي يجب أن يتوقف فيه فأصابه التعب الجسدي لذلك قال العلماء إن الإنسان عندما يكون في طاعة الله فهو في راحة فإذا عبر الحدود شعر بالنصب والتعب.

وسبب هذا النَّصب أن الإنسان جزء من هذا الكون المسبح فيخالف هذه المنظومة فيصيبه التعب والنصب، وكما قال ابن مسعود كل شيء يسبح ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] فلم نسمعها كي نستفيد منها. فمثلا إذا أراد إنسان أن يمسك بالكوب ليشرب فوجده يسبح فسوف يتركه.

ويقول العلماء إن الحديث عن التوبة يجب أن تتم تحت عناوين ثلاثة (علم وحال وعمل) بمعنى.

العلم هو أن أعلم أني قد تجاوزت الحد، كالمريض الذي يقر بمرضه فهذه أولى خطوات العلاج، ولا يكن كما قال الله ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ۞ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤] وهنا تكمن المصيبة، وهذا العلم يتحول إلى حال فأكون مدركًا لخطئي أني قد تعديت الحدود بأني قد أغضبت الله فأبدأ في دراسة كيفية التوبة.

ولا أستطيع أن أهتدي إلا إذا استشرفت من الكتاب والسنة الطريق فأتحول من العلم والحال إلى العمل.

كالرجل الذي حكى عنه النبي ﷺ الذي قتل مائة نفس، فعندما قتل تسعة وتسعين نفسًا سأل رجلاً فلم يعجبه كلامه فقتله فأتم المائة فيذهب إلى العالم فيقول له اترك الأرض التي تعيش فيها واذهب إلى أرض كذا فإن بها أناسًا صالحين.

والعمل المقصود به أركان التوبة، وللتوبة أركان أربع وهي: الإقلاع عن الذنب ثم العزم على عدم العودة ثم الندم على ما فات ثم إرجاع الحقوق إلى أصحابها.

فلندرك أن الذنب في حق الخالق

والإقلاع عن الذنب يأتي بعد أن أدرك الذنب بمعنى أني لو أيقنت أن هذا الكوب فيه مبيد حشري فلن أشرب منه وعندما يؤمن المؤمن أن الذنب يقضي على الحسنات ويسود كتابه ويغضب منه الملائكة وينزع منه البركة ويغضب منه رب العباد، فسوف يقلع عن الذنب وفرق العلماء بين المؤمن والفاسق المؤمن بجوار ذنوبه الصغيرة يظن أنها كالجبل الضخم يوشك أن يقع عليه والفاسق الفاجر ينظر إلى ذنبه وبجواره كبائره وكأنها ذبابة حطت على وجهه فصرفها بيده.

لذلك قال العلماء لا تنظر إلى صغر الذنب ولكن انظر إلى عظم من تعصي، وهذا يكون سبب الإقلاع عن الذنب، فعندما يخرج إنسان أسرار وطنه يرمي بالخيانة العظمى فهذا خان قطعة من الأرض فما بالك بمن خان خالق الأرض.

فالإنسان يجد صعوبة في الإقلاع عن الذنب لأن النفس تستمرئ المعصية، ذهب رجل إلى الحسين بن علي ﷺ وقال له يا ابن بنت رسول الله ﷺ عندي مرض فضحك الحسين وقال لست طبيبًا قال بل دوائي عندك فقال الحسين أين مرضك، فقال الرجل كلما أردت التوبة مما أعصي الله به عدت إلى الذنب مرة أخرى، ويقول العلماء المقيم على الذنب وهو يستغفر الله كالمستهزئ بربه، فقال الحسن أعطيك أدوية خمسة:-

الأول: إن أردت أن تعصي الله فاعصه في ملك غير ملكه، فقال الرجل هذه صعبة.

هات الثانية: قال الحسين إن أردت أن تعصي الله فاعصه في مكان لا يراك فيه. هذا أصعب لأنه قد يكون هناك أمور حلال ولا يستطيع الإنسان أن يضعها أمام طفل صغير للحرج فما بالك بالحرام.

فقال الرجل هات الثالثة: قال إن أردت أن تعصي الله فلا تأكل من رزق الله، كيف تأكل من رزقه ثم تعصيه.

فقال الرجل هات الرابعة: قال إن أردت أن تعصي الله وجاءك ملك الموت فقل له أخرني حتى أتوب فقال الرجل ﴿لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١] هذه أصعب فقال الرجل هات الخامسة قال: إن أردت أن تعصي الله وحشرت يوم القيامة بين يديه وقال لك عبدي لم عصيتني قل له أنا لم أعصك يا رب قال أكذب في الدنيا وأذنب وأكذب على الله في الآخرة. وقال أشهد الله أني قد تبت إليه.

وهذا جعفر الصادق يوصي الحسن البصري كبير التابعين يقول له يا حسن أطع من أحسن إليك فإن لم تطعه فلا تعصي له أمر، فإن لم تطعه وعصيت أمره فلا تأكل من رزقه وإن لم تطعه وعصيت أمره وأكلت رزقه وسكنت داره فأعد جوابا وليكن صوابا.

فالإنسان أسير الإحسان وأسير من يحسن إليه من البشر فما بالك بإحسان الله علينا، فكيف يحسن الله ولا نطيع وكيف نأكل من رزقه وكيف نسكن أرضه وبعدها كيف أعد له جوابًا يوم القيامة يوم لا كذب وكيف نكذب على الله.

فالله يخرج لكل إنسان من تحت العرش يوم القيامة تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مد البصر ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فيطلع عليها العبد، ثم يسأل رب العباد ثلاثة أسئلة أعجب من الخيال.

الأول: يقول الله عبدي هل ظلمك حفظتي؟ قال لا يا رب، الثاني: هل لك حسنة مخفية لم يكتبها الكتبة؟ قال لا يا رب، والثالث: عبدي ألـك عـذر تعتـذر إلينا به.

فسأل الصحابة رسول الله ﷺ يا رسول الله أيقبل رب العباد أعذارنا، قـال لا أحد أشد قبولاً للعذر من الله عز وجل، لذلك فتح باب التوبة.

ومن علامات قبول التوبة، عدم الشعور بحلاوة المعصية لأن العاصي يفـرح بالمعصية ويحزن إذا فاتته ولكن دليل قبول التوبة شعور بالمرارة إذا فعل المعصـية ويفرح إذا فاتته، وأيضًا يفـتح لـك الله عـز وجـل أبـواب الطاعـات ويغلـق في وجهك أبواب المعاصي، إن الله يغار علـى عبـده المـؤمن فـلا يخلـي بينـه وبـين المعصية.

ما يعنيك على الندم ..

الركن الثاني في أركان التوبة: الندم على المعصية ولكن يستشعر الإنسان الندم، أولاً يستشعر قول الله عز وجل ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦] فهي ليست جنة واحدة لماذا لأنه عندما يولد المولود يوجد الله له مكانة في الجنة ومكانة في النار، فإذا سلك طريق الإيمان يأتي وهو يمر على الصراط يوم القيامة يقال له انظر هنا مكانك لـو عصـيت الله لكـن الله أكرمـك فيـذهب إلى الجنـة، ويؤتي بالكافر فيمر على الصراط ويقال له انظر إلى الجنة فهذا مكانك لو اتقيت الله ثم يدخل النار فيكون ندمه وحزنه مـرتين، فـيرث المـؤمن مكـان الكـافر في الجنة وهكذا الجنتان.

ولكي أصل إلى درجة الندم والخـوف مـن الله والخشـوع لـه يجـب أولاً أن أستحضر عظمة الله عز وجل من الذنب يكون سـبب غضـب الله، وقـد يكـون سبب في سوء الخاتمة، فلا يلهث الإنسان وراء الدنيا فالذي يـأمن الـدنيا يكـون

مثل القابض على الماء.

ومن المسبب للندم أيضًا استشعار ثمرات الذنوب وهي ثمرات كالحنظل كما أن للحسنات ثمرات إذا ذهبت إلى المسجد فكل خطوة حسنة وتحط عنه سيئة ومن انتظر الصلاة تكتب الملائكة في كتاب حسناته كأنه يصلي إلى أن تقام الصلاة ثم صلاة الجماعة مقبولة، وكل هذا بالمجان.

آفات المعاصي وشؤمها

وأيضا للمعصية ثمرات فإذا ذهب الإنسان إلى أماكن المعاصي يجب أن يدفع السؤال ثم يكون في معية الشيطان ويكون معه أخوة يدعونه إلى الغي وهكذا فتثمر المعصية فتسلب البركة من الرزق، فلا يكفيه. والبركة تكون في قلب العبد المؤمن.

فانظر إلى عبد الرحمن بن عوف عندما سلب منه ماله عند الهجرة ولم يكن معه إلا أربع دراهم، فقال لما عرض عليه أخوه الأنصاري بستانًا وبيتًا قال بارك الله لك في ذلك ودلنا على السوق فضحك الأنصاري لأن عبد الرحمن بن عوف يظن أن سوق المدينة كسوق مكة، فسوق المدينة كان فيه اليهود وهم محترفون في التجار والاقتصاد ولكن انظر إلى اليقين في البركة الموجود في قلب عبد الرحمن بن عوف، قال عبد الرحمن بن عوف لقد دعا لي رسول الله ﷺ اللهم بارك لعبد الرحمن بن عوف في صفقة يمينه، فعندي يقين أنني ببركة دعاء رسول الله ﷺ لو رفعت حجرًا لوجدت تحته دينارًا من ذهب.

فأخذ عبد الرحمن بن عوف الأربعة دراهم واشترى جبة جبنه وباعها وهكذا بدأ التجارة إلى أن مات وكان له من الزوجات أربع وكانت ثروة عبد الرحمن بن عوف أربعة وستين مليون دينار، حتى إن الذين قسموا التركة جاءوا بعمال يكسرون سبائك الذهب حتى تورمت أيديهم، سبحان الله من أربعة

دراهم حتى لا يجد من يخرج إليه الزكاة، فهذا ببركة الطاعة.

فالمعصية تسلب البركة من الرزق والوقت والعمر، وتسلب النور من الوجه.

وقد يقول إن أكثر العاصين لله أكثرنا أموالاً ولكن انظر إلى قلبه تجد فقرًا حقيقيًا، ضنك وضيق في الصدر واكتئاب وأمراض نفسية.

وقال ابن عباس اعرف ذنوبي في سوء خلق دابتي وسوء خلق زوجتي ومن ثمار المعصية أن تسلب البركة من الأولاد، كما جاء في نص الحديث أنه من علامات الساعة أن يصير الشتاء قيظا (حرًا) والولد غيظا، أي يكون الشتاء حرًا وأن يصير الولد يغيظ أباه من كثرة ما يكيده.

إصرار على الطهارة

والركن الثالث للتوبة: العزم على عدم العودة إلى الذنب وهذه كلها أمور معنوية ويجب أن تكون النية صادقة.

فقد كان عبد الملك بن مروان رجلاً حصيفًا سُمع وهو ساجد يقول يا رب أنا أنا وأنت أنت، أنا العواد إلى الذنوب وأنت العواد إلى المغفرة وما عهدنا منك إلا الرحمة يا الله.

وقال أحدهم يا رب قد أطعتك في أحب الأمور إليك وهي التوحيد واجتنبت أبغض الأمور عندك وهي الشرك فاغفر لي ما بينهما.

ويجب أن يكون العزم على عدم العودة إلى الذنوب صادقة، فالعزم ليس كلامًا ولكن عمل أيضًا.

فهو يرتب أولوياته فهناك كبائر وصغائر مثلا السرقة حرام وأكل أموال

اليتامى حرام ولكنه أشد من السرقة. فنبدأ بترك أكبرهما وهكذا ويجب أن يستعين بالله فهو ركنه الشديد، لأن الإنسان ضعيف فعندما يذهب إلى الله يقويه ويشعر بقوته.

كما فعل أبو الحسن الزاهد عندما أطلق عليه ابن طولون أمام الحفل من أتباعه أسدًا ليأكله فذهب الأسد إليه يحرك ذيله ولم يأكله فاستحلفه ابن طولون بماذا كنت تفكر عندما أقدم عليك الأسد. قال كنت أفكر في لعابه أنجس أم طاهر، فمن أين أتته تلك القوة، وهذا سيدنا إبراهيم يلقى في النار وهو ثابت القلب ويقينه في الله كبير فيقول حسبي الله ونعم الوكيل.

فلا يأتي العزم إلا من قوة اليقين وقوة الإيمان، فهذا عمر بن الخطاب يقف على منبر رسول الله ﷺ والجيش في خراسان على بعد آلاف الكيلو مترات وينادي على قائد الجيش يا سارية الجبل الجبل وبعد شهور يعود الجيش ويقول والله إني في يوم كذا وساعة كذا سمعنا صوتًا كصوت أمير المؤمنين عمر يقول يا سارية الجبل الجبل فنظرنا فإذا كمين أعد لنا فانتبهنا ففتح الله لنا وانتصرنا، فأي يقين هذا!!

بهذه الأمور يصل الإنسان إلى العزم ويصعد في مدارج السالكين بأمر الله ويضع قدميه في أولى خطوات طريق التوبة.

ومن المعينات على الطريق ألا ينظر الإنسان إلى أهل المعاصي ويقول أنا أقل منهم معصية ولكن هناك قاعدة وضعها العلماء للمؤمن وهي أن ينظر في الدين لمن هو أفضل منه، وينظر في الدنيا لمن هو أقل منه، حتى لا يستصغر العبد نعم الله عليه، وبهذا الميزان تستقيم أحوال الناس وليعلم العبد أن الله يحميه من الدنيا، كما يحمي أهل المريض مريضهم من الطعام خوفًا عليه ومحبة له.

رد الحقوق: مادية ومعنوية

والركن الرابع للتوبة هو رد الحقوق لأصحابها والحق حقان حق معنوي وحق مادي، وكل شيء في الإسلام له حق كما قال الصحابة للرسول وما حق الطريق يا رسول الله: قال غض البصر وكف الأذى وإفشاء السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

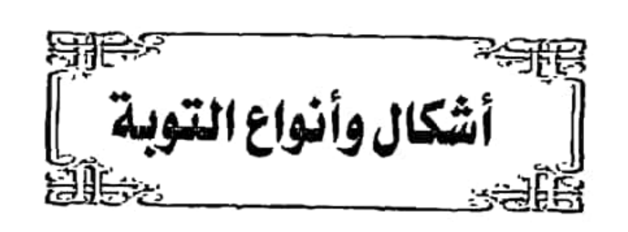
إذا لكل شيء حق والحق حقان، ولا يستصعب الإنسان الأمر فإذا أعطيت فهمًا لما أمر ربي وبما نهاني وأفضل منه ما أستطيع كما قال النبي ﷺ «**وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت**» [رواه البخاري]. أي أفعل ما في استطاعتي وقدرتي فيعطيك الله من قدرته ويمدك بقوة.

كما قال الناس في سفر لإبراهيم بن أدهم. يا إمام كلنا من نسير من الشام إلى مكة على دواب ورواحل وأنت تسير على قدميك، فقال إبراهيم بن أدهم إن تعبت جعلت ذكر الله مركبي وإن جعت جعلت التسبيح والتحميد طعامي وإن عطشت جعلت الصلاة على رسول الله ﷺ زادى فقالوا إذا أنت الراكب ونحن الماشون.

نعود إلى رد الحقوق، وكما قلنا فهناك حق معنوي وحق مادي والحقوق المعنوية، كذكرك إنسان بسوء في مجالس عدة، فكيف أتوب من ذلك، فليس التوبة أن أذهب إليه واستسمحه أن يعفو عني فقط، بل يجب أن أذكره أمام نفس المجالس بخير.

والحق المادي، يجب أن يرد الحق المادي، فطالما الإنسان صاحب الحق موجود، وإذا كان صاحب الحق مات فليخرج صدقه له.

***



أشكال وأنواع التوبة

توبة إنابه واستجابة

إن للتوبة أشكالاً وأنواعًا، والتوبة نوعان أو قسمان رئيسيان وهما توبة إنابة وتوبة استجابة.

وتوبة الإنابة ومعناها أن يتوب العبد من صغير الأمر وكبيره لأننا نخاف من الله لقدرته علينا.

وتوبة الاستجابة: وهي أني أتوب من أجل قرب الله مني، فهو يراني ويسمعني، وهذه هي توبة الاستجابة دون مخوف.

كما كان يعلم شقيق ابن أخته وهو صغير! يا بني ليكن أمامك دائمًا «الله معي شاهد عليّ الله ناظر إليّ» فيستشعر الولد معية الله سبحانه وتعالى، فيعبد الله عن حب لا من خوف، كما قال ابن عطاء إن الله عرض الجنة على العباد على حب فلما رأى تكاسلهم ما حكم إليها.

وذلك لأن الترهيب مطلوب عند بعض المستمرئين للمعصية والإسلام فيه الترغيب وفيه الترهيب.

والله غفور ودود وليس غفورًا فحسب وتضيف كلمة ودود أن الله سبحانه وتعالى لا يعاتب عبدًا منحرفًا عاد إليه.

يأتي العبد يوم القيامة بين يدي ربه **﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ۝ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ**

حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤] فيضع حسنات قليلة صنعها العبد وضعت في الصفحة التي بينه وبين الناس في المحشر ومئات وملايين السيئات وضعت بالصفحة التي بينه وبين الله، ولكن العبد نفسه واقف مع أهل اليمين فيتعجب ويظن أن الملائكة أخطأت، فيقول رب العزة! عبدي ما صنعته من حسنات جعلته بينك وبين الناس وما صنعته من ذنوب جعلته بيني وبينك! سترتها عليك في الدنيا وأنا اليوم أغفرها لك.

فالعبد عندما يذنب ويتوب يقول رب العزة علم عبدي أن له ربًا يغفر الذنوب أشهدكم أني قد غفرت له، ثم يعود العبد إلى الذنب مرة أخرى فيقول الله أشهدكم أني قد غفرت له، ويعود الثالثة والرابعة والخامسة يقول علم عبدي أن له ربا يغفر الذنوب ولا غافر للذنوب إلاى أشهدكم إني قد غفرت له وتبت عليه فلن يعود إلى الذنب مرة أخرى.

ولكن يذهب العبد إلى الذنب ويعود إلى المعاصي، لأنه عندما يستر المعصية يخلى بينه وبين المعصية وبينه وبين نفسه.

إذا فيجب على العبد أن يتوب توبة إنابة وتوبة استجابة.

من أين تنبع المعاصي...؟

وكما أن للحسنات منابع وقنوات، فهناك للمعاصي منابع وقنوات ونستطيع أن نحمل المعاصي كلها تحت عناوين أربعة (صفات ربوبية أو صفات شيطانية أو صفات بهيمية أو صفات سبعية).

فالصفات الربوبية مقصود بها أن يتصف العبد بصفات لله فقط، فيكون العبد جبارًا متكبرًا يتكبر على عباد الله عز وجل، ويقهر عباد الله أو يستغل منصبه أو مكانته الاجتماعية أو ماله في قهر عباد الله، فهذه صفات ربوبية لا

يجب أن يتصف العبد بها، فقد قال الله في الحديث القدسي «الكبرياء إزاري والعظمة ردائى فمن نازعني فيهما ألقيته في ناري ثم لا أبالي» [رواه أبو داود].

مثل الحسد والحقد فهذا من الشيطان، فهو الذي أبى أن يسجد لآدم وقال أنا خير منه وفهذا حقد وحسد وعدم حب الخير لأحد، فالحاسد إن حسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، لأنه لم يرض بقسمة الله له.

والصفات البهيمية وهي الشهوات والغرائز، وحب الانتقام وأكل حقوق الغير هذه صفات بهيمية.

والصفات..... مثل التكالب والشره والهجوم على الآخرين والافتراس واغتصاب الحقوق.

فالإنسان يراعي مثل هذه المنابع فإذا أغلق هذه المنابع فلا ينبع الأخير، وإذا تركها فالناتج معاصي وثمراتها.

أنواع المعاصي .. ورجاء الرحمة

وبعد الحديث عن منابع المعاصي، نأتي إلى أنواع المعاصي وللمعاصي نوعان أساسيان هما (الصغائر والكبائر) وهذا من حيث الحجم، ومن حيث النوعية فهناك (معاصي جوارح ومعاصي قلوب).

أما من حيث الحجم فهما معاصي كبائر ومعاصي صغائر، فنحن نريد أن نقر بعض الأمور بالنسبة للكبائر والصغائر وهما أن لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع استغفار.

فمثلا لو سقطت نقطة ماء من السقف على المنضدة فلن تؤثر فيها ولكن بعد مرور خمس سنوات من تقاطرها سوف تثقبها، وكذلك يصنع الذنب في القلب نكتة سوداء فإذا تاب العبد فكأنما هو إناء غسل ولكن بتكراره تتجمع

نكات كثيرة وإذا غاب العبد عن قضية الاستغفار والتوبة رانت الذنوب على قلبه ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤] فيحجب القلب عن نور الله فلا تنفعه موعظة.

لذلك قال العلماء العجلة مكروهة في كل الأمور إلا في أربعة أولها التوبة من الذنب ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: ٨٤] وثانيها إرجاع الحقوق إلى أصحابها وثالثهما دفن الميت ورابعها سداد الدين

وجاء في الحديث القدسي: «أفضل العباد من يسرع إلى مرضاتي إسراع النسر إلى فريسته والذي يغضب إذا انتهكت محارمي كما يغضب النمر».

والقاعدة الثانية لا صغيرة إن قابلك عدله ولا كبيرة إن واجهك فضله، إذا لا صغيرة إن قابلت عدله فهي لا تصير صغيرة لأنها في حق الله الكبير المتعالي فهي تدخل النار وتكون المصيبة.

ولا كبيرة إن واجهك فضله ولذلك دعا الصالحون اللهم عاملنا بفضلك ولا تعاملنا بعدلك، وقال علي سبحانك سبحانك قطرة من فيض جودك تملأ الأرض ريا ونظرة من عين رضاك تقلب الكافر وليا.

فالإنسان لا يستصعب القدرة الإلهية في هداية الإنسان فهذا عمر بن الخطاب الذي ذهب ليقتل رسول الله ﷺ فيعود عمر الفاروق الذي فرق الله به بين الحق والباطل والذي جعله الله أسطورة التاريخ، ويقول له الرسول ذات يوم «لو عذبنا جميعًا ما نجا إلا أنت يا ابن الخطاب».

وفي غزوة الخندق يعبر رجل إلى الرسول ويقول له يا محمد إن أنا أسلمت طائعًا مختارًا وقاتلت معك صابرًا محتسبًا فقتلت أأدخل الجنة قال نعم بلى فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، فجاءه سهم غرب فخر شهيدًا

فتبسم النبي ﷺ وقال دخل الفردوس الأعلى وما سجد لله سجده. هذا لأن الأعمال بالنيات والأعمال بالخواتيم.

فيجب أن نفتح باب الأمل للناس لأن الذنوب كثيرة والمجتمع يعج بميكروبات وجراثيم كثيرة.

وأيضًا هناك سحرة فرعون، عندما أيقنوا أن صنع موسى هذا ليس من صنع البشر، وهم أهل الحرفة والفن وهم فاهمين القضية، فخروا سجدًا، ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ [طه: ٧٠] ولما توعدهم فرعون ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] فماذا قالوا ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ﴾ [طه: ٧٢] لماذا يقولون هذا لأن الإيمان قد مس شغاف القلب وإذا مس الإيمان القلب صار العبد عبدًا ربانيًا لا يطأطئ.

إذا الصغيرة والكبيرة مع رحمة الله عز وجل تزول ولكن مع عدله تكون مصيبة، لذلك قال أبو حامد الغزالي عن أحد الصالحين «عفوه يستغرق الذنوب فكيف وده إذا كان العفو يمحو الذنوب فكيف حبه ووده يضيء القلوب وحبه يدهش العقول، لذلك من أكبر الكبائر أن يظن العبد أن ذنوبه أكبر من عفو الله.

وعندما قرأ الحسن البصري آية أصحاب اليمين ﴿السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠، ١١] فقال الحسن البصري اللهم ذهب المقربون فاجعلنا من أهل اليمين.

لذلك قال الله تعالى في الحديث القدسي «إن وجدتم آبقا من رحمتي فأمنوه، (أي أعطوه الأمل) وإن وجدتم آمنا من مكري فحذروه».

ويجب أن تذكر بالحديث القدسي الذي قال الله فيه «مَنْ جاءني منهم تائبًا تلقيته من بعيد ومن ذهب منهم عاصيًا ناديته من قريب».

فيتلقى الله التائب من بعيد حتى لا تعطلك أي عقبات ويسهل له الطريق إليه، وينادي العاصي من قريب قبل أن يضل.

وأهل ذكري أهل فكري وأهل طاعتي أهل محبتي وأهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي، ومن تاب إلى منهم فأنا جبيبهم ومن لم يتب فإني طبيبهم الحسنة عندي بعشرة أمثالها وقد أزيد والسيئة عندي بواحدة وقد أعفو وأنا إليهم أرحم من الأم بأولادها.

فمن يجد هذه الرحمة ويقنط ﴿لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧] ومن جميل كرم الله ورحمته أن العبد إذا أخلص النية في توبته فيبدل الله سيئاته وذنوبه إلى حسنات.

فهذا عمر بن الخطاب يقول للصحابة ذات يوم أنا أكثركم حسنات قالوا لماذا فقال لهم لأني أكثركم ذنوبًا في الجاهلية فصدق النية في التوبة بمحو الذنوب لقلبها حسنات بإذن الله، وعندما يذنب العبد يشهد عليه عشرة، فيشهد عليه الزمان سواء ليلا أو نهار ويشهد عليه المكان ثم الجوارح (ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم) ثم الملكان ثم إذا رآه أحد آخر ثم الله ومن قبل من بعد والله خير الشاهدين.

ولكن عندما يتوب الله على العبد، ينسى الله الحفظة وينسى الأرض والزمان وينسى الشهود، فلا يبقى شاهدًا على ذنبه إلا الله رب العالمين وهو الرحمن.

قال أعرابي يا رسول الله من يحاسبنا يوم القيامة قال يحاسبنا رب العباد، فقال الأعرابي إن الكريم إذا قدر عفي، انظر هذا الأمل في رحمة الله.

وإذا نادى العبد الطائع ربه قال الله لبيك عبدي وإذا نادى العاصي تائبًا

وقال يا رب قال الله لبيك لبيك لبيك عبدي، لأن الله يفرح بتوبة عبده والملائكة أيضًا.

لذلك قال عمر عاشروا التوابين فإنهم أرق أفئدة، ويقال في قصص بني إسرائيل إن رجلاً أسرف على نفسه سنوات طويلة عشرين سنة ثم ذهب إلى أحد العلماء قائلاً له ما من أمر إلا عصيته وما من نهي إلا وارتكبته فهل لي من توبة فقال العالم أكبر اذهب وخذ عرجونا قديمًا من النخل أي مقطوع منذ فترة طويلة حتى جف واذهب واكنس به الطريق وأكثر من الاستغفار والتوبة والصدقات والصيام والتطوع، فإن اخضر العود فقد تاب الله عليك، ففعل الرجل وجاء بعد خمسة أشهر وقد اخضر العود فجاءه فذهب ليشكر العالم ويحمده فانحني العالم يقبله قال له خبرني كيف تبت كي أتعلم منك؟

فباب التوبة مفتوح وكان سيدنا أبو بكر يناجي الله سبحانه وتعالى ويقول يا رب ليس لك وزيرا فيأتي ولا حاجب غير شيء ومن الصغائر اللمم وهو ما يرجى عفوه، ولكن إذا استمرأها الإنسان تصير كبيرة، وهذا مما يعفو عنها الاستغفار وما بين الصلاة والصلاة والجمعة والجمعة ورمضان إلى رمضان.

أما الكبائر فقد جمعها العلماء ما بين سبعة إلى سبعين، وأول هذه الكبائر هي الشرك بالله وهو ينقسم إلى قسمين شرك أكبر وهذه كبيرة ولا غفران لها إلا الإسلام وتجديد الإيمان ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [النساء: ٤٨] وهناك الشرك الأصغر.... هذه الكبائر هي قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، ثم من الكبائر شرب الخمر وهي أم الكبائر ومن شرب الخمر لا يقبل عمله أربعين يومًا ومن الكبائر ارتكاب الفواحش وشهادة الزور وعقوق الوالدين والربا وهو يوجب حرب الله ورسوله.

معاصي القلوب ومعاصي الجوارح

أما التقسيم الثاني للمعاصي من حيث الجوارح، القلوب لها معاصي والجوارح لها معاصي، ومعاصي الجوارح أهون من معاصي القلوب.

فمن أمراض القلوب مثلاً الكبر، وهي أن يرى الإنسان نفسه غير الناس وينظر إليهم نظرة ازدراء.

ومن معاصي القلوب الرياء وهو الشرك الأصغر، كالذي يصلي أمام الناس رياء ويجب أن يحمد بما لا يفعل أو أن يفعل شيئًا لا يبتغي به وجه الله.

وأيضًا من أمراض القلوب العجب، أي عجب الإنسان بعمله، فيقول أنا أصلي وفلان لا يصلي، أنا لا أشرب الخمر وفلان يشربها، وقد قالوا لا تعدد الذنب على أخيك فيعافيه الله ثم يبتليك، والعجب يمحق العمل.

ومن هذه المعاصي الأمن من مكر الله، فالإنسان يقول إن الله غفور رحيم حتى اللص يسرق ويقول يا رب استر! أي دعاء هذا، فهذه بجاحة وتجرؤ على الله.

ومن هذه المعاصي والأمراض التي تصيب القلوب القنوط من رحمة الله والمؤمن لا يقنط أبدًا ولا ييأس.

ومن معاصي الجوارح، وأولها النظر إلى ما حرم، فهذا تعطيل لنعمة العين عما خلقت له، وكان من دعاء عمر ﷺ إني أعوذ بك من جار السوء الذي ترعاني أذناه وترعاني عيناه، إن رأى مني حسنة كتمها وإن رأى مني سيئة أذاعها، فلا تجعل العين كالذباب فهو لا يقف إلا على الجروح والقاذورات.

وهذا عمر بن عبد العزيز قسمت عنده عطور وبخور بيت المال فوضع يديه على أنفه فتعجب الناس، وقالوا ما هذا يا أمير المؤمنين قال وهل يستفاد منه إلا

برائحته، فهذا ليس من حقنا انظروا إلى الحسن.

وأيضًا الفم يعصى والفم فيه اللسان ومن أمراضه الريبة والنميمة والكذب وشهادة الزور والفحش في القول والبذاءة في شتم الناس والخوض في الأعراض.

واليد ومعاصيها السرقة والرشوة ويسمون الرشوة هدية وهذا غلول وكما قال النبي ﷺ يأتي زمان على أمتي يسمون الحرام بغير أسمائه، وهذا تعطيل لليد فوظيفتها في المسح على رؤوس اليتامى والتصدق ومصافحة المؤمنين، وصناعة الخير وكتابة الخير.

وللقدمين أيضا معاصي وهي الذهاب إلى مكان لا يرضي الله ولا رسوله ويعطل أقدامه من ان-يسير إلى أماكن الطاعة مثل المساجد وإعمار الكون.

وهناك معصية تصيب البدن كله ألا وهي عقوق الوالدين.

ولكن أيهما أولى في التوبة، التوبة من ترك المأمور أم التوبة من فعل المحظور، وهذه يوضحها ذنب آدم عليه السلام، فآدم ارتكب معصية ﴿لَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ [الأعراف: ١٩] فارتكب المنهي عنه، وإبليس أُمِر يعني فعل المحظور، فآدم عاد وتاب وإبليس لم يعد فتكسير الأمر وعصيان المأمور أشد جرمًا عند الله من فعل المحظور.

* * *

الباب الرابع
المرأة والأسرة

١- المرأة بين العبادات والمعاملات
٢- مودة ورحمة
٣- رفقا بالقوارير
٤- للزوج حقوق
٥- فلذات أكبادنا
٦- الضعيفان : المرأة واليتيم



هنا يباح الكذب

الكذب حرام شرعًا ولكنه مباح في ثلاثة أمور في الحرب وللإصلاح بين طرفين وكذب الزوج على زوجته أو العكس، ففي الحرب لأن الحرب خدعة ونعمي أخبارنا على العدو فالرسول ﷺ في عام الفتح عمي الأخبار عن قريش وخبأت المرأة كتابها في ضفيرة شعرها.

وفي الإصلاح بين الطرفين. قال أحد العلماء إن أعظم ما يسعد إبليس هو قطيعة المسلم مع أخيه وقطيعة الزوج مع زوجته.

وكذب الزوج على زوجته أو العكس كأن يوجد زوج ثقيل الظل يمل الواحد من الجلوس معه فتقول له زوجته جلستك لا يمل منها أو كذلك هو أن كانت على قدر محدود من الجمال أو الذكاء أو الخلق يقول لها من يوم أن واظبتي على السنن قد زاد ذكاؤك.

أما أن يقول الزوج لزوجته لا تذهبي إلى خالتك فتذهب وتقول أنا لم أذهب إليها ولكن ذهبت إلى السوق فهذا كذب حرام يعاقب عليه، فالكذب لا يكون إلا ليسهل أو يجمل بعض الصعوبات بين زوجين من أثر الطبع.

نحن العرب لا نجيد أدب الكلام ولا نجيد أدب الحوار حتى مع أطفالنا فيجب علينا أن نتوالى عندهم هذه الملكة أي الأخذ والعطاء في الكلام والرأي والرأي الأخر.

أسباب عصيان الزوجة زوجها

قد توجد أسباب لعصيان الزوجة زوجها منها أنه يسحب على المكشوف أي لا رصيد له عندها من المحبة والملاطفة. فلتعلم المرأة أن طاعتها لزوجها هي طاعة لله ورسوله.

فلو كانت المرأة تقول هذا الرجل خليفة الله في الأرض وأكرم خليفة الله في الأرض لأن الله كريم فإذا صبرت أوتيت كما أوتيت آسيا امرأة فرعون بني الله لها قصرًا بجواره قال النبي ﷺ في صحيح مسلم: «**ألا أنبئكم بأهل الجنة قالوا من يا رسول الله قال: النبي في الجنة، والصديق في الجنة، والشهيد في الجنة ونساؤكم في الجنة، الودود الولود التي إن غضبت من زوجها أو غضب منها زوجها دخلت حجرته وصافحته وقالت لا أذوق غمضًا حتى ترضى عني هي في الجنة هي في الجنة هي في الجنة**» فبيوتنا في الدنيا عبادة فالمرأة الجالسة تترقب أخطاء زوجها هذه امرأة غير ذكية فللمسلم نوران الكتاب والسنة فكلما اقتربنا منهما أضيئت قلوبنا وأضيئت بيوتنا وتنشرح صدورنا وتتنزل علينا الرحمة.

من هنا تبدأ حُسْن العشرة

تبدأ حسن المعاشرة من فهم كل طرف الآخر يقول الله تعالى ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ [النساء: ١٩] فلابد أن لا تكون المعاشرة إلا بالمعروف فإن كانت غير ذلك يتفرقًا لقوله تعالى ﴿**وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ**﴾ [النساء: ١٣٠] فعلم الأزواج والزوجات الحرص على أن لا يكونوا سببًا في دخول بعضهم البعض النار أي لا تكون الزوجة سبب في دخول زوجها النار ولا يكون الزوج سببًا في دخول زوجته النار والمعاشرة بالمعروف طاعة لله وللرسول وتركها مغضبة لله وللرسول وللزوج.

عقد النكاح يعطي للمرأة حق المقاسمة لا حق السيطرة ويعطي الرجل حق

القيادة أو حسن القيادة لا حسن الاستعباد فأنت قائد ومن صفات القائد الحكمة فعلي بن أبي طالب كان يعيش مع فاطمة بنت الرسول وأمه فاطمة بنت أسد وكان يقسم بينهم العمل يقول يا أم علي فاطمة تعمل في داخل البيت كذا وكذا وأنتِ تعملين في خارج البيت كذا وكذا، فما سمعنا بمشكله بين فاطمة وحماتها، لإحسان المعاشرة وسبب المشاكل التي نسمعها وكثرتها بسبب بعد أحد الطرفين أو كلاهما عن تقوى الله عز وجل ونعلم أن يد الله منفعة وإن الرفق ما دخل في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه.

وتستطيع بسهولة أن تعرف أن هذا البيت مسلم أم لا من الباب فإذا رأيت صوتًا عاليًا وضجيجًا علمت أن هذا البيت ليس مسلمًا وإذا رأيت أن البيت يمتاز بالرفق والهدوء اعلم أن هذا البيت قريب من الله.

المشاركة في العبادة رحمة

يقول النبي ﷺ: «**رحم الله رجلاً قام من الليل أيقظ امرأته فصَلّتْ فإن أَبَتْ نضح في وجهها الماء**» [رواه أحمد] فما بالك بالتي تأخذ رجل لا يصلى لأن أباها ما سمع حديث رسول الله ﷺ «**من جاءكم ترضون دينه وخلقه فزوجوه**» [رواه الترمذي].

فسعيد بن المثيب كان عنده تلميذ اسمه عبد الله بن أبي وداعة فغاب عبد الله بن أبي وداعة عن سعيد فافتقده أيامًا فلما جاء قال. أين كنت؟ قال. زوجتي ماتت، قال فبعد صلاة العشاء طرق بابنا طارق قلت. من؟ قال: سعيد، فخطر ببالي كل سعيد في العراق إلا سعيد بن المسيب وقال: ما أردت أن تبت الليلة عزبًا، هل لك في الزواج؟ وهؤلاء الشهود.

فالمعاشرة ليست لتصعيد الأخطاء وإنما بالود وكرم الرجل يحتوي المرأة، فالمرأة إذا سكت زوجها عن أخطائها هي لا تفهم أنه كريم وأنه يود إصلاحها

وهي تفهم أن هذا ضعف منه بالتالي تزيد المشكلات السيئة. ولابد أن يكون الإصلاح قائمًا على الود والمودة أي يبدأ أولاً بعمل رصيد كبير حتى تقوم جسور الثقة فإذا مدت جسور الثقة بدأت تنصت لما يقوله زوجها وهو أيضًا يبدأ في الإنصات لما تقوله هي، يقول الله تبارك وتعالى في زكريا ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ [الأنبياء: ٩٠] لم. للمسارعة في الخيرات.

جاء رجل يطلق زوجته عند عمر ﷺ قال عمر لم تريد طلاقها؟ قال أنا لا أحبها قال ألم تبن البيوت إلا على الحب! أين الرعاية وأين المعاشرة وأين التزمم؟. قال الله تعالى ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧].

للزوجة حقوق منها مداعبتها، ومنها أيضًا سماع الكلمة الطيبة من زوجها فالمرأة أو الزوجة لا تريد من زوجها سوى كلمة طيبة أي مفتاح يفتح قلبها، ولكن بعض الرجال يغم زوجته بالنقد وبالتكشيرة وبقلة المزاح يقول النبي ﷺ «خاطبوا الناس على قدر عقولهم فالمرأة لينة تريد اللين».

فعلى الزوج أن يختار الزوجة ذات الخلق لقوله ﷺ **«فاظفر بذات الدين تربت يداك»** [رواه البخاري] لأنه إذا أخذها لدينها أتم الله عزه وأراحه.

ومن حقوق الزوجة أيضًا أن يعلمها زوجها أمور دينها فهي تجيء من بيت أهلها بعادات عديدة مثل أن تقول لها أمها إذا وضعتي لا تصلي ولا تصومي إلا بعد الأربعين وكأنها قوانين، فتقول لها ولكن الفقهاء يقولون إذا طهرت بعد الولادة ولو بلحظة واحدة (وهذا قول الشافعية) اغتسلت وصلت تقول لا أمي قالت بعد الأربعين تقول لها قال أبو حنيفة تقول لا أمي قالت بعد الأربعين. فتقارن كلام أبى حنيفة والشافعي بقول أمها.

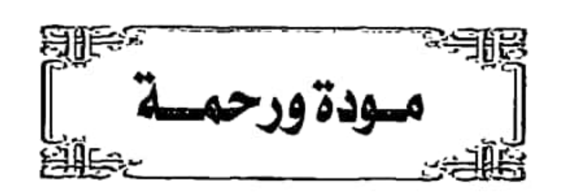
ولابد للرجل ألا يمنع زوجته من الذهاب إلى المسجد لقوله ﷺ **«لا تمنعوا إماء الله من مساجد الله»** [رواه البخاري] فيقول لها أجلسي وصلي في البيت

فيمنعها من أن تذهب إلى الجامع ولا يمنعها من أن تذهب إلى العمل. فلابد أن تخرج إلى الجامع لتتعلم أمور دينها؟ فكانت المساجد لا تخلو من النساء في عهد النبي ﷺ حتى إذا كثر العدد وصرن لا يسمعن الموعظة فرغ الرسول ﷺ لهن يوم الاثنين.

ومن الحقوق أيضًا الإنفاق عليها وراحتها وأن يغض بصره عن محارم الناس لأن هذا يجرح المرأة، والإنفاق وراحتها لقوله ﷺ «أن تكسوها كما كسوت وأن تطعمها كما طعمت» فينفق عليها طالما يسر الله عليه وقال بعض الفقهاء ولا يأكل طعامًا لذيذًا منفردًا، وأن يسكنها بجوار جيران صالحين فالفتى الذي كان سكيرًا للخمر وعندما يسكر يقول أضاعوني وهو جار لأبي حنيفة فأخذته الشرطة فاختفى صوته فلم يسمعه أبو حنيفة فسأل عنه فقالوا له أن الشرطة قد أخذته فذهب أبو حنفية للمخفر فقال لهم لقد أخذتم جاري، فقالوا أخرجوا هذا الشاب وكل من أخذ في هذه الليلة إكرامًا لأبي حنيفة فلما أفاق من الخمر كان أبو حنيفة يقول له هل أضعناك يا فتى فلما صلح شأن هذا الشاب وأراد أن يبيع بيته قال أبيعه بمائتين قالوا إنه لا يساوى إلا مائة قال مائة ثمن الدار مائة ثمن جوار أبي حنيفة.

من الحقوق أيضًا أن لا يصنع قبحًا فيها ولا في أهلها، وإذا غضب منها لا يهجرها في الفراش أي يعطيها ظهره ولكن لا يترك الغرفة وينام في الخارج ومن حقها أيضًا أن يعفها عن الحرام.

❊ ❊ ❊



مـودة ورحمـة

النساء شقائق الرجال

المرأة عندنا في الإسلام ليس لها قضية القضية الوحيدة عندنا النساء شقائق الرجال القضية قالتها زوجة محمد بن عوف الشيباني «النساء للرجال خلقن ولهن خلقت الرجال» ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨] ليست هناك قضية القضية عند الغير والقضية عندما ينبع الفكر من لا منهج أو من لا أساس.

مثال بعد عصر النهضة وبعد دخول الثورة الصناعية في أوربا. القضية تنبع من هنا كما قال الرسول ﷺ **«لتتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع حتى لو سلكوا حجر ضب لسلكتموه قلنا يا رسول الله اليهود والنصاري قال فمن»** [رواه البخاري] صيروا للمرأة قضية أن تتعلم مثل الرجل ثم وصلت إلى المدرسة الثانوية صارت لها مشكلة منعت من دخول الجامعة أصبحت قضية إدخال البنت إلى الجامعة بدأ الاختلاط صارت هناك مشكلة أن أصبح معها مؤهل فصارت الثورة تحتاج إلى أيدي عاملة وبدأت قضية عمل المرأة.

المرأة تعمل ليكون لها نصف أجر الرجل مع أنها تأخذ نفس عدد ساعات العمل صارت هناك مشكلة المساواة والعدل. وكيف تصل هذه المساواة بين الرجل والمرأة. ثم يبحث لها عن حل يعقد القضية أكثر انفرط هنا عقد البيت الأوروبي.

قضية المرأة حقيقة عندنا أننا في فترات كبيرة عاملنا المرأة في الإسلام بغير

كتاب الله والسنة. عاملناها بالعادات والتقاليد هنا ظلمنا المرأة ثم ظلمناها مرة أخرى إن أردنا منها أن تقلد أختها الغربية وهنا تكمن المشكلة. إذًا القضية يصيرها الناس أناس ليسوا على دراية لا بكتاب الله ولا بشريعة الله وكلام رسول الله. فعندنا في الإسلام ليست للمرأة قضية بل بالعكس المرأة هي الأم والبنت والزوجة والأخت والرحم التي تعلقت بجدار العرش وقالت يا رب هذا مقام عائذ بك من القطيعة قال يا رحم ألا يكفيك أن من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته.

البيوت تبنى على الحب

فكيف نبني بيتًا سعيدًا يوافق الكتاب والسنة؟ البيت السعيد لا يكون سعيدًا إلا إذا كان فيه تقوى الله من جميع الأطراف إن سلبت أو نزعت تقوى الله من أي أمر تصير حيوانات سائمة تبلع بعضها بعضًا وتخبط بعضها بعضًا ويجور بعضها على بعض، قال ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»** [رواه مسلم] إن الرجل يريد أن يأخذ كل حقوقه ثم يقف حقوق الآخرين ويقطب جبينه ويمد ربما يده إليك بالعطاء ربما بالإيذاء والضرب ثم يقول حقوقي أنا الرجل.

إذا هذا الإنسان لا يستطيع أن يأمل أن يزوره في بيته عمر بن الخطاب ويقول هذا من أحفادي أو أن يزوره أبو ذر ويقول هذا من أبنائي هنا تكمن المشكلة في التقابل الرجل لا يريد من زوجته إلا الابتسامة تبخل عليه بها ثم يبخل هو عليها بالكلمة الطيبة فكيف يبني البيت السعيد هكذا.

شريح القاضي يقول لصديق له منذ عشرين سنة ما صارعت زوجتي ولا عاتبتها ولا عاتبتني ولا آذتني ولا آذيتها فقال وكيف؟ قال لما تزوجتها فلما غادر الناس المكان مددت يدي لألمسها قالت: يا أبا أمية حنانيك حتى تعرفني قال لا

أعرفك. انظرني حتى أخطب خطبة حق المرأة المسلمة فبعد أن حمدت الله وأثنت عليه بما هو أهله وصلت على رسول الله قالت أما بعد يا أبا أمية أنا لا أعرفك وأنت لا تعرفني فخبرني بالله عليك ماذا تحب من الأمور حتى آتيه وماذا تكره حتى أتجنبه والسلام عليكم ورحمة الله. قال فاستدارت عندي الخطبة فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه قال إن رأيت مني عيبًا فاستريه وإن رأيت مني خيرًا فانشريه جزاك الله عني خيرًا فلما صليت بها زكعتين وجدتها تصلي خلفي ثم وضعت يدي على ناصيتها كما علمنا النبي ﷺ **«اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جَبَلْتَها عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جَبَلْتها عليه»** [رواه أبو داود في سننه].

مرَّ عام فجئت فرأيت امرأة في البيت قلت من هذه؟ قالت زوجتي هذه (حماتك) قلت أهلاً وسهلاً ومرحبًا قالت: يا أبا أمية كيف حال ابنتنا معك؟ قال والله بخير حال تتقي الله في وتطيع الله في وتتحمل مني الكثير الذي لا يتحمله غيرها قالت: يا أبا أمية خلقت النساء للرجال هذب ما شئت وعلم ما شئت قال جزاكِ الله عنها خيرًا. فصار منذ عشرين عامًا لم أعاتبها ولم تعاتبني ولم أغضبها ولم تغضبني.

نحن نحتاج إلى الشرائح المهذبة هذه ربما يكون حول بيت شريح كانت عوامل البناء كثيرة وحول بعض أو كثير من بيوتنا عوامل هدم كثيرة وأكثر ما يهدم البيوت تدخل الأسرتان في حياة هذا البيت الناشئ الجديد.

ولذلك نهيب كل الأمهات والآباء عند زواج الأبناء أغلقوا الباب عليهما واتركوهما في حال سبيلهما وتذهب لزيارتها ونطل عليها إذا أرادوا منا مشورة أو نصيحة فمرحبًا. أهلاً وسهلاً.

إن كان غير ذلك فالمسألة تنتهي قال ابن عباس: «أعرف ذنوبي في سوء خلق دابتي وسوء خلق زوجتي» فعند تقوى الله كما قال الله عن زكريا

﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] هي نفس القضية يجب أن نتقي الله رب العالمين. إذا هذا هو المعيار الذي يكمن في هذه الآية الكريمة.

فالبداية هي تقوى الله قال عمر بن عبد العزيز: «وإن كان في السورة المشابهة لوليه على مصر أصلح لهم دينهم تنصلح لهم دنياهم» وأنت أيها الزوج وأنت أيتها الزوجة أصلحي ما بينك وبين الله في دين الله ينصلح البيت.

مَنْ المسئول عن ضياع البيوت...؟

- على من تقع اللائمة في ضياع البيت المسلم على الرجل أم المرأة؟ إنها تقع أولاً على أننا ما ربينا أبنائنا ولا بناتنا على كيفية التعامل مع الآخر.

مثال: جاء إلى القاهرة منذ خمسة عشر عامًا معهد لقياس الرأي من فرنسا له سؤال واحد يقيس المجتمعات الأوربية والعربية والشرق آسيوية والإفريقية. كم تفهم الزوجة زوجها وكم يفهم الزوجة زوجته؟ فعرضت النتيجة فوجدوا أن أكثر النساء فهمًا لزوجها المرأة اليابانية تصل نسبتها إلى سبعة وثمانين بالمئة وزوجها يفهمها بنسبة ثمانين في المائة والرجل الأوروبي كذلك نسبة مختلفة ثلاثة وستين بالمئة إلى سبعين بالمئة جاءوا إلى المجتمع العربي.

وجدوا أن المرأة العربية تفهم زوجها بنسبة تسعة وتسعين بالمئة تفهمه تمامًا وأن زوجها يفهمها بناقص ثلاثة إذا هو لم يدرك أن أمامه كائن بشري لأن طبيعة الولد والبنت والذكورة والأنوثة مازالت تعشش في أذهان البيئة العربية.

فالخطأ أننا ما ربينا الولد كيف يحترم أخته ليحترم في المستقبل زوجته وما ربينا البنت كيف تتعامل مع أخيها حتى تتعامل مع زوجها. فالمصيبة أننا فقدنا مسألة تربية الصغار كيف نتعامل نحن ربيناهم على حب التعليم وعلى حب الرياضة وعلى حب المسلسل لكن ما ربيناهم كيف يتعاملوا.

لم تجلس أم مع ابنتها تقول لها يا ابنتي هذا زوجك جنتك ونارك كما فعلت الأم القديمة بابنتها. ولم يقل أب لابنه يا بنى لا تقع فيما وقعت فيه إن فرّق بين حقوق الأهل وحقوق الزوجة فرق بين حقوق الآباء والأمهات وحق الزوجة.

- البيت السعيد هو الذي تعين الزوجة فيه زوجها على صلة رحمه فإذا كان بارًا بأبيه وأمه ثق تمامًا أنه سيكون حنونًا على زوجته وهو كذلك يعينها على صلة رحمها فعلى الزوجات أن ينافقن أزواجهن في أهلهن نافقهن في صلة الرحم فقط فلا يؤخذ اللفظ على العموم بأن تقول للزوج لماذا لم تتصل بأمك أو بأبيك منذ ثلاثة أيام يجب عليك أن تطمئن عليهما تصير عنده رصيد لها.

أم المؤمنين عائشة لما صار لها رصيد عند رسول الله ﷺ فلما تزوج بأم سلمة قالت بلغني أنها جميلة فحاولت حتى رأيتها فوجدتها أجمل مما قيل فغرت فجلست حزينة فدخلت على حفصة قالت لا تهتمي إنها كبيرة في السن فهدأت نفسي فكان رسول الله يقول غارت أمكم غارت أمكم.

- أما السيدة فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ انظر إلى غيرة عليٍّ المحمودة عليها أنه يصنع رصيد عندها بكلامه لما رآها تستاك بعود الآراك قال قولته المعروفة «أتغيب يا عود الآراك بثغرنا ما غبت يا عود الآراك أراك لو كنت أهلاً للقتال قتلتك. ما فاز مني سواكَ سواك» عندما ترى امرأة من زوجها هذا الحد وهذه الغيرة المحمودة هذا الرصيد لكن الآن كلاهما يسحب من اللارصيد هذا أمر.

هيا نستعملْ هذا الكيس...!!!

الأمر الثاني: فهناك طرف يحمل للطرف الآخر كيسين كيس مثقوب وكيس غير مثقوب الكيس المثقوب يضع الطرف الأول للثاني كل حسناته فيه في الكيس المثقوب وتضع سيئاته في كيس غير مثقوب بعد عشرين سنة زواج ما

رأيت منه خير. لأنها ما رأت بالضبط كقضية الصبر على البلاء لماذا لا نصبر. عندك ألف نعمة وجائت بليَّة واحدة فتحتقر أو تستصغر البلية هذه بجانب كل هذه النعم هي أيضًا نفس قضية المعاملة نفس القضية إذا وضعت أنت حسناتك في الكيس غير المثقوب صرت أنت مليارديير حسنات. وأنا صرت مليونير حسنات عندك تكن المصيبة إن انعكس القضية تأتي بعد سنوات هو رصيد بالفعل.

نار كَشْف الأسرار...

أمر ثالث: إخراج أسرار البيوت من البداية وهذه سماها رب العباد خيانة.

خيانة امرأة نوح وامرأة لوط ﴿**كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلاَ النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ**﴾ [التحريم: ١٠]

ما هي الخيانة ما الذي أعلم قوم لوط أن عنده ملائكة ضيوف؟

يقول الصالحون كن مع زوجتك قبرًا لأسرارها، وكوني مع زوجك قبرًا لأسراره.. ما دخل القبر لا يعود إلى يوم القيامة.

قالت أمامة بنت الحارث زوجة عوف الشيباني: تفقدي لوقت منامه وطعامه فإن تواتر الجوع ملهية وتنغيص النوم مغضبة. والتفقد لمواقع عينه وأنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك إلا أطيب ريح.

لماذا لا ترتدي المرأة أفضل ما عندها عند الخروج الواجب أن تلبسه في البيت لا عند الخروج عند الخروج تتحجب وتلتزم وتتقي الله رب العالمين ويقول الرسول ﷺ «**يقول إن لنفسك عليك حقًا ولربك عليك حقًا ولأهلك عليك حقًا فأعط كل ذي حقٍ حقه**» [رواه البخاري] داوم على الابتسامة حتى وإن كانت متعبة» هذه الابتسامة تفتح القلوب وتفتح الخير.

نِعْم الرجل ... يكون كالطفل في بيته ...

- هل الإعلام له دخل كبير في مسألة سوء العلاقة بين الزوجين؟ إن ساءت العلاقة بين الزوجين فهذا معناه أن الزوجة ما تربت في بيت أبيها وإما أن الزوج لم يحتويها بعقله وإما أن أحد الطرفين ليس على صلة بالله.

يدخل الزوج إلى بيته ويشم مثلاً رائحة الطعام وأولاده في غير منظر حسن فيتضايق ويعلو صوته أنا متعجب أعمل من أجلكم لا يصح هذا فالزوج الرءوم الرحيم الرفيق المتأسي برسول الله ﷺ أول مرة يستبعد المسألة يبتسم ويقول جزاكِ الله خيرًا بارك الله فيك.

لا تتخيل ماذا تصنع هذه الكلمات في الزوجة كان الرسول عليه الصلاة والسلام يصنع مثل هذا كان يقطع معهن اللحم ويقوم بالبيت يكنسه وكان يخصف نعله ويرقع ثوبه وكان يقوم من على الطعام ويأتي بالملح وتقول عائشة أخدمك يا رسول الله يقول ألا أخدمكِ أنا مرة.

ولما كتبوا عن سيرته العطرة ﷺ كان في مهنة أهله وفي رواية كان في خدمة أهله. هذه لا تنتقص العربي ويفعل هذا لو أراد الرجل أن يتودد ويصنع هذا كله ابتغاء مرضات الله فالزواج عبادة وذلك لأن الزواج عند الفقهاء قد يكون واجبًا وقد يكون مستحبًا وقد يكون مباحًا وقد يكون مكروها وقد يكون حراما في الفقه متى يتيقن أنه إذا تزوج سوف يظلم الطرف الآخر لا يتزوج عصبي زيادة عن اللزوم.

«إني سبق وأنت حنق فمتى نتفق» بمعنى أنت سريع الخطأ وأنا سريع الغضب فمتي نتفق.

آداب الخِطْبة...

- بالنسبة للخطبة كيف تتم الخطبة وفق الشرع الإلهي وما هي آداب الخطبة؟

لم أرى بيتًا مسلمًا توافق مع الشرع في آداب الخطبة، الخطبة في الشرع الحنيفة «أسروا الخطبة وأعلنوا النكاح» الرسول يأمرنا أن تكون الخطبة سرًا لماذا؟

نصح وأوصى بالأسرار لأن الخطبة فترة اختبار فترة تعارف أسرة تتعارف على أسرة إنسان يعرف إنسان وإذا حدث خلاف على أمورها ففسخت الخطبة الألم النفسي الذي يحدث للفتاة كثير نحن مجتمع عربي له تقاليده، لأن الخاطب الثاني أول سؤال يسأله ما سبب فشل الخطبة الأولى. لابد أن يضع أنفه في هذا الموضوع.

وذلك لأنه ما تربى على دين، أحد الصحابة لما أراد أن يطلق زوجته، قيل له لما طلقتها قال أنا لا أخرج من بيتي خارجة فلما طلقت منه وانقضت العدة وتزوجت آخر فجاء جيرانه ها قد تزوجت بآخر لم طلقتها قال: كيف لي أن أتحدث عن زوجة غيري.

فإذن أسرار الخطبة لماذا لأن الأمور تسير بالكتمان أفضل والحق الوحيد في الخطبة في الإسلام لا خطبة على خطبة أخيه. كان سيدنا عمر يقول «اللهم إني أعوذ بك من جار السوء الذي ترعاني عيناه وتسمعني أذناه وإذا رأى مني سيئة أذاعها وإن رأى مني حسنة كتمها» وحتى أنه كان يستعيذ فيقول اللهم إني أعوذ بك من جار السوء وأعوذ بك من امرأة شيبتي قبل المشيب ثاني شيء خاطئ في الخطبة يتكرر زيارة الخاطب وكأنه أنتقل من بيت أبيه ليجلس في بيت عروسه.

يقول أحدهم هو يكتشفها والله لو عاش خاطب عشر سنوات ما اكتشفها

وبصر عيوبها إلا بعد أن يجتمعا تحت سقف واحد.

يقول الرسول ﷺ «**قال ارجع فانظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما**» [رواه الترمذي] وإذا هاتفها يقول كلامًا لو فتحنا سماعة الهاتف تسمع كلامًا لا حرج فيما يقال لأنه أجنبي عنها لا يرى شعرها ولا يصافحها ولا يلمسها ولا ينفرد بها لا يخرج معها هذه أصناف البيوت التي تبني على كتاب الله وسنة رسول الله.

نريد أن نبني بيوتنا على شرع محمد وتبنى على كلام الصحابة. يجب أن تفيق الأمة وأن تستبدل أخلاق العادات والكذب والأعراف وما تعودوا عليه إلى ما في كتاب الله وسنة رسوله. إلا غير هذا تكون الحصيلة ستة وثلاثين بالمئة في بلد عربي مسلم حالة الطلاق وفي بلد عربي آخر حالة الطلاق كل ست دقائق.

وفي بلد آخر وجدوا أن نصف حالات الزواج تم فيها الطلاق «إن أبغض الحلال عند الله الطلاق» ليست هذه القضية، القضية أن البيوت قوضت من الداخل صار فيها فكر السيطرة والكبر والأعراف والعادات ولم تبنَ على دين الله. فالزواج كما عرفنا هو عبادة.

الأمر الثالث في آداب الخطبة عدم الإطالة في الخطبة. إن إطالة الخطبة تظهر العيوب ولا تظهر المحاسن- فأنا صيرت قلبي مع الله عز وجل ابتغي وجه الله في هذا الزواج أصلح الله هذه الزوجة.

من آداب الزفاف

* آداب الزفاف: يحزننا كثيرًا أن نجد الأمة شاردة عن الكتاب والسنة.

لم يبقَ لنا في الدين إلا الصلاة والزواج على الشريعة الإسلامية، ماذا تبقى لنا غير ذلك؟!

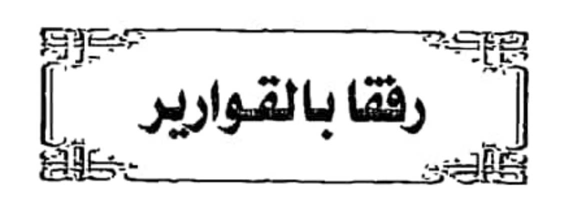
أولاً:- الزواج من منا يقبض مهر ابنته من العريس أو من والده ثم مباشرة يأخذه ويناوله ويضعه في يد ابنته. خذي يا ابنتي هذا حقك هذا الأصل لا يحدث.

الأمر الثاني:- أن الزوجة لها أن تشترط ما تشاء في عقد الزواج طالما ليس شرطًا يغضب الله ورسوله.

إذا قست الرأي العام من مدى حس الرجال والنساء في المجتمع الإسلامي في الدين تجد النساء أقرب من الرجال في ذلك. لأن المرأة عندما تنضبط- تنضبط الأسرة كلها.

الأمر الثالث:- هناك الأولية لإظهار الفرح نعملها في النوادي نعملها في بيوتنا طالما بيوتنا ضيقة ضاقت علينا البيوت بما رحبت ولكن نفصل الرجال في مكان والنساء في مكان تخدم النساء بنات ويخدم الرجال رجال وإذا كانت العروس بين أخوات لا يراها أحد مطلقًا فتلبس ما تشاء.

* * *



رفقا بالقوارير

وصف رقيق...

الإسلام دين حب ومودة وفرح ولذا فهو يدعو إلى الابتسامة ويعطي المبتسم أجر الصدقة وكان النبي ﷺ يبتسم لأمرين من أمور الدين وكان يقول «**تبسمك في وجه أخيك صدقة**» [رواه الترمذي] فالابتسامة عنوان البيت وعمود البيت الزوجة والأم أو الأخت والبنت وقد أمرنا الدين أن نعاملهم بلطف ونبتعد عن الخشونة والقسوة معهم ويقول ﷺ (رفقا بالقوارير) فلماذا قوارير ولماذا رفقا يقول تعالى ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾ [الروم: ٢١].

وهذه المودة والرحمة أمر بها الله أن يتحلى بها الزوجان ذكر أو أنثى ومعنى القوارير هي مفرد القارورة وهي أفضل الأكواب وأعظم الكؤوس ونجد أن الرسول جاء ليصلح المجتمع ولأن المرأة هي أساس المجتمع وكانت تعامل بشكل سيء سواء في عهد الرومان أو في عهد العرب أو غير ذلك ولذا جاء النبي ليصلح المجتمع ولا يصلح إلا بإكرام المرأة زوجة وبنتا وأختا وخالة وعمة وقد عنى الرسول بهذا الأمر اعتناء كثيرا فقد كان يأتي الرجل إلى الرسول فيقول له ألك زوجة قال نعم قال برها يغفر الله لك الذنوب.

فهذا أمر مهم في بر الأم حتى يصل البر إلى بر صديقاتهما وعندما كان يتحدث مع عائشة يقول هذه أخت خديجة وكانت تصل لأن يفرش عباءته لها، وقديما كان ينظر إلى المرأة بشكل آخر فكانوا ينظرون إلى أن هل المرأة يجوز لها أن تعبد الرب كما يعبد الرجال وكانوا ينظرون إليها أنها من تأتي بالولد وهذا في

رأي القساوسة فلا يعرف النعمة من لا يعرف غيرها ولا يعرف الإسلام إلا من عرف الجاهلية.

وفي الهند كانوا يقولون أن الأفاعي والإبل خير من المرأة وقد وجد العرب أن المرأة تورث كالمتاع بعد موت زوجها وكانت المرأة تباع في عام ١٧٦٢م في القرن ١٨ في إنجلترا بـ ١٦ درهم أما الآن فيطالبون بأن تكون للمرأة حقوق حتى أن الزوجة تسمى باسم زوجها وقد جاء الإسلام ليضع حدودًا أو حقوقا وواجبات لكل من المرأة والرجل على السواء وجاءت رسالة الرسل ليكملوا هذا الدين وعلاقة المخلوق بالخالق وعلاقة المخلوق بالمخلوق مثله.

النساء الصغرى والكبرى

وقد اهتم القرآن الكريم بالقضية وأنزل الله سورتين: النساء الصغرى (سورة الطلاق)، النساء الكبرى (سورة النساء). فهاتان السورتان تتحدثان عن حقوق المرأة في المجتمع وقد تحدث القرآن عن المرأة الغير مسلمة وأيد الله كلام المرأة ومكانتها.

وكذلك امرأة فرعون ذكرت مرتين في القرآن يقول ابن تيمية أنها عندما قالت ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١] فقال في كلمة أي بجوارك فهي تختار الجار قبل الدار.

وقد تحدث القرآن عن مساواة الرجل والمرأة فالله تعالى عندما يقول ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ...﴾ [الروم: ٢١] فهذا القول الجميل يتحدث كأنها روح هبطت من كوكب آخر فلتراعي أنك تتحدث عن أم- أخت- زوجة- عمة وثانيًا إن الله يذكر المرأة مع الرجل ﴿الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى﴾ [غافر: ٤٠]

فلم يفرق الله في الأجر أو العمل بين رجل وامرأة ويقول الله ﴿جَعَلُوا

أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ...﴾ [نوح: ٧] فتحدث عن قوم نوح فهل هذه حقيقة أنهم وضعوا أصابعهم ولكنه مجاز مرسل.

وقضية تعامل الرجال مع النساء هو صدق التعامل مع الله. المنطق أصلح ما بينك وبين ربك يصلح الله ما بينك وبين العباد ويقول الله عن زوجة زكريا عليه السلام ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ [الأنبياء: ٩٠]

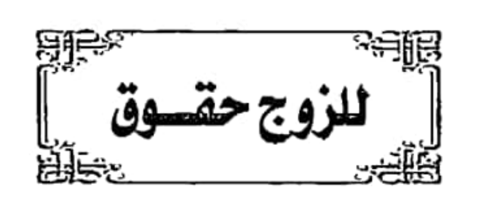
فالبيوت تبني على أمرين الصبر ثم الصبر فلو حدث وأن اشتكى رجل من امرأته فأنت تستطيع أن تحتج له ولكنه إذا ما تعاتبوا بعد ساعة أو اثنين فيعود الصفاء وتبدأ الحياة من جديد.

فنجد آلاف الناس لا يعبدون الله حق العبادة فلا يقول أنتم لستم عبيدي فالله هو الصبور الذي لا يعجل على الناس العقوبة فكذلك الحياة الزوجية نحن نؤسس ونبني قواعد وأنا أتحمل منه وهو يتحمل مني فهذا هو إحسان المعاملة فقد قيل آنفًا إذا أحسنا إلى الله أحسن إلينا وإذا تعاملنا بالعدل عوملنا بالفضل فإذا لم تتعامل بالفضل ولا بالعدل فماذا بقي، بقي ا لشيطان وهذا إن دل على شيء دل على اهتمام القرآن بالمرأة وقد ذكرت كلمة زوجة في القرآن في أوله وآخره ويطلق على زوجة زوج فقد قال تعالى ﴿احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [هود: ٤٠] ويقول أيضًا ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]

وعندما ضرب الله المثل بالمرأة الصالحة والمرأة الكافرة فنجد أنه زاوج غير متماسك لأنه زوج صالح وزوجة غير صالحة فهو زواج غير متكافئ والقرآن لا يكذب أبدًا فأوله يصدقه آخره وآخره يصدقه أوله وكذلك سيدنا زكريا عندما قال ﴿رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً﴾ [آل عمران: ٤١] ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٠] كذلك ﴿ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا﴾ [آل عمران: ٤١] والدعاء واحد مع زكريا ومريم.

فنجد أن اهتمام القرآن بالمرأة لأنها الأم القدوة التي تربي وهي التي تعايش الأبناء وفي ظاهر الحياة إذا صلحت الأم صلح الأبناء فالإسلام كالماء لا يلونه الوفاء ولا تعطيه طعمًا ولا رائحة وهو صافي بالكتاب والسنة ونجد أن الإسلام كبستان كبير الصحابة رضوان الله عليهم زرعوا هذا البستان وأنت يا مسلم شجرة في هذا البستان.

* * *



اعرفي زوجك ومفتاح شخصيته

كفل الإسلام حقوقًا للزوج كما كفل حقوقا للزوجة. ولكي نعلم حقوق الزوج يجب أن تعرف ما هي العوامل التي تؤثر في شخصية الزوج. فيجب على المرأة أن تعرف بيئة الزوج (أي من أين جاء الزوج). ولنا في رسول الله أسوة حسنة. فالبيئة التي جاء منها رسول الله والاسم الذي سمي به.

فرسول الله سمي محمدًا ولم يسمَ به أحد من قبله إلا ثلاثة فلم يكن العرب يسمون به أبناءهم وأبوه عبد الله ولم يكن عبد اللات ولا عبد العزي ولا عبد مناف وأمه آمنة بنت وهب ابتهجوا بهذا المولود للبشرية وأمتها ثم التي تلقته على يديها هي الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف كأنما على يديها تلقت الشفاء لهذه البشرية السعيدة. هكذا جاء متأثرا بالبيئة التي نشأ فيها ثم رباه ربه «أدبه فأحسن تأديبه». هذا بالنسبة لنشأة الزوج.

والزوج أيضا يأتي بملكات. وإن كان رسول الله ﷺ في أعلاها فنحن كل واحد منا جاء من بيئة معينة منا من جاء من بيئة صحراوية ومن جاء من بيئة زراعية أو مدنية. وهذه كلها تؤثر على تكوين الإنسان. والكارثة التي تحدث في البيوت أن كثيرا من إخواننا وبناتنا المتزوجات في البيوت لا تدرك أن لهذا الإنسان كيان خاص جاء منه كما أن لها كيانها الخاص التي جاءت منه (طبيعة البيت والأب والأم).

ثم التأثير الديني للأسرة التي نشأ فيها الزوج فهل كان يرى أباه ذاهبا إلى

بيت الله ليصلي الصلوات الخمس هل رأى أمه ممسكة بكتاب تقرأ فيه هل رأى صيامًا في البيت الاثنين والخميس هل رأى قيام ليل. وغير ذلك من المؤثرات.

فعندما أتحدث عن إنسان فأقول من أين جاء فلابد أن أرى الأرض التي يقف عليها وهنا أنصح بناتي وأخواتي من الزوجات الكبيرات في السن والصغيرات أن تدرك البيئة والأرض التي يحرص عليها الزوج عندئذ لا أجرحه في أحاسيسه ولا في مشاعره فالنفوس جبلت على حب من أحسن إليها وكراهية من أساء. وقال عمر ﷺ «اللهم لا تجعل لفاجر على نعمة حتى لا أحبه» فلو أدركت المرأة هذا منذ البداية نجحنا في البداية.

وعلى الزوجة أن تدرك أن هناك ملكات في الرجل لا تتغير وهناك ملكات قابلة للتغيير وهناك ملكات هو من حسن خلقه أنه يتقدم نحو الزوجة لتصلح بالنصيحة الخالصة.

والمرأة الذكية هي التي تعرف مفتاح شخصية زوجها. فتعرف إذا كان عاطفيا أو عقلانيا ثم تتعامل معه بما يحبه هو كما أن الزوج كذلك يجب أن يكون؟ والمرأة تنظر لزوجها نظرة إجلال وإكبار كما قالت المرأة «كوني له أمة يكن لك عبدا».

ولكي لا تحدث الفرقة والشقاق يجب أن يستمسك ويعتصم الإنسان سواء الزوج أو الزوجة بحبل الله عز وجل. سأل شخص الحسن البصري «كم أنا عند الله يا بصري.

قال «سل الله عندك». نعم إذا أردت أن تعرف عند الله مقامك فانظر فيما أقامك فإن أقامني في طاعة فأنا عند الله عزيز وإن أقامني في معصية فأنا لا

أساوي عند الله شيئًا لأنه خلى عني حمايته. ولا تفرح بالطاعة من أجل أنها طاعة ولكن تفرح بالطاعة لأن الله جعلك أهلا لها. فهذا من كرم الله لأنه حبب إليك الطاعة.

السعادة في الرضا والقرب من الله

والسعادة أن ترضى بما قسم الله لك أي أن الله كتب ما سيكون وما هو كائن وما كان فكتب من ستتزوج ولكن ترك لك الأسباب من استخارة واستشارة ولكن في النهاية سيحدث مراد الله.

عندما رضي السابقون بما قال الله استراحت نفوسهم لما تململ المتخلفون عما أريد بهم انتهت القضية بعيدا. «يا داود أنت تريد وأنا أريد فإن رضيت بما أريد أعطيتك ما تريد وإن لم ترض بما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد فإني فعال لما أريد» فالسعادة أن يختار الزوج زوجته لصلاحها وتختار الزوجة زوجها ليكون سببًا لدخولها الجنة.

الحياة الزوجية كزجاجة بها بعض الرمال وماء مترسبة وهذه الزجاجة ساكنة فإذا تحركت تعكر صفو الماء ويحدث الخلل. ويحدث الخلل بالبعد عن الله عز وجل والبعد عن كلام الله. فالمشكلة في البيت ليس لسوء فهم الزوجة أو لقصر عقل الزوج لا فكلاهما ذكي ولكن ذكاء كليهما مرتبط بتقواه لله عز وجل.

«**المؤمن كيس حذر**» [رواه البخاري] فأذكى إنسان فأذكر أنساء في الدنيا هو المؤمن لأن الله هداه للتوحيد.

والسبب الرئيسي في حدوث المشكلات الزوجية هو البعد عن الله عز وجل

فإذا قوى الحب في الله في قلب أحدهما أو قلبهما معا تغاضى عن كثير من الأخطاء ونظر كل منهم في نفسه قبل أن ينظر في الآخر وفي عيوبه. وبحب الله وتقواه تزيد المودة والرحمة وتنتشر في البيت وبين الزوجين ويكون أحدهما مرآة الآخرة ويزيد حب الله بكثرة النوافل. «**مازال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه...**» [رواه البخاري] إذا رضي الله عن عبد ينزل ويقول يا جبريل أحب فلانًا فأحبه فيحبه جبريل ويأمر الملائكة بحبه ويوضع له من علامات القبول في الأرض».

وكثيرا ما نربي بناتنا على أن من علامات الحب أي حب الزوج لزوجته مرتبط بعطائه المادي وهذا خطأ كبير فليس بكثرة الإنفاق يقاس الحب والمودة والرحمة فالذهب لا يأتي بالحب ولكن الحب يأتي بالذهب فمن ثمرات الحب أن يذهب غل القلوب «**تهادوا تحابوا...**» [رواه الترمذي].

إذا فالسبب الرئيسي في سوء العلاقة بين الأزواج هي سوء العلاقة بين العبد وربه. وثانيا: سوء فهم الزوجة لملكات الزوج وطبيعته. قالت الأعرابية لابنتها «لا تغتمي عنده لو كان فرحا ولا تفرحي إن كان مغتما» ولا نضغط عليه في إفشاء أسرار عمله أو أسراره الشخصية فما أراد الإفصاح به عن طيب خاطر وإلا فلا. ثالثا: نسيان الابتسامة بين الزوج وزوجته. فيجب أن يكون الإنسان بشوشًا ولا تعترف بما يقال إن الضحك من غير سبب قلة أدب ولكن ابتسامة منك في وجه أخيك صدقة.

نريد إعادة تقعيد ديننا الحنيف في قلوب الناس من واقع الكتاب والسنة وحياة السلف الصالح فقد صاغوا لنا حياة هادئة فإن لم نفعل فعلهم لن تعرف السعادة طريقها إلى بيوتنا ولن تهنأ بيوتنا لا بمال ولا بعلم. يجب أن نكون نسخًا

إسلامية تسير على قدمين.

يجب أن نرأب الصدع الذي يحدث في البيوت. بتربية بناتنا على أن الشاب الصالح هو الذي يرعاكِ. فمن يتقي الله إذا أحبك أكرمك وإذا أبغضك فلن يظلمك. فلن يصلح حال آخر الأمة إلا بما صلح به أولها «الكتاب والسنة».

حُسْن الخلق هو فن التعامل

وفن التعامل مع الزوج لا يحتاج إلى علم ديني أو علم شرعي وإنما يحتاج إلى أخلاق وهذا ما نجح فيه آباؤنا وأمهاتنا فقد أجادوا لغة الأخلاق ولكل دين خلق فكان هناك حياء بين الزوجين فلا يقبح الزوج زوجته أمام أحد ولا حتى أولاده ولا هي تقلل من شأن زوجها. وهذا ما افتقدناه وأصبحنا ننادي بالمساواة وعدم التخلف والرجعية. وعدم الرجوع إلى عهد السيد والأمة. وهذا بعيد جدًا عن الإسلام فالاحترام بين الزوجين لم يكن رجعية ولا تخلف ولا عبودية ولكن مودة ورحمة.

ولم يتغير الوقت ولا الزمن بل نحن الذين تغيرنا. ﴿**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ.....**﴾ [التوبة: ٣٦].

فالزمن هو الزمن وكتاب ربنا ما زاد وما نقص فقد. حفظه رب العباد إلى يوم القيامة والرسول كأنه يعيش بيننا بشرعه وبكلامه وحياته موجودة مصورة أمامنا فهذا كله باق ولكن المشكلة في عدم تطبيقنا لمنهج ولا يمكن أن يكون التقدم والتكنولوجيا لها أثر في الوقت. فالبخاري جمع أحاديثه السبعة آلاف والمائتان والخمسة والثلاثون حديثا في تسع سنين ولم يكن عنده كمبيوتر فتخيل لو كان عنده ذلك.

وطارق بن زياد الذي عبر إلى الأندلس لو كان تحت يديه طائرة حربية ماذا تتوقع أنه كان فاعلا. العيب عيبنا فقد استخدمنا التقدم في عصيان ربنا وليس في طاعته ولو استخدمناها في طاعته لبارك الله لنا في كل شيء وفي وقتنا وجهدنا فالوقت جند من جنود الله.

احترام عشيرة الزوج

واحترام الزوجة لأهل زوجها له عظيم الأثر في بناء البيت المسلم فالزوجة التي تحب أن يبر زوجها أهله وتجد أن ذلك من كبير حسناته فهذه زوجة صالحة أما الزوجة التي تريد أن يتزوجها زوجها ويطلق أهله فهذه زوجة متمردة. وإن عق الزوج أهله فلن تكوني أنت أقرب إليه من أهله. هذا أمر. والأمر الثاني: إن المسلم أخو المسلم.

فالمسلم الاندونيسي أخو المغربي والأمريكي أخو الإفريقي فالناس بطون تتشابه دماؤهم. لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى والجنسيات هذه تقسيمات قسمها البشر. قال الإمام الغزالي رحمه الله «أنا مصري عربني الإسلام» كان يقال لسلمان الفارسي ابن من أنت فيقول أنا ابن الإسلام. وقال الرسول ﷺ «سلمان منا أهل البيت».

والغيرة عند النساء أمر طبيعي. فيمكن أن تغار الأم على ابنها من زوجته والعكس يمكن للزوجة أن تغار من أهل زوجها. ولكن الزوجة العاقلة المسلمة من لا تدع للشيطان طريقا إلى العلاقة بينها وبين زوجها ولا بينها وبين أهله. فعلى الزوجة أن تحسم الأمر من بدايته فمعظم النار من مستصغر الشرر.

ولا تدعي الأمر يتعاظم فإذا وجدت كلاما أو غير ذلك فخذى ما يفيدك منه واتركي ما لا يفيد فهذا عمر بن عبد العزيز كان في المسجد فداس على قدم

رجل فقال الرجل: أأنت أعمى، فقال له: لا، فغضب الناس من ذلك فقال لهم عمر سألني فأجبته.

فالزوجة المسلمة تتعامل بما يمليه عليها الإسلام وما يرضى ربها منها. فتغرس الطمأنينة في قلب زوجها. بتعاملها مع أهله بالحسنى كما تتعامل مع أهلها بالحسنى أيضًا ولا تأخذ كلامه بما لا يعنيه فلا تحمل الكلام على محمل معين وتكون كالمصفاة إذا سمعت كلاما أخذت الطيب منه وتركت الخبيث. ولا تترك لأهلها مجالا للدخول في خصوصياتها مع زوجها فإذا أمرها زوجها أمرًا أو أمرتها والدتها أمرا فأمر الزوج أولى مع احتفاظها بالتزامها لأمها وبالعاطفة تجاهها.

تعدد الزوجات

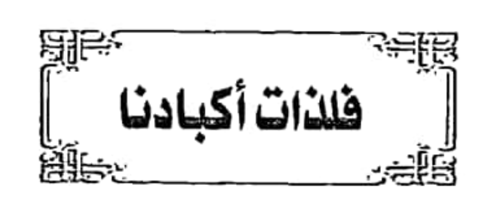
أما بالنسبة لتعدد الزوجات. فهل هذا من حق الزوج أم لا. يجب الرجوع في هذا الأمر للبيئة التي فيها ولد ونشأ هذا الزوج فهناك مجتمعات لا تعترف بالتعدد وهناك مجتمعات تعترف به فما تقوله للمسلم الفرنسي لا تقوله للمسلم في جنوب السودان فالبيئة مختلفة وهذا كله من خلال الكتاب والسنة. وكما أحل الله التعدد أحل أيضا للنساء الطلاق. إذا تعذرت الحياة الزوجية.

ولا أقول إننا نترك البيئات تتحكم في الدين ولكن تضبط الإيقاع طالما أن هناك بيوتا متوازنة. ولكن إذا أحل الإسلام التعدد فقد حرم الظلم فيجب أن يعدل الزوج بين الزوجات في الأيام وفي المأكل والملبس وفي الحقوق كلها وإلا جاء يوم القيامة شقه مائل. ولنا في رسول الله أسوة حسنة فقد كان ﷺ يعدل بين زوجاته في حياته. وعند مرضه في آخر حياته استأذن زوجاته أن يمرض عند عائشة فأذن له. أي أن الرسول أستأذن المرأة فالمرأة شيء غير مهمل لها كيان

ورأي يحترمه الإسلام. وأقول للزوجة إذا تزوج عليها زوجها لا تتسرعي في طلب الطلاق فالحياة بنصف زوج خير من الحياة بدون زوج إلا إذا تعذرت الحياة فلها أن تطلب الطلاق.

وأخيرًا فقد أوصى الإسلام بحسن التبعُّل أي احترام الزوج والصبر عليه. والصبر إذا كان الزوج عصبيا أو بخيلاً أو غير ذلك، فالزوج أحد رجلين إما رجل ملكاته طيبة أو أغلبها خير أو رجل ملكاته سيئة. فالأول يجب أن تعينيه على ذلك وتكوني عونا له على الدهر. أما الثاني فتصبر عليه مادامت العشرة ممكنة. والأمر الثاني هو احترام الزوج وتوقيره أمام الناس والأقارب فلا تبين له عيبا ولا تفضح له سرًا وأيضًا احترامه أمام الأولاد.

* * *



هذا قدرهم عند الله...

لقد قال الله تعالى ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ [الكهف: ٤٦] فقد قال الله سبحانه وتعالى المال لأن الحياة لا تصلح بدون مال فقد قال الإمام أحمد عندما كان معه أموال الزكاة بالآلاف والملايين فيأتي رجل من أهل الدنيا ويقول له عجبًا يا إمام المال أمامك بهذا الكم. فقال الإمام نحن قوم أخرجناه من قلوبنا فجعله الله في أيدينا وأنتم وضعتموه في قلوبكم فسلبه الله من أيديكم وهذا الفرق بين من يجعل المال غاية ومن يجعله وسيلة، فقد قال الله تعالى﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ولم يقل عماد أو أساس الحياة الدنيا.

ومن حرمه الله نعمة البنين فيحتسب هذا عند الله سبحانه وتعالى لأن الله قد يعوضه عن مرارته مثل من حرم نعمة البصر يقول الرسول ﷺ على لسان رب العزة «من أخذت حبيبتيه فصبر لا أجد له ثوابًا يوم القيامة إلا أن أبيح له وجهي ينظر إليه بكرة وعشيا» قال تعالى: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ [الكهف: ٤٦] أي خير من المال والباقيات هو ما استوصى الإنسان بعد موته من الخير أي يذكر بالخير بعد موته كأن يربي ولدًا صالحًا يدعو له أو يبني مسجدًا.

والباقيات خير من المال لقوله ﷺ: «مثل هذه الأُمَّة مثل أربعة نفر: رجل آتاه الله مالاً وعلمًا فعلَّم العلم ابتغاء مرضاة الله وسلط ماله على هلكته بالحق، ورجل آتاه الله علمًا ولم يؤته مالاً فعلم العلم ابتغاء مرضاة الله وقال لو أن لي

مالاً كفلان لصنعت صنيعه فهما في الأجر سواء، ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علمًا فسلط ماله على هلكته بالباطل فهذا بأخبث المنازل، ورجل لم يؤتيه الله لا مالاً ولا علمًا فقال لو أن لي مالاً كفلان لصنعت صنيعة فهما في الوزر سواء» [رواه ابن ماجه].

خيرية العمل لا خيرية النوع...

ولا يوجد فرق بين الولد والبنت إلا في التركيب الفسيولوجي التشريحي والملكات التي وضعها الله تعالى في البنت، فإذا أنجبت بنتًا وأحسنت تربيتها كانت سببًا في دخولك الجنة كانت خيرًا لك من الولد، يقول الرسول ﷺ: «**من كان له ثلاث بنات فصبر على لأوائهم وضرائهم وسَرَّائهم أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهن، قالوا واثنتان قال واثنتان، قالوا وواحدة قال وواحدة**» [رواه أحمد].

فقد قال المتنبي

ولو كان النساء كمن فقدنا لفضلت النساء على الرجال

فما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال

فإن كانت النساء كأسماء وفاطمة وعائشة رضي الله عنهم فكانوا أفضل من رجال كثيرين.

وكيفية شكر الله على نعمة الإنجاب إذا رزق أحد بمولود فيجب علينا أن نهنئه ونقول له كما علمنا رسول الله ﷺ: «بورك لك في المولود، وشكرت الواهب، ورزقت بره، وبلغ أشده».

قد توجد حقوق للمولود قبل الولادة وحقوق بعد الولادة

أولاً قبل الولادة: من حق الابن أو الابنة على والدهما أن يختار لهما زوجة أو أمًا صالحة وكذلك يجب على الأم أن تختار لهما أبًا صالحًا، لقوله ﷺ: «**إذا**

خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه» [رواه الترمذي] وقال «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولجمالها ولحسبها ونسبها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك» [رواه البخاري] فقد بدأ المصطفى ﷺ بما تشتهيه النفس وهو المال وأخر الأهم وهو الدين.

وعلى المرأة الحامل أن تتحلى بالهدوء في فترة حملها لأن العلماء اكتشفوا أن المرأة الحامل بعد الشهر الرابع يجب أن لا يكون هناك ضوضاء ولا صراع بينها وبين زوجها لأن هذا الصراع والضوضاء قد يؤثر على ذاكرة الجنين وعقله.

ثانيًا: بعد الولادة: فأول حق من حقوق الطفل بعد الولادة هو أن يؤذن له في أذنه اليمني وتقام الصلاة في أذنه اليسرى، حتى يكون أول ما يسمعه الطفل هو كلام الله.

وفي اليوم السابع نحلق شعر الولد وقال بعض الفقهاء والبنت أيضًا بالموس وقال بعض علماء الأمراض الجلدية أن الطفل الذي يحلق شعره في الشهر الأول من ولادته لا يصاب بقشر أبدًا. وهكذا فعل رسول الله ﷺ مع الأطفال.

ثم يحنك الطفل والتحنيك هو أن يؤتي بتمرة ونأخذ بعضها وتمضغ على طرف الأسنان ونأخذ على طرف السبابة ندعك بها مكان الأسنان وذكر أطباء الأسنان أنه يسرع نمو الأسنان عند الأطفال، والذي حنك الحسن البصري أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فأخذ التمرة وقال اللهم علمه الكتاب وأنطقه الحكمة وكانت أم الحسن البصري جارية عند أم سلمة فكانت تذهب لشراء متطلبات أم سلمة وتترك الحسن البصري مع أم سلمة وكانت أم سلمة في السبعين من عمرها فتضع أم سلمة الحسن على صدرها فيضع الله اللبن في ثدي أم سلمة فيصبح رضيع أم سلمة ولذلك ما نطق الحسن إلا بالحكمة.

ثم في اليوم السابع أو الرابع عشر أو الحادي والعشرين نعمل عقيقة ولو أن

شابًا كبيرًا وتزوج ولم يعق عنه أبوه وأمه يجوز في الإسلام أن يعق عن نفسه في الثلاثين والأربعين فقد عق الخليل إبراهيم وهو في الثلاثين من عمره وللولد شاتاه وللبنت شاه والعقيقة لا تقسم كالأضحية وإنما هي وليمة وهي سنة مؤكدة عن النبي ﷺ.

ثم إحسان تسمية الابن فقد قال الرسول الكريم: «أحسنوا تسمية أبنائكم فإن العبد لا ينادى باسم أبيه يوم القيامة».

دخل رجل على رسول الله ﷺ قال له «ما اسمك قال حَزَن قال النبي سميناك سهلاً قال لا أغير اسم سمانيه أبي قال النبي سميناك سهلاً قال: لا قال فحزم إن شاء الله فقال سعيد بن المسيب أحد التابعين حفيده وما زالت فيه خشونة إلى هذا اليوم، سأل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رجلا ما اسم ابنك؟ قال جعران قال أمير المؤمنين عققت ولدك قبل أن يعقك.

لما أنجب علي بن أبي طالب الحسن قال النبي ﷺ له ماذا سميت ابني قال صخرًا قال لا هذا ابني الحسن ولما أنجب علي الحسين قال له ماذا أسميته قال حربًا قال النبي لا هذا ابني الحسين فالنبي هو الذي سمي الحسن والحسين.

ثم يجب على الأم أن ترضع ولدها فإن لم تستطع فتأتي له بمرضعة.

استيعاب أسئلة الأولاد...

نحن كعرب يوجد عندنا نوع من الملل الشديد في تربية الأطفال والرد على جميع أسئلتهم فعلى الأم أن تأتي بابنها عندما يبلغ من العمر الشهرين أو الثلاثة وتشرح له تفاصيل صادقة وتجيبه على كل أسئلته عندما يكبر، فقد ذكر أن طفلاً ذهب إلى أمه وقال لها ما الحفرة التي توجد أمام البيت قالت له اذهب إلى أبيك فأنا مشغولة فذهب إلى أبيه فرآه يقرأ الجريدة فقال له اذهب إلى أخيك الأكبر

فأنا مشغول فذهب إلى أخيه الأكبر فقال له اذهب إلى أختك فأنا مشغول الآن فذهب إلى أخته فقالت له هذه الحفرة هي بئر وقد سقط فيه أخوك الأسبق.

فإن من عظمة الإسلام أن لكل سؤال جوابًا، فلابد على الوالدين أن لا يمر أحدهما على الآخر فلا تقول الأم أنا متعبة وكذلك الأب فكلاهما مسئول فالأب راعٍ ومسئول عن رعيته والأم راعية ومسئولة عن رعيتها.

على الأم والأب تقوية جهاز المناعة الإيمانية عند الولد والبنت داخل البيت وخارجه وليس من مهمتهم قتل الجراثيم والفيروسات المتمثلة في الانحراف فالمهمة الأولى تربية النشء على صحيح الدين، يقف الزبير أمام عمر بن الخطاب ويقول له ليس الطريق ضيقًا فأوسع لك ولست جانيًا حتى أخاف منك، وعندما تقف أمه وهي بنت الثانية عشرة من عمرها أمام أبى جهل وتقول له إن لم تقدر على الرجال فتضرب النساء وتقف امرأة عجوز وقد عبرت المائة أمام الحجاج تقول له أنت الذي خرفت وكثر سنك خرف الذي عينك واليًا علينا، فلاعبه سبعًا وعلمه سبعًا وصادقه سبعًا ثم اترك له الحبل على الغارب وقل له تركتك للحي الذي لا يموت فيلعب الطفل حتى الرابعة ثم يأتي الشيخ ويعلمه القرآن.

التربية الربانية

ثم علينا أن نربي أبناءنا على كتاب الله ونحكي لهم القصص ليس قصص ميكي ماوس وغيرها لا إنما تكون قصص مستفادة من الأدب العربي والإسلامي جميل جدًا فيحفظ آيتين وبيت من الشعر على مدار سنة كاملة يكون قد حفظ ثلاثمائة بيت من الشعر وسبعمائة آية قرآنية.

ثم نبدأ في تأديبه على الصلاة لقوله ﷺ **«مروهم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع»** [رواه أبو داود].

ثم يأتي وقت المصاحبة عند بلوغ الولد أو البنت الرابعة عشرة لأنه سن المراهقة فيشعر الولد أنه له صفات الرجل الكبير وصفات الطفل الصغير وكذلك البنت لا هي بالمرأة البالغة، ولا بالبنت التي تلاغي وتلاعب فيفتح التلفاز بحدود ويحفظ الولد أو البنت القرآن وتحكي لهم الأم القصة الهادفة فيصبح الولد أو البنت مهذبين.

بالمصادقة يجعل الطفل يستجيب أوامر الوالدين بترحاب وفرح وقال سمعًا وطاعة لأن جسر المعية موصول فإذا انقطع جسر المعية ثق تمامًا أنه يتمرد ولا يستجيب فليصلِ الولد أو البنت أمام والديهما ومن ورائهما لا يصلون ويأخذ الولد النصيحة على أنها نقد قال أناس لعمر بن عبد العزيز يا عمر أوص لبناتك (تسع بنات) قال أنا لا أخشى عليهن من الفقر وقد علمتهن سورة الواقعة إن كن صالحات فإن الله كان للأوابين غفورا وإن كن غير ذلك فلن أعطيهن ما ينفقهن به على معصية الله عز وجل، فلما دخل عليهن في يوم العيد إذا هن يلبسن لبسًا جديدًا فقال لزوجته ما لهن؟ قالت يا أمير المؤمنين البنات في العيد يلبسن الجديد وبنات أمير المؤمنين لا يلبسن شيئًا من الجديد فنادى عليهن وقال يا بنات تصبرن على هذا ويدخل أبوكن الجنة أم تتمتعن كما يتمتع الغير ويحاسب أبوكن؟. قلن: لا يا أبتِ، نصبر.

***



الضعيفان
المرأة..واليتيم

الزواج شطر الدين...

لا يزال الدين يربي أبناءه على الخصال الطيبة الحميدة التي تكفل للأمة سعادتها وابتسامتها وبهجتها فهو لم يترك ثغرة صغيرة ولا كبيرة إلا وتحدث عنها وأعطى على ذلك الدلائل والبراهين من الكتاب والسنة حتى وإن كانت هناك مشاكل فقد أعطي حلولها وعلاجها وقد ورد في الحديث «**اللهم إني أحرج حق الضعيفين اليتيم والمرأة**» [رواه ابن ماجه].

وهنا نتحدث عن الخطبة وما فيها من ارتباط كريم بين طرفين كريمين ولكن إذا فسخت الخطبة فنجد العكس يظهر والمشكلات تكبر والاتهامات تتبادل ولذلك يجب أن تكون الخطبة سرية وهذا حتى نبتعد عن هتك الأعراض وتسفيه آراء بعضنا البعض وغيبة ونميمة فهي نكد في الدنيا وذنوب في الآخرة.

فالزواج شطر الدين فليتق الله في الشطر الآخر ويفرح الشيطان عند فسخ الخطبة كما يفرح عند الطلاق وعند مخاصمة المسلم لأخيه المسلم ونجد أن الخطبة تفسخ لأسباب منها:

١- إن الخاطب بعد أن تقدم إلى الناس وجد أنهم لا يصلحون له لسبب أو لآخر أو تكشفت له أمور ما كانت معروفة من قبل وهنا تكمن المشكلة في أننا عندما نستشار في أمور الخطبة لا نقول الحقيقة وهنا لابد أن يعرف الشخص كل شيء عن أهل المخطوبة وعن الخطبة قبل التقدم

وهنا نجد أنه إذا أراد الخاطب أن يفسخ هو الخطبة فإما أن يترك كل هداياه وإما أن ترد كل الهدايا إلا المأكول منها أو الملبوس.

٢- أن يكون السبب المخطوبة أو أحد يضغط على أحدهما أو كليهما ونجد أن ذلك يحدث لأن كلا الطرفين ما بدأوا العلاقة على أساس من تأسيس البيت على كتاب الله وسنة نبيه وبذلك يدخل السرور على العائلتين ولا تحدث مثل هذه الأمور.

وقد قيل لأبي ذر يا أبا ذر أحكم السفينة فإن البحر عميق وأدخل الزاد فإن السفر طويل وأحكم الشراع فإن العقبة كؤود وأخلص النية فإن الناقد بصير.

فهذه بعض المحاور إما أن يكون الخاطب هو السبب فيعطيهم كل ما أتي به وإما أن يكون المخطوبة فيعطونه كل شيء ما عدا المأكول أو الملبوس والأفضل أن تنتهي بسلام لأن بيوت المسلمين ليست عرضة للشائعات والكلام، ونجد أن النبي ﷺ زوج ابنته بنصف درهم أي (٥ دولار) فقط وكان يقول ﷺ «**أخف النساء صداقًا أعظمهن بركة**» [رواه الترمذي] وكأنه يعطي القانون العام للزواج وهو اليسر والبركة والتساهل.

وكذلك نجد أنه كلما زاد المهر زادت المشاكل ونجد أن هناك أمورًا تحدث وهي خاطئة كأن يأكل ويشرب في بيت خطيبته ويصير في البيت كأنه واحد من أفراد العائلة وهو يخرج أسرار عائلته عند خطبته.

والثالثة أنها ذات مال وجمال وليست صاحبة دين وهنا يروي أن صحابية تابعية سأل عنها محمد بن علي حفيد الإمام علي ﷺ جاء يخطب المرأة في عدتها وكانت مشهورة بحسن خلقها وحفظها للقرآن وجمالها فدخل يعزيها وقال لها أتعلمين قرابتي من رسول الله وقرابتي من علي فقالت يا أبا جعفر أنت رجل

يؤخذ عنك أتخطبني في عدتي قال إنما أذكر بنسبي.

فالمسألة متعلقة بالدين فنحن نأخذ من الدين ما يتناسب معنا ومع حياتنا ونطبق الدين كما نزل لا كما يوافق هوانا فمثلا في عقد القران فالناس تعقده في المسجد ثم تذهب إلى النادي أو غير فيقام عرس غير شرعي تماما في الأغاني والاحتفال والاختلاط فهذه ليلة يجب أن يجعلها في مرضاة الله.

وثمرات الذنوب لا يعلم مصيرها إلا الله وهي في ميزان سيئات العروسين وأهليهم ولكن يقام احتفال إسلامي يرضي الله ورسوله ولا يكون فيه اختلاط أو تفحش أو ما يغضب الله.

ضوابط إتمام الزواج

فالزواج ركن أساسي من عبادات العبد لله فهل هناك عبادة فيها معصية فهل يصلح أن أصلي وأترك الناس وأصوم وأشتم الناس وأسبهم فالفرح الإسلامي يحبه الله ولكنه بدون عري لأي طرف من الأطراف فهناك عورة للمرأة على المرأة من الصدر إلى الركبة ولا يجب أن تكون هناك كاميرات تصوير والتي يخدمن نساء، ونجد أنه يجب أن يكون كل شيء فيما يرضي الله عز وجل ووفق تعاليم الدين الحنيف فعندما نزلت الآية الكريمة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] فوجب أن تكون كل أعمالكم من أفراحكم حسب الدين ونعصم أنفسنا من الشيطان فنحن عندما نذهب إلى العريس نهنئه ونبارك له ونحضر وليمة عرسه فهذا حقه علينا ونحن نؤدي حقه.

كيف ترسم الشريعة الإسلامية خطوات هذه الزيجة وتلك الفرصة يبدأ ذلك من الخطبة وليس معنى الخطبة أن العريس صار من أحد الأقارب ولابد من أن لا ندقق في كل الصغائر في ترتيبات البيت لأن ذلك يتسبب في كثير من

المشاكل فتكون النتيجة الفصل بين الزوجين.

ولابد من أن نأخذ رأي العروسة في بيتها ونأخذ برأيها في تأسيس بيتها على الطريقة التي تستريح هي فيها فأنا بذلك ابني رصيدا من البداية وبذلك فإذا حدثت أي مشكلة بعد عشر سنوات فيقول أهل الزوجة والله زوج ابنتنا جزاه الله خيرا فهو لم يتدخل في أي شيء وتحسب له وتذكر له بالخير وهذا هو الكيس الفطن الذي يطرق باب الصالحين يتزوج ابنتهم.

وأكبر دليل على ذلك يدلنا عليه ديننا الحنيف يروي عن الصالحين والتابعين والتابعيات من الصحابيات فلما قال ﷺ لعائشة جهزن لفاطمة فتقص عائشة وتقول ذهبنا فجئنا بوسادتين من جلد حشوه ليف وسادة لعلي ووسادة لفاطمة وجئنا بفرع ووضعناه قرابة الباب لكي ينشرا عليه لباسهما (شماعة) وقدم النبي لنا طبقا فيه بلح وتقول فما أجمل عرس فاطمة.

فالسعادة من الداخل وليست من الخارج ولابد من الدعاء للعروسين بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما في خير ويعقد القران ويفضل أن تقول إحدى السيدات كلمة ثم الوليمة لأن الملائكة حضرت لأن ليس هناك مخالفة شرعية وإذا لم يذهب بهم إلى قاعة أو نادٍ فتكون الخطبة في المسجد أما من لا يرضي الله ورضي بإرضاء الناس فيسلط الله عليه الناس أما من أرضى الله فالله يُرضي عنه الناس ويعود العروسان إلى بيتهما في وئام وصفاء وما فتحوا صفحة شر من بداية الزواج من أول يوم ونجد الآن بعض الزوجات تتكلف تكلفة كبيرة جدا كإعلانات في الجرائد والمجلات وتكلفة عرس ووليمة وبهذا العُرس يمكن أن نزوج ألف شاب وشابة لأن الإسراف ممنوع حتى وأنت مستطيع.

ونرجع لعهد النبي فقد تزوج بعائشة وكانت عائشة ابنة ملياردير (سيدنا أبو بكر) ولكن انظر إلى عرسها كان كوبا من اللبن فشرب ثم أعطى عائشة ليكسر

حاجز الخوف والحياء فاستحيت فتقول أسماء بنت عميس وكانت زوجة أبيها أبي بكر قالت لها إياكِ أن تردي يد رسول الله فشربت ثم قال اسقي صويحباتك فقلن لا نشتهيه فقال: أتجمعن على أنفسكن جوعا وكذبا فقالت إحداهن يا رسول الله لو كنا في حالة جوع وقلنا لا نشتهي فقال تكتب كذبة قال أن الكذبة تكتب كذبة ثم تركن عائشة وقمن.

زواج .. وزواج

وإذا قارنا ذلك بزواج الملوك والأمراء الآن نجده يختلف كثيرا عن عهد النبوة فقد ذكر أن مهر بنت أحمد بن طولون لما تزوجت خليفة بغداد خرجت من القاهرة عاصمة مصر إلى هناك وضع لها أبوها على الطريق أربعين قرية (أي استراحة) ليستريح الموكب وتحرك ألف بعير عليهم أحمال الجهاز وكان الموكب ينزل من وقت لآخر ليوزع على القرى المحيطة والمدن العطايا.

ويقال إن هذه الزيجة من إحدى الزيجات التي خربت ميزانية الدولة.

ومن القصص التي أذابت الفوارق بين المسلمين والطبقات قصة سعيد بن المسيب الشهيرة، فقد افتقد عبد الله بن وداعة وهو طالب فقير، فعلم أن زوجته ماتت، وكانت ابنة سعيد عائشة خطبت لأمير المؤمنين ورفض، فدخل سعيد على عبد الله وقال: علمت موت زوجتك، ما أردت أن تبيت الليلة وحدك وزوَّجه من ابنته وفي الصباح توجه الرجل إلى درس سعيد فقالت زوجته إلى أين قال إلى درس سعيد. قالت: اجلس أعلمك علم سعيد.

وهنا نجد أن الإسلام لا يفرق بين غني وفقير وتذوب الفوارق الاجتماعية والتكافؤ المادي في ميزان الدين فبلال الحبشي يتزوج أخت عبد الله بن عوف لأن القاعدة التي تحركنا قاعدة دينية وليست اجتماعية أو عاداتية أو تقاليدية.

ونجد أن في الصعيد اهتموا بظاهرة العنوسة فعندما كان يوجد رجـل عنـده بنت في سن الزواج يأتي إمام المسجد ويقول من أراد الـزواج فليـأت. وعنـدما مات زوج حفصة رضي الله عنها عرضـها عمـر علـى أبـي بكـر وعثمـان فلـم يتزوجها فألمت بعمر شدة ثم ذهب إلى رسول الله فأخبره بما حـدث فـرد عليـه الرسول وقال يتزوجها من هو خير مـن أبـي بكـر وعثمـان أتقبـل أن تـزوجني حفصة، فأحس عمـر أن الـنبي تزوجهـا جبرانـا لـه والصـحابة كـانوا يزوجـون بعضهم البعض وكذلك من لم يجد فليلتمس خاتما من حديد فمن لم يجد فيزوجه ولو بجزء من القرآن فهكذا كانت أخلاق الصحابة.

وهذا خادم رسول الله ذهب لأنـاس رفضـوا تزويجـه فقـال أتـزوج مـن الحور العين في الجنة فقال ﷺ: بل في الدنيا اذهـب إلى بيـت فـلان وقـل لهـم زوجوني ابنتكم برسالة شفهية من الرسول فقـال أبوهـا أمهلـني حتـى أسـال أمها فقالت البنت أترد رسول الله فوافقوا فجمع له رسول الله المـال وزوجـه فهكذا بنيت بيوت الصحابة بهـذا التيسـير ولكـن شـبابنا يعسـر علـى نفسـه بمتطلباته العصرية.

مشكلات .. نحن صنعناها...!!!

ولكثرة أزمات ومشكلات الشباب ازدادت العنوسة ومشكلاتها ففـي رقبـة مـن هؤلاء؟!! أقول في رقبة الأغنياء الذين يجب أن يخرجوا من زكاتهم لتزويـد ادخـارات الفقراء ومن ذلك في عهد عمر بن عبد العزيز لم يكن هناك فقير فرجعـوا مـن وسـط أفريقيا وشمال أفريقيا إلى المدينة مرة أخرى وكان يقول من أراد أن يعـف نفسـه مـن شباب المسلمين فزواجه من بيت المال. وصورة المحبـة في الإسـلام والأخـوة أن يحـب الفقير أخاه الغني ويحب الغني أخاه الفقير فيا بشرى عبد أدخل السـرور علـى قلـوب المسلمين يدعو ديننا الحنيـف إلى إصـلاح الشخصـية المسـلمة وهـذا لمصـلحة الـوطن

والأوطان فنحن نريد الأسرة المسلمة وفي النهاية يتزوج الشاب وتصير عنده زوجته في منزله فهي أمانة في رقبته يقول ﷺ «أنكم اخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله...» [رواه أبو داود] وقال تعالى: ﴿تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١].

فالنساء كسيرات فلينظر أحدكم أين يضع أسيرته يضعها عند رجل محترم فاضل مهذب صاحب دين ولا يضعها عند رجل لئيم إذا أغمضت عينها والعياذ بالله انفك وانحرف فهي أمانة في أعناق الرجال فيجب أن يراعي الأمانة وإن أغضبته فأين مساحة الفضل وأين مساحة الصبر وكيف يؤجر هذا الإنسان إذا لم يصبر فهي عصبيتها تسبق عقلها فهذه تركيبتها ففي تركيبتها دموعها تسبق فكرها وكلماتها تسبق عقلها.

والإنسان يشرح صدره للآخرة والله ما أحسن زوج إلى زوجته واتقى الله فيها وتحمل أخطاءها وإن كان يا أخي قيل كم أعفي عن زوجته وخدمها سبعين مرة ولما سئل أحد العلماء كم تعفو عن زوجتك فقال سبعين مرة فبعض الزوجات أو الأزواج يكون عندهم خلل لأنه لم يتربَّ على ذلك أو لم يتربَّ في بيئة متوازنة.

ولكن الرجل يقدم بعقله عن عاطفة المرأة ولذا أعطاه الله الطلاق بيده ولم يجعله بيدها ليهدد به وإلا فلن تكون هناك بركة.

صُوَر المرأة...

الصور فيها كلام أساسًا أما التماثيل فهي حرام بإجماع العلماء، أما الصور فقيل إنها ما بين مبيح ومحرم أما الحديث «لعن الله المصورين» [رواه البخاري] فقالوا إنهم المثالين والنحاتين وليس المصورين والصور للضرورات وليس إفراطًا وتفريطًا يقول الله ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٩] والفرط والإفراط شيء

سيء فالدين وسطية بين الإفراط والتفريط فمن تصور فلا شيء عليه.

الشرط ألا يرى هذه الصور أحد من غير المحارم (كصور الأفراح) لأن يحرم النظر إلى صورة المرأة الأجنبية لأنها لا تحل له ويجوز له الزواج بها والفيديو هو نفس قضية الصورة فهو يطلع عليه الزوج والزوجة وأولادهما من بعدهما ويجوز أن يراه المحارم.

وتقول لمن يجعل الفيديو أو الصور متداولة هذه كم سن سنة سيئة أو من يصنع سيئات جارية والسيئة ليقلع عنها لابد من توبة ومن شروط التوبة الندم والعزم على عدم العودة إلى المعصية مرة أخرى ولكن من أصر فهذه لا تعتبر توبة ونقول لهم: أين الغيرة؟!.

الغيرة في الإسلام

الغيرة على البيوت والمحارم واجبة فالله يغار، يقول ﷺ **«أتعجبون من غيرة سعدًا إن سعد لرجل غيور وأنا أغير منه والله أغير مني»** [رواه البخاري] وهنا نلفت النظر إلى شيء مهم وهو أن طبائع الناس تتولد ومن ضمن التركيبة طبيعة الأطعمة فتجد الغرب يأكلون لحوم الخنازير وهو ديوث فتجد فيهم الدياثة وعدم الغيرة وتجد العرى فيهم شيء عادي أما الرجل العربي فهو غيور لأنه يأكل لحوم الإبل والشاه وهو لطيف التعامل.

وهكذا تتولد الأخلاق عن طريق البيئة والطعام إلى جانب الإسلام فالإنسان عظيم بإسلامه عظيم بخلقه وهنا نجد غيرة عثمان ﷺ عندما اقتحم عليه القتلة بيته وكانت زوجته نائلة بنت الفرافصة بجواره فقال لها ادخلي فاحتجبي فقتلي أهون على من أن يراك أجنبي فعندما جاءوا يضربون بالسيف أرادت منعهم فقطعت أصابعها هكذا كانت غيرة الصحابة رضوان الله عليهم.

مشروعية الدبلة

أما مسألة الدبلة فهذه بدعة وليست من الإسلام في شيء وهي تقليد أجنبي وسواء كان لبسها فضة أو ذهب فهذا من قبيل **«من أحب قومًا حشر معهم»** [رواه أبو داود] أما الذهب فهو حرام للرجل ولكن الرجل يجوز له أن يلبس الخاتم فقد كان ﷺ يتختم بخاتم من الحديد عليه ختمه كان يختم به الأوراق والرسائل التي يرسلها للملوك والرؤساء وسائر القبائل وكان عندما يتوضأ يحرك خاتمه.

أما المرأة فلها أن تلبس كل شيء فهي مباح لها كل أنواع الزينة من ذهب وفضة وماس وكل أنواع المجوهرات.

الزوجات أمانة عند أزواجهم

الزوجات أمانة عند الرجال وما نسمعه من مشاكل الآن هذا بسبب عدم تربية الأولاد والبنات على الدين فعثرنا على أزاوج وزوجات مهزوزون فالأرض التي يقفون عليها تقاس بالعادات والتقاليد وليس بالدين والمرأة ضعيفة رغم أن الله يقول ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٨] فهذا أن المرأة إذا أرادت أن تدبر الأمر تنتقم من أحد فيمتلكها الشيطان.

وقد قال ﷺ **«ما رأيت ناقصات عقل ودين أذهب لِلُبِّ الرجل الحازم منكن»** [رواه البخاري] فالمرأة ضعيفة ولكنها إذا اقتدت بالإسلام في كل أمورها وبالصحابيات كأسماء بنت أبي بكر والخنساء فهي تصنع أجيالا صالحة فالمرأة المسلمة تقوى عن طريق مالها من حقوق عند الزوج نجد الأرملة والمطلقة في الإسلام لها حقوق فلا تخرج من بيت الزوجية ويكفل لها الإسلام حياة كريمة يقول الله ﴿لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١] فهي تعيش معززة مكرمة في ظل الإسلام فالمرأة ضعيفة فقيرة حتى وإن كانت قوية في الشخصية وغنية فهي تحتاج إلى من يقف بجانبها ويساندها لأنها فقدت السند والزوج والرجل الذي

يعينها على الحياة.

ولابد أن تتغير نظرة المجتمع لهذه الشخصيات فليس بيدها أنها ترملت أو طلقت ولابد أن تعامل معاملة إسلامية تكفل لها حياة طيبة ومشاركة جميلة من المجتمع.

ونجد أن سيدنا عمر ﷺ كان يمر على الزوجات اللاتي سافر أزواجهن إلى الحروب ويطرق أبوابهن بيتا بيتا ويقول يا أم فلان ألا تحتاجون من السوق شيئا معه قلم وشيء يكتب عليه ويكتب عن كل بيت ما يحتاجه وهكذا حتى يعود الأزواج تقول عائشة رضي الله عنها (والله إن الحشرات في جحورها حزنت على موت عمر) وهنا نجد أن المجتمعات لابد وان تغير نظرتها إلى المرأة المطلقة والأرملة وأن تترك لها الحرية في التزوج مرة أخرى وتكفل لها حياة كريمة

في ظل العادات والتقاليد ولا ينظر إليها على أنها خاطفة للرجال أو أنها وصمة عار أنها أكبر منه سنا.

وهو الأسوة والقدوة للعالمين والنبي كزوج كانت معاملته لزوجاته كلها ود ورحمة.

الرسول زوجًا وأبًا

كان ﷺ زوجا مثاليًا فقد كان يشرب من نفس المكان الذي شربت منه عائشة وهذا من الود وكان يضع يده على عضاضة الباب وتضع عائشة ذقنها على ذراعه وتشاهد لعب الأحباش في المسجد وهم يحطبون وينادي يا عائشة اكتفيت فتقول انتظر يا رسول الله وهذا من حنان رسول الله بالنساء.

وكان مع النساء تأخذه الجارية الخرماء فتجره من كمه ويمشي معها وتريد أن تسأله بعيدًا عن صحابته وينصت لها.

وتأسى الصحابة بذلك فقد فعل عمر مع خولة بنت ثعلبة ذلك فقد وقفت مع عمر وقتًا طويلاً حتى أن عبد الرحمن بن عوف عاب على عمر أنه وقف معها وقتًا طويلاً يسمع إليها فرد عليه وقال هذه خولة التي سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات كيف لا يسمع لها عمر والله لو أوقفتني إلى يوم القيامة لوقفت.

وكان ﷺ يقول: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**» [رواه الترمذي] وكانت أول وصية منه ﷺ للمحاربين: «لا تظلموا النساء إياكم إياكم أن تقتلوا النساء»، وقد خرج ﷺ من معتكفة ليوصل السيدة صفية عندما جاءته في أمر مهم فقام معها ليوصلها لأن بيتها كان أبعد من بيوت زوجاته وعندما أوصلها إلى الناقة انحنى على الأرض وجلس القرفصاء ووضعت صفية قدمها بحذائها على ركبته وعندما قابله الصحابة فقال لهم هذه صفية زوجتي.

وهذا من أدب المعاملة حتى لا يفهمه أحد عن طريق الخطأ أو يترك للشيطان فرصة وكانت معاملته للأطفال. بحنية الأب التي لا مثيل لها.

وعندما ترك المسلمون الإقتداء برسولهم حدث ما لا يحمد عقباه حتى وصلت مشكلات البيوت والأزواج إلى المحاكم وهناك أهل العلم قبل المحاكم وهذا من باب عدم تفكك الأسر المسلمة ويجب أن لا تصل المشكلات إلى المحاكم إلا بعد استنفاذ وسائل المعالجة في البيت ومنها الهجر في المضاجع والمصارحة والعتاب ثم أهل العلم.

ويجب أن لا تتدخل الأمهات مع الأزواج والزوجات ولكن يتركوا لهم الفرصة في أن يستقلوا بحياتهم وتكون لهم أسرارهم الخاصة، ونجد أن السيدة عائشة عندما حدث حادث الإفك وكان شيئًا غير سهل عليها وعلى رسول الله فعندما نزلت البراءة قالت لها أمها قومي فاحمدي رسول الله فقالت لا أحمد إلا

الله الذي نجاني من ذلك وكذلك.

عندما غضبت من رسول الله وجاءوا بأبي بكر كحكم بينها وبين رسول الله ثم قالت قل له ولا تقل إلا حقًا فغضب أبو بكر وضربها فمن حنانه ﷺ قام وبلل طرف عباءته وكان يمسح وجهها من الدم وجعل أبا بكر يغادر وقال له جئنا بك لتحكم لا لتضرب.

وعندما حدثت مشادة بين فاطمة بنت رسول الله وزوجها علي وغضب منها وترك البيت ونام في المسجد فذهب إليه الرسول ونفض عنه التراب وكان نائمًا بالمسجد ولم يخبرا الرسول بما دار بينهما وهذا من أدب الرسول في المعاملة.

فلنقتدِ برسول الله ولا نتدخل في أسرار بيوت أولادنا ومشاكلهم ولنتركهم يحلوها بطريقة الإسلام وسنن المصطفي وهو القائل: «**ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويعطف على صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه**» [رواه أحمد] ويقول العلماء إن العبد إذا بلغ من الكبر عتيا يقول الله: «عبدي وهن عظمك واحتني ظهرك وشاب شعرك فاستحي مني فإني أستحي أن أعذبك». وكذلك الله سبحانه وتعالى عندما يكبر المرء في السن أو المرأة فقد يخفف الله عنها حتى في اللبس الذي قد يعيق حركتها أو يؤذيها ﴿**وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لاَ يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ**﴾ [النور: ٦٠].

وهذا من برنا بهم فقد ضعفوا وانحنوا ويحتاجون للرعاية والعناية أكثر ومن سوء معاملة كبار السن هذا يستوجب غضب الله تبارك وتعالى يقول الله ﴿**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾ [الإسراء: ١٤] ومع هذا هناك من يودع أمه أو أباه في دار المسنين.

وقد قيل إن امرأة لم ترد أن تعيش مع أم زوجها وطلبت من زوجها أن يأخذ أمه ويلقيها في الجبل فأنا لا أسكن مع هذه الحيزبون تحت سقف واحد

وأخذ الرجل أمه وتركها فجاءها رجل رآها تبكي فقال ما يبكيك؟ فقالت له ما حدث فقال وهل هذا يبكي عليه؟ فقالت أنا أبكي عليه خوفًا أن يصيبه مكروه وهو عائد إلى زوجته.

وهنا يجب أن تعود الأسر الإسلامية للإسلام وأن تتواصى بالخير وما جاء في صلة الأرحام يقول ﷺ «من أراد أن ينسأ له في أجله ويبارك له في رزقه فليصل رحمه» وقد كان ﷺ يصل رحمه ورحم زوجته حتى أنه عندما كانت تأتي هالة أخت السيدة خديجة كان يرحب بها ويخرج لها مستقبلا حافيا ويدخلها ويفرش لها عباءته كل ذلك وفاء لزوجته وهكذا لتعود الملائكة للبيوت لابد من صلة الأرحام وليعود الخير والرزق الواسع وقد قيل بروا آبائكم تبركم أبنائكم.

* * *

اليتيم

كرامة اليتيم عند الله...

هو من مات أبوه دون سن البلوغ وهو الذي كان ينفق عليه ومن ماتت أمه ليس يتيمًا بل هو لطيم يقول الله عز وجل في الحديث القدسي «من أبكى يتيمًا غيبت أباه في التراب؟ أشهدكم يا ملائكتي أن من أرضاه وأسكته رضيت عنه» وأن من مسح على شعر يتيم كان له بكل شعرة حسنة وأفضل البيوت بيت فيه يتيم يكرم فيه وأسوأ البيوت بيت فيه يتيم يساء إليه.

ويكفي الإنسان فخرا عندما يقول ﷺ **«أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة وجمع بين سبابته والوسطى»** [رواه مسلم].

وهنا تروى قصة عن يتيم ترك له والده بقرة حتى يجد شيئًا يسترزق منه عند كبره فعندما كبر وذهب ليبيعها وكانت أمه أخبرته بأن يبيعها بمبلغ معين فرآه رجل في الطريق وقال له اشتريها منك بمبلغ أكبر فقال انتظر حتى أراجع أمي وهكذا ثلاث مرات كل مرة يزيد في ثمنها، فقال له أنا ملك من السماء فلا تبعها إلا بوزنها ذهبًا.

فحدثت حادثة الرجل الذي كان يريد قتل عمه ثم عندما قتله ليرثه واتُّهم فيه أناس آخرون، فإذا بالله سبحانه يأمرهم بذبح بقرة لها مواصفات خاصة كانت هي تلك البقرة التي يملكها هذا اليتيم وأخذ وزنها ذهبا وذبحت ورجم الميت بقطعة لحم منها فقام وأخبر عن القاتل ثم مات مرة أخرى.

وكذلك قصة أصحاب الأخدود عندما أمر الملك الساحر أن يختار غلامًا حتى يعلمه السحر حتى إذا مات وجد في المملكة ساحرًا فجاء الولد وبدأ الساحر يعلمه السحر فالولد وهو راجع من عند الساحر وجد راهبًا يعبد الله

فتعلم منه قضية التوحيد فبدأ الولد يذهب ليتعلم هنا وهناك فكان عندما يذهب متأخرًا إلى البيت يعنفه والده وعندما يذهب متأخرًا للساحر يعنفه فبدأ يخبرهم أنه عندما يتأخر فالساحر هو الذي يؤخره وعندما يتأخر على الساحر يقول إن أهله هم من أخروه.

فمات الساحر ومرض الملك مرضًا حار فيه الأطباء فنادوا على الولد الساحر وجاء الولد وعندما تحدث إلى الملك قال أيها الملك أسارع في شفائك إن آمنت بالله فقال الملك أولك رب غيري قال الغلام ربي وربك الله فأخذوه وسط البحر فقال اللهم اكفنيهم بما شئت وكيف شئت فانقلب القارب وماتوا جميعًا إلا هو وعاد إلى الملك مرة أخرى فأخذوه إلى جبل عال فقال اللهم اكفنيهم بما شئت وكيف شئت فاهتز الجبل ووقع كل من فوقه إلا الغلام وعاد إلى الملك سليما.

وقال للملك إن أردت أن تقتلني فاجمع أهل القرية جميعًا ثم خذ سهمًا وقل بسم الله رب الغلام بصوت مرتفع حتى تسمعه القرية كلها ففعل الملك ذلك فمات الغلام ولكن القرية بأسرها أسلمت وهذا ما نريد أن نعلمه لأبنائنا عقيدة قوية يدرسونها وتتأصل فيهم.

يتيم في حياة أبويه...!!!

من المعروف أن المجتمع يحوي عدة طبقات فهناك الفقير والمسكين واليتيم وكل منهم له مسمى في اللغة وفي الاصطلاح وما نتحدث عنه في هذا الموضوع هو اليتيم واليتيم كلمة ذكرت في القرآن مرات عدة وقد أمرنا الله بأوامر لابد أن تتبع مع اليتيم خاصة.

وهنا نتحدث عن اليتيم الذي تخلت عنه أمه وأبوه فليس اليتيم المتعارف عليه من مات والده ولم يبلغ سن الرشد ولكن هناك نوع آخر من اليتم وهو الذي تجد له أما تخلت عنه أو أبا مشغولاً.

ومن ماتت أمه فهو لطيم فهو أسوأ حالا من اليتيم الذي توفى أبوه لأن الأم تحنو على وليدها وهي التي تحتضنه أما الأب فبطبيعته هو جامد العواطف بسبب تكوينه وطبيعة مسئوليته.

أما اليتيم الذي أبواه على قيد الحياة فهذا هو أسوأ حالا من اليتيم لأن أبواه يعيشان ولا يحتويانه ولا يشعرانه بحبهما وحنانهما فهناك آباء البيت بالنسبة لهم فندق يستريح فيه من عناء اليوم فهو يأتي بعد نوم أطفاله فلا يراهم ولا يرونه ليلا ثم يخرج مبكرا صباحا والأولاد في الدراسة فهو يصنع لهم مستقبلا ماديا ولكن لا يعرف أنه بذلك يحطم أولاده معنويا واجتماعيا فليست الحياة ماديات فقط ولكنها ماديات ومعنويات وأحاسيس ومشاعر.

وهنا ننادي وننصح هؤلاء الآباء أن يراعوا الله في أولادهم وبيوتهم وهنا لا نمنع ولا نحرم أن يسافر أو ينشغل الأب عن أولاده للضرورة والظروف بين الطرفين لتحل الزوجة مكان الزوج فتكون أما وأبا وهذا لا ينطبق على كل الأطراف.

وأيضا نقول للزوج صاحب الأعمال التجارية أن لا يشغل زوجته في أعماله وهو مشغول في الخارج وهي في الداخل وأين الأولاد فليتقِ الله في أعماله ويترك الزوجة لأولاده فلا نجمع على الأولاد مصيبتين غياب الأب وغياب الأم وأيضا نناشد الآباء أن يحاولوا أن يحتضنوا أولادهم مهما كانت انشغالاتهم لأننا في بيئة إسلامية لها عاداتها وتقاليدها اهتماماتها وشخصيتها المستقلة ولا نعمل على العنصرية ولا نقبل سياسة الدمار والاستعمار في بيوتنا وأولادنا والفرقة وعدم لم الشمل.

شروط كفالة اليتيم

هناك شروط لكفالة اليتيم الشرط الأساسي أن يكون يتيما محتاجًا لأن هناك يتيمًا فقيرًا ويتيمًا غنيًا فاليتيم الغني لا تجوز كفالته ماديا ولكنه

يكفل معنويا فالمال لا يغني ولا يعوض عن حنان الأب والفقير له حق في الزكاة من مال الغني ونكفل اليتيم معنويا بأن ندعوه في الأعياد والمناسبات والحفلات والنزهات الخلوية ونصادقه مع أبنائنا الذين هم في نفس عمره ونجعل أولادنا يهتمون به ويزورونه وأن أهتم بتعليمه كل الأمور الدينية والدنيوية.

ولكن يجب أن أهتم به وهو في منزله وأحل مشكلاته وهو مع أحد أقربائه وفي عائلته ولكن لا آخذه إلى منزلي لأنه سوف يتعود أن يكون مع هذه الأسرة وعندما يكبر لا يجوز أن أدمجه وسط هذه الأسرة لأن هناك بنات وهو يجوز أن يتزوج منهم ولا يجوز أن يرى منهم أو يمكث معهم وإذا كانت اليتيمة بنت فلا يجوز أن تجلس مع أولاد بنين لأنه أيضا يجوز أن يتزوجوا بها ولكن هذه الكفالة من بعيد أهتم به وآخذه في رحلات ونزهات وأشعره بأن له إخوة وله من يكبره سنا فيستشيره في كل أموره.

ويجب أن نعلم هذا اليتيم أن الأسرة المسلمة لها طابع خاص متميز فنعلمه آداب هذه الأسر المسلمة من أداء حقوق وواجبات وأدب استئذان وآداب التعامل وغيرها من الآداب الإسلامية.

ضعف الأرملة

ويدخل تحت بند الضعيفين المرأة الأرملة وهذه هي من أضعف الضعفاء في هذا الزمن حيث تركها السند الونيس حتى وإن كانت شرسة الطباع أو غنية فهي قد فقدت الزوج والسند فضلا عن أن هذا الزوج قد يكون محبا لها ومقدرا لها ولنفرض أنها امرأة ربة منزل فكيف يكون تعاملها مع الناس فهي تفاجأ بأن أو الناس يعاملونها كذئاب ومنهم من يضحك عليها ومن يسخر منها ومن النساء من تخاف أن تدخلها بيتها حتى لا تأخذ منها زوجها أو تخطفه.

والواجب في الإسلام أن تعان مثل هذه التي فقدت زوجها وتصاحبها النساء وتشفق عليها ويحافظن على مشاعرها ويعاملونها معاملة جيدة بحيث لا

تشعر بالوحدة أو الغربة في مجتمعها.

فالإسلام دين القيم دين المشاعر والأحاسيس وقد علمنا كيف نهتم بمثل هذه الأرملة وأبنائها الأيتام وأن تحنو عليهم وتعاملهم أفضل معاملة وحبب إلينا ذلك بفضل الأجر الذي يأخذه الشخص عندما يتعامل مع مثل هذه الطائفة وقد ذكرت آيات وأحاديث تدل على فضل من يتعامل مع اليتيم والأرملة وكل محتاج إلى المعاملة الحسنة.

الضعيفة المتمردة

وهنا نقول إن المرأة التي لا ترتدي حجابها وترفض ارتداءه هي ضعيفة الإيمان إلى جانب ضعفها لكونها امرأة فالمرأة وصفت بالضعيفة وتقول إن ضعفها يتردد لأنها يتملكها الشيطان ويؤثر عليها وهي تترك نفسها له وهذه وجب علينا نصحها ومداومة تذكيرها بفضل الحجاب وشرعيته فإن أبت تستتاب من الزوج ثم من الحاكم وولي الأمر وهذه المرأة إن أبت فهي متمردة على الله وليست على الزوج لأن هذا أمر الله الذي أمرها به يقول تعالى ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

فهي عندما تمردت على الله زاد الله ضعفها بتملك الشيطان منها فالمرأة قوية بالإسلام ضعيفة مسلوبة الحصن والحرية بدونه فلا عزة إلا بالإسلام ولا حرية ولا كرامة إلا في الإسلام واجتناب محارمه).

وللحجاب شروط

أن يكون واسعا فضفاضًا، لا يصف، ولا يشف، ولا يشبه زى الرجال، ولا يشبه زى الكافرات، وألا يكون معصفرا أي لا يكون من ذوي الألوان الفاقعة كالأصفر الفاقع والأخضر الذي يجذب أنظار الناس أو يلفت انتباههم، وألا يكون زينة نفسه معصفرا.

ضعيف المرض

هناك نوع من الضعف أيضا وهو المريض بمرض عضال وهذا حقه على أولاده ثم دوي قرابته الذين يرثون منه وهذا المريض الذي أقعده المرض وأعجزه فهذا يحتاج إلى عيادته وزيارته والتربيت على كتفه والدعاء له والاستشعار بأن الناس لا تنساه وتعوده وقد أمر الله بزيارة المريض ورغب فيها وجعلها من حقوق المسلم على أخيه المسلم فقال حق المسلم على المسلم ست، منها: **«وإذا مرض فعده»** [رواه أحمد] وهذه الزيارة تدخل السعادة في قلوب المرضى وتجعلهم يشعرون بالمشاركة في جميع أمورهم يقول ﷺ **«إذا زرتم المريض فنفسوا في أجله** (يعني أعطوه الأمل) **فإن ذلك لا يرد من قضاء الله شيئا ولكن يطيب نفس المريض»** [رواه الترمذي].

آداب زيارة المريض

- الزيارة تكون قصيرة حتى لا تثقل عليه فيتعب أكثر.
- الكلمات تكون طيبة لا تؤذي المشاعر ولا تؤثر في نفس المريض وقد علمنا رسول الله أن نقول عند زيارة المريض (نضع أولا يدنا المتوضأه على الجزء الذي يشتكي منه الرجل للرجل والمرأة للمرأة فنقرأ فاتحة الكتاب الشافية ثم يقول الراقي أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك) ثم يقول كفارة وطهور إن شاء الله.

فهذا المرض كفارة للذنوب ومطهر للنفس وللمريض أيضا من الذنوب ثم تداعبه بألفاظ طيبة تعطيه الأمل في الشفاء.

ويدخل تحت بند الضعيفين أيضا ابن السِّفَاح وهذا يجوز أن نؤويه ونساعده على أن يعيش حياة كريمة ولا نجمع ظلمنا له علي جرم ما ارتكبه أبواه، لأنه لا ذنب له في ذلك ولا نجعله عرضة للشيطان يفعل به ما يشاء وقد كان عمر بن الخطاب يفرض (للقيطة) حقًا من بيت مال المسلمين فنحن نكون معه ضد الزمن وضد الشيطان سواء شياطين الإنس أو الجن.


النادي الشبابي

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة المؤلف	٣
الباب الأول	
عقائد وعبادات	
١- العقيدة	٩
مفهوم قول لا إله إلا الله	١١
سعة مفهوم العبا دة	١٣
السلبية ليست من الدين	١٤
٢- نواقض العقيدة	١٨
كيف رجع الإسلام غريبًا	١٩
هل تتمثل حقيقة الدين؟!!	٢٠
نواقض العقيدة ليست كنواقض الوضوء	٢٣
٣- القضاء والقدر	٢٥
مراتب القضاء والقدر	٢٦
قدر الله قاهر وقضاؤه نافذ	٢٨
القضاء والدعاء من قدر الله	٢٩
٤- اليقين	٣٢
يقين تهدأ له العواصف	٣٤
قدر الله نافذ فليهدأ قلبك	٣٥
علامات يقين القلب	٣٧
بهذا يزيد اليقين في قلوبنا	٣٩
من فقه التوبة والدعاء	٤١
٥- المواد الأساسية في مدرسة رمضان	٤٣
٦- أسرار الحج	٥٠

الموضوع	الصفحة
الباب الثاني	
في مجاهدة النفس	
١- علو الهمة	٥٩
هناك من يفدي الباطل بدمه	٦٠
الهمة وراء نجاح الهجرة	٦١
همة تتحدى النيران	٦٢
الهمة عز المؤمن وانشراح صدره	٦٣
همة ربانية تهزم الفراعنة	٦٥
الهمة في طلب العلم	٦٨
سمات أصحاب الهمم	٧٠
همة أم موسى عليه السلام	٧١
هند .. إحدى زوجات الحجاج	٧٤
همم نسائية عالية	٧٥
من أسباب علو الهمة	٧٧
٢- حفظ اللسان	٧٩
٣- مصائب اللسان	٨٦
آفات مهلكة	٨٦
٤- التأني والعجلة	٩٤
سنن الله ثابتة	٩٥
متى نستخير	٩٦
٥- الفضائل	١٠٠
من أخلاق النبوة	١٠٣
قبول العبادة مرهون بالأخلاق	١٠٥
العبادات قائمة على الأخلاق	١٠٧
٦- البسمة والتبسم	١١١

الموضوع	الصفحة
الابتسامة عنوان الرضا	١١٣
الطاعة نبع ابتسام لا ينضب	١١٥
كيف نجمع بين التبسم والمعصية؟!!	١١٧
٧- الظلم	١٢٠
معيار العدل والظلم في الإسلام	١٢١
أنواع الظلم	١٢٢
الظلم الأكبر .. الشرك بالله	١٢٦
٨- تفريج الكربات	١٢٩
الكربات تعطيك قبل أن تأخذ..!!	١٣٠
آداب للمكروبين	١٣١
٩- صفات عباد الرحمن	١٣٧
الباب الثالث	
في الرقائق	
١- اسم الله الكريم	١٤٧
اللئيم لا يعرف الفضل	١٤٨
٢- اسم الله الصمد	١٥٢
الصمد هداية وصلاح بال	١٥٤
٣- اسم الله الرؤوف	١٥٦
كيف تلين القلوب	١٥٩
ظلال الرأفة بين الزوجين	١٦٠
٤- أدب الابتلاء	١٦٣
أنواع الابتلاءات	١٦٤
آداب الابتلاء	١٦٥
٥- الشكر	١٦٨
نعم لا تعد ولا تحصى	١٧٣

الموضوع	الصفحة
شكر الله سبحانه للعبد الصالح	١٧٤
المنع من الله عين العطاء	١٧٩
بين الشكر والثناء	١٨٠
التواضع صفة كبار الشاكرين	١٨٥
سبيل الشكر على الضراء	١٨٧
٦- الرضا	١٩١
درجات الرضا وأهله	١٩٣
الشك من آفات الرضا	١٩٥
٧- التوبة	١٩٧
٨- أشكال وأنواع التوبة	٢٠٦
الباب الرابع	
المرأة والأسرة	
١- المرأة بين العبادات والمعاملات	٢١٧
٢- مودة ورحمة	٢٢٢
٣- رفقا بالقوارير	٢٣٢
٤- للزوج حقوق	٢٣٦
٥- فلذات أكبادنا	٢٤٤
٦- الضعيفان : المرأة واليتيم	٢٥٠
- اليتيم	٢٦٣
الفهرس	٢٦٩

* * *


النادي الشبابي